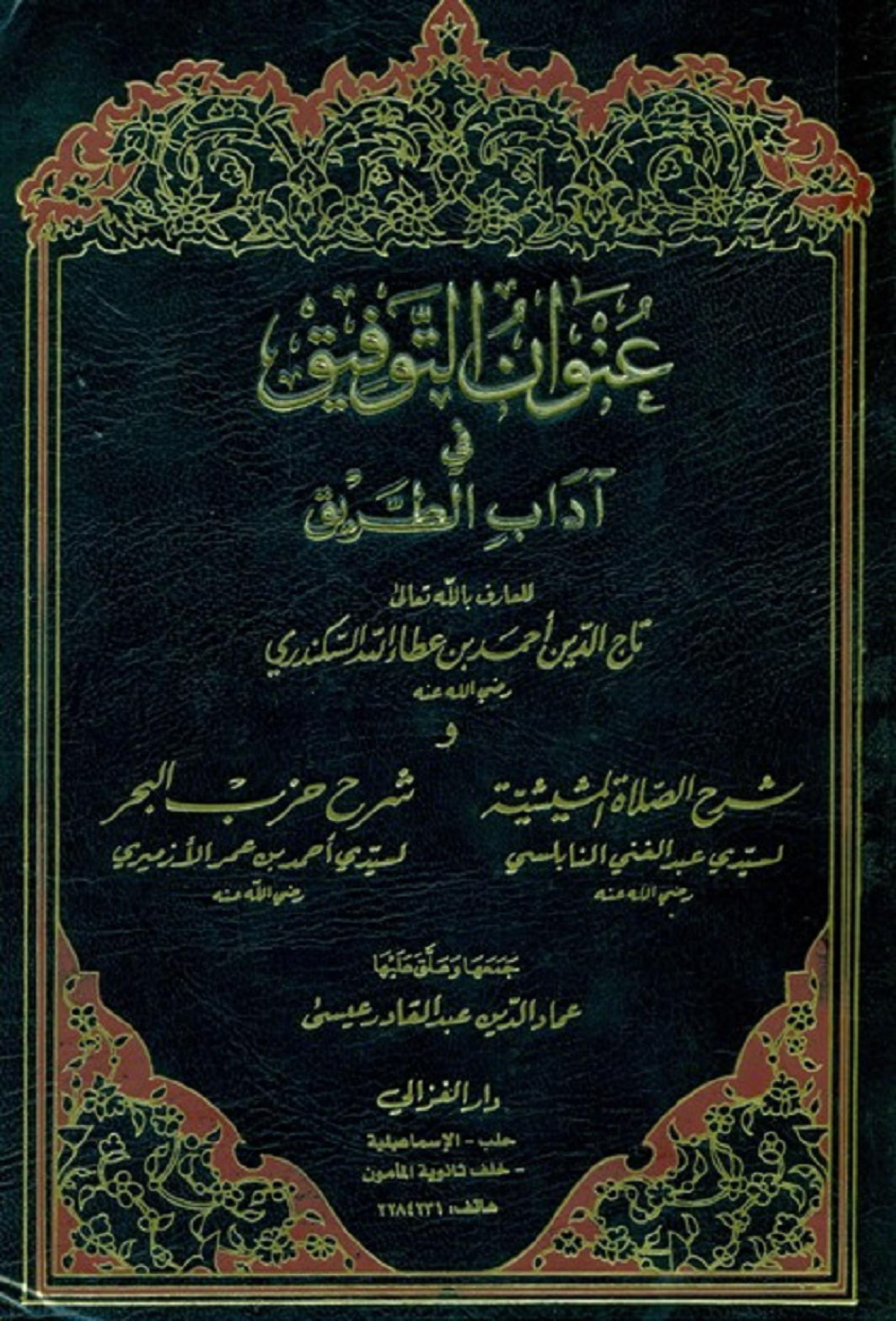


عنوان التوفيق
في
آداب الطريق
للعارف بالله تعالى
تاج الدين أحمد بن عطاء الله السكندري
رضي الله عنه
و
شرح الصلاة المشيشية
لسيدي عبد الغني النابلسي
رضي الله عنه
شرح حزب البحر
لسيدي أحمد بن عمر الأزميري
رضي الله عنه
جمعها وعلق عليها
عماد الدين عبد القادر عيسى
دار الغزالي
حلب - الإسماعيلية
- خلف ثانوية المأمون
هاتف: ٢٢٨٤٢٣٦


عنوان التوفيق
في
آداب الطريق

عُنْوَانُ ٱلتَّوفِيْق

في

آدَابِ ٱلطَّرِيقِ

للعارف بالله تعالى

تاج الدين أحمد بن عطاء الله السكندري

رضي الله عنه

ثم يليه

شرح الصلاة المشيشية

لسيدي عبد الغني النابلسي

رضي الله عنه

ثم يليه

شرح حزب البحر

لسيدي أحمد بن عمر الأزميري

رضي الله عنه

جمعها وعلّق عليها

عماد الدين عبد القادر عيسى

الطبعة الأولى

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م

رقم موافقة الاعلام ٥٠٣٥٣
تاريخ ١١ / ٤ / ٢٠٠١



للطباعة والنشر والتوزيع

حلب - الإسماعيلية - خلف ثانوية المأمون. هاتف: ٢٢٨٤٢٣١
E-mail: b.farah@scs-net.org

مؤسسة
الشام للطباعة والتجليد
دمشق - هاتف: ٢٢٢٤٥٢٢ - ٢٢٤٩١٤٣ ص.ب ٢٥١٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي نوّر بصائر أوليائه بنور معرفته ، وأكرمهم بذكره وشكره وحسن عبادته ، والصلاة والسلام على سيّد الأولين والآخرين ، وإمام المتقين ، سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، إذ هو الرسول المجتبى الذي أظهر الله عز وجل به علوم الشريعة والحقيقة ، وأخذ عنه الوارثون الكُمَّل مناهج الطريقة صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وبعد :

لقد أكرم الله تعالى فئةً من خاصة عباده فجمع لهم هذه العلوم الدقيقة ، وجرت على ألسنتهم تلك المعاني الرقيقة ، فنفع الله عز وجل بهم خلقاً كثيراً ، وبعد وفاتهم بقيت آثارهم تدلّ على ما حباهم الله عز وجل به من حِكمة ومعرفة ينتفع بها من يقرؤها .

ومن هذه الآثار الكريمة كتاب «عنوان التوفيق في آداب الطريق» لسيدي تاج الدين بن عطاء الله السكندري ، وقد حوى شرحاً لقصيدة سيدي الغوث الكبير أبي مدين طيب الله ثراه ، ونفعنا بفيوضاته وفيوضات ساداتنا رضي الله عنهم جميعاً .

وقد كان الدافع لخدمة هذا الكتاب الأمور التالية :

١ ـ محبتي لأولياء الله عز وجل ، مَن تتنزل الرحمة والبركة بذكرهم ، فقد رُوي عن أبي عمرو اسماعيل بن نُجَيْد أنه سأل أبا جعفر أحمد بن حمدان ، وكانا عبدين صالحين : فقال له : (بأي نية أكتب الحديث؟) قال : (ألستم تروون أنه عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة؟) قال : نعم ، قال : (**فرسول الله ﷺ رأس الصالحين**) .

وكذلك هم وُرَّاثه ﷺ من بعده الذين حملوا مشعل الهداية والإرشاد . فالاعتقاد بهم ولاية صغرى ، والعمل بإرشاداتهم وموافقتُهم في سيرهم وسلوكهم يوصل إلى أسمى المراتب وأعلى المقامات ، وبذكرهم تتنزل الفيوضات الإلهية على قلوب المؤمنين ، عسى الله أن يحشرنا معهم بمحبتنا لهم ، بعد أن تقاصرت هممنا عن اللَّحاق بهم في سيرهم وسلوكهم .

٢ ـ دعاني بعض إخواننا إلى مصر فلبيت الدعوة ، وكان من ديدننا هناك زيارة الأولياء والصالحين ، وعند إقامتنا في القاهرة ، أكرمنا الله بزيارة العارف بالله سيدي ابن عطاء الله السكندري رضي الله عنه ، وقد أخبرونا أنّ مقامه في الأحياء القديمة قرب مسجد الإمام الحسين رضي الله عنه ، فذهبنا إلى هناك ، وبقينا عدة ساعات ونحن نبحث عن ضريحه رضي الله عنه دون أن نجد له أثراً ، رغم أننا سألنا الكثير من أهل المنطقة عن مكانه ، ثم قلت لإخواننا لا يوجد إذْنٌ بالزيارة الآن .

عدنا أدراجنا إلى مكان إقامتنا ، وبعد أن أخذنا قسطاً من الراحة عزمنا على زيارة الإمام الشافعي رضي الله عنه ، وسلطان العاشقين سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه ، وبعد زيارة سيدي الشافعي رضي الله عنه ، انطلقنا بسيارة أجرة للذهاب إلى جبل المقطم حيث مرقد سلطان العاشقين ، وأخذنا نبحث عن مقام سيدي ابن الفارض رضي الله عنه ، ولحسن الطالع كان سائق السيارة دمث الأخلاق ، رحب الصدر ، حيث ساعدنا كثيراً إلى أن وصلنا إلى القُرافة عند سفح جبل المقطم ، وسألْنا هناك رجلاً يعمل تربياً ممن يعنون بشؤون المقابر عن مقام سيدي ابن الفارض رضي الله عنه ، فأشار بيده إلى مكان المقام وكان بعيداً عن مكان وجودنا قليلاً ، ولكنه استطرد قائلاً : ألا تزورون مقام سيدي ابن عطاء الله السكندري رضي الله عنه ، وقفنا مندهشين ، وقد أُخِذْتُ بهذا الموقف ، وأصابني حال عجيب وسرور كبير بأن أُذن لنا بزيارة هذا الإمام العظيم .

دخلنا المسجد وصلينا فيه ركعتين ، ثم توجهنا إلى المقام المبارك ، وهناك شعرت بنفحة عظيمة من فيض فضل صاحب المقام رضي الله عنه ، وأتممنا الزيارة بتوفيق الله تعالى .

ولما عدتُ من سفري هذا إلى حلب ، وقع هذا الكتاب بين يديَّ فأعاد إلى مخيلتي ذكرى تلك الزيارة المباركة ، فأحببت أن أحققه خدمةً لدين الله عز وجل ، ومحبةً لسيدي ابن عطاء الله رضي الله عنه عسى أن ينفعني الله عز وجل به وينفع به جميع المسلمين .

ومما حثني وحضني وزاد في همتي بالاعتناء بهذا الأثر العظيم ، ما حواه من فوائد عظيمة وإشارات لطيفة هي في غاية الأهمية في حياة المسلم الموحِّد لله عز وجل ، ففيه أمور غابتْ عن أذهان وأخيلة كثير من المسلمين ، بل تلاشت واضمحَلَّت عند كثير من المؤمنين الملتزمين ، فضلاً عن غيرهم من الإخوة المقصرين المسرفين .

فو الله إن المسلمين اليوم بأمسِّ الحاجة ليس إلى من يزيد في ذخيرتهم العلمية وقوتهم العقلية فحسب ، بل إلى من يذكرهم بهذه الآداب العلية ، والإرشادات الإيمانية التي تحمل في طياتها إخلاص القلب وصدق النية .

كيف لا وقد خرجت من أقوام هم من خيرة خلق الله ، وأطوعهم لأمر الله وأبعدهم عما حرم الله وألزمهم لشريعة الله .
عِلْمُ الله أخرجهم عن علم أنفسهم ، وقدرةُ الله أخرجتهم عن قدرة أنفسهم ، وقوة الله أخرجتهم عن قوة أنفسهم .

تحققوا بالجهل فوهبهم الله من علمه ، وتحققوا بالعجز فوهبهم الله من قدرته ، وتحققوا بالضعف فوهبهم الله من قوته ، فصاروا بذلك أولياء الله وأصفياءَه وأحبابَه دون خلقه .

خاصةً وقد خَرَجَتْ هذه الإرشادات الإيمانية عن تجربة شيخ خبير في التربية ، ذي باع طويل وقدم راسخ في السير والسلوك إلى الله عزّ وجل ، ألا هو سيدي الغوث الكبير أبو مدين رضي الله عنه ونفعنا به آمين .

وقد تناولت في هذا الكتاب الأمور التالية :

١ ـ ترجمة لأهم الأعلام الذين ورد ذكرهم في هذا الكتاب ، وخاصة ترجمة لسيدي ابن عطاء الله السكندري ، وسيدي أبي مدين رضي الله عنهما .

٢ ـ تخريج الأحاديث النبوية الشريفة .

٣ ـ إيراد بعض الأقوال القيّمة ـ التي وَجَدْتُ من المناسب ذكرها ـ لبعض شيوخ الطريقة أمثال : سيدي ابن عجيبة وسيدي احمد بن مصطفى العلاوي وغيرهما رضي الله عنهم .

٤ ـ ضبط الأبيات الشعرية بالشكل وذكر اسم قائلها ، إن وقفت عليه ، وقد وجدتُ أحياناً تبايناً في بعض الألفاظ بين الروايات الشعرية فأثبتها كما وجدتُها في مظَانِّها .

٥ ـ تفسير الكلمات الغامضة :

أ ـ لغةً : بالرجوع إلى معجم « لسان العرب » أو « المعجم الوسيط » .

ب ـ اصطلاحاً : بالرجوع إلى كتاب « معجم المصطلحات الصوفية » للدكتور عبد المنعم الحفني .

ج ـ استعنت في تفسير بعض الكلمات ، بما سمعته من والدنا سيدي الشيخ عبد القادر عيسى أدخله الله فسيح جنانه ورضوانه ، وشيخنا وأستاذنا سيدي أحمد فتح الله جامي حفظه الله تعالى ، أو مما ورد في وصاياه : « الدرر البهية في الوصايا الجامية » .

٦ ـ لقد أثبت كل هذه الشروح والتعليقات في الهامش مع رد كل نص إلى مصدره المأخوذ عنه .

ـ لما استأذنت سيدي الشيخ أحمد فتح الله جامي حفظه الله تعالى في طبع هذا الكتاب ، أشار عليّ بإضافة الصلاة المشيشية لسيدي عبد السلام بن مشيش ، وحزب البحر لسيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهما ، وتفضل عليّ فزودني بشرح الصلاة المشيشية لسيدي عبد الغني النابلسي ، كما أكرمني بأن أعطاني شرحاً لحزب البحر لسيدي أحمد بن عمر الأزميري ، لكي أضيفهما إلى الكتاب ، لأنتفع بهما وينتفع بهما كل مسلم ومسلمة :

فإن كنت قد وفقت في عملي هذا ، فذلك من فضل الله عزّ وجل وبركة الصالحين رضي الله عنهم ، وإن كان غير ذلك فهو مني .

أسأل الله تعالى أن يغفر لي كل تقصير بدر مني ، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به ، إنه على كل شيء قدير وهو نعم المولى ونعم النصير ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

كتبه

عماد الدين عبد القادر عيسى

حلب ٢٢ شوال ١٤٢٠هـ

١٩ كانون الثاني ٢٠٠٠م

أحمد بن عطاء الله السكندري
رضي الله عنه

هو سيدي أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن الحسين بن عطاء الله السكندري[١]، الجُذَامي نسباً، المالكي مذهباً، الإسكندري داراً، القرافي مزاراً، الصوفي حقيقة، الشاذلي طريقة، أعجوبة زمانه ونخبة عصره وأوانه[٢].

ولد بالإسكندرية عام ٦٥٨هـ ١٢٥٩م، كان جده عبد الكريم فقيهاً ومؤلفاً لعدة كتب[٣].

من أكابر العلماء العاملين، والعارفين الزاهدين، والأئمة الأعلام المشهورين، تلميذ الشيخ ياقوت رضي الله عنه وتلميذ أبي العباس المرسي رضي الله عنه[٤].

---

(١) السكندري: ضبطها صفي الدين الحلي في مخطوطته: الإسكندرية، وكذلك في مخطوطة السيد عبد الكريم «غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية» وهذا الضبط، وإن كان أصح، إلا أنه على خلاف التسمية المشهورة. غيث المواهب ج١ ص٤٧.

(٢) المرجع السابق ج١ ص٤٧.

(٣) الطريقة الشاذلية وأعلامها ص٨٦٠.

(٤) طبقات الشعراني ج٢ ص١٠٩

صحب الشيخ أبا العباس المرسي ، تلميذ أبي الحسن الشاذلي ، وأخذ الطريقة عنه ، وصنف مناقبه ومناقب الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهم .

كان متكلماً على لسان الصوفية في زمانه ، وجامعاً لأنواع العلوم من تفسير وحديث ونحو وأصول وفقه[١] .

قال الذهبي : كانت له خِلالٌ عجيبة ووقعٌ في النفوس ومشاركة في الفضائل ، ورأيت الشيخ تاج الدين لما رجع من مصر معظماً لوعظه وإشارته ،وكان يتكلم بالجامع الأزهر ، فيمزج كلام القوم بآثارٍ عن السلف وفنون من العلم فكثر أتباعه ، وكان عليه سيما الخير[٢] .

وقال ابن الأهدل : الشيخ العارف بالله شيخ الطريقتين وإمام الفريقين ، كان فقيهاً عالماً ينكر على الصوفية ، ثم جذبته العناية فصحب شيخ الشيوخ المرسي ، وفتح عليه على يديه ، وما أحسن قوله في شيخه في بعضِ قصائده :

كم مِنْ قلوبٍ قد أُميتتْ بالهوى
أحيا بها مِنْ بعد ما أحياها[٣]

فكان الشيخ أبو العباس المرسي يستعيد القصيدة التي مطلعها :

قفْ بالديارِ فقدْ بدا مغناها
فلِمنْ تسيرُ وما المرادُ سواها

---

(١) حسن المحاضرة ج١ ص٥٢٤
(٢) البدر الطالع المجلد الأول ص١٠٧ .
(٣) شذرات الذهب ج٩ ص١٩ ـ ٢٠

فإذا انتهى في الإنشاد إلى البيت استعاده وقال : « **جعل الله مدحنا هذا موضوعاً في الميزان وموجباً للرضوان بمنه وكرمه** »[١] .

من أشهر تلاميذه داود بن باخلا وابن الميلق الإسكندراني الشاذليان ، ومن الفقهاء تقي الدين السبكي الشافعي والد تاج الدين صاحب طبقات الشافعية الكبرى[٢] .

من كراماته :

١ ـ أن الكمال بن الهمام زار قبره ، فقرأ عنده سورة هود حتى وصل إلى قوله تعالى : ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ فأجابه من القبر بصوت عال : يا كمال ليس فينا شقي فأوصى بأن يدفن هناك[٣] .

٢ ـ ويقال : إن ثلاثة قصدوا مجلسه ، فقال أحدهم : لو سلمتُ من العائلة لتجردتُ ، وقال الآخر أنا أصلي وأصوم ولا أجد من الصلاح ذرة ، فقال الثالث : إن صلاتي ما ترضيني فكيف ترضي ربي؟ فلما حضروا مجلسه ، قال في أثناء كلامه : ومنَ الناس من يقول فأعاد كلامهم بعينه[٤] .

٣ ـ من كلامه رضي الله عنه : « من ألزم نفسه آداب السنة غمر الله قلبه بنور المعرفة ، ولا مقام أشرف من متابعة الحبيب ﷺ في أوامره

---

(١) لطائف المنن ص٢٥٠ .

(٢) أعلام الطريقة الشاذلية ص٩٢ .

(٣) جامع كرامات الأولياء ج١ ص٣١٧

(٤) الدرر الكامنة ج١ ص٢٧٤ وشذرات الذهب ج٦ ص١٩ ـ ٢٠

وأفعاله وأخلاقه ، والتأدب بآدابه قولاً وفعلاً ونية وعقداً [اعتقاداً] [١] .

وسئل : ما العبودية؟ فقال : ترك الاختيار وملازمة الافتقار .
وقال : إياك أن تلاحظ مخلوقاً وأنت تجدُ إلى ملاحظة الحق سبيلاً [٢] .

وقال : إرادتك التجريدَ مع إقامة الله لك في الأسباب من الشهوة الخفية ، وإرادتك الأسبابَ مع إقامة الله إياك في التجريد ، انحطاط عن الذروة العلية .

ما أرادَتْ همة سالك أن تقف عندما كُشف لها إلا ونادته هواتف الحقائق : الذي تطلبه أمامك ، ولا تبَرَّجَتْ ظواهرُ الكرامات إلا نادت حقائقها ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ .

وقال : كيف يُتصور أن يحجبه شيء وهو الذي أظهر كل شيء ؟
كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء ؟
كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر في شيء ؟
كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر لكل شيء ؟
كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الظاهر قبل وجود كل شيء ؟
كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أظهر من كل شيء ؟

---

(١) حلية الأولياء ج١٠ ص٣٠٢ .
(٢) المرجع السابق ج١٠ ص٣٠٤ .

ومن شعره :

أعنـدكَ عـنْ ليلـى حـديـثٌ مُحَـرَّرُ
لإيـراده يحيـا الـرَّميـمُ ويُنْشَـرُ

فعهـدي بهـا العهـدُ القـديـمُ وإنَّنـي
علـى كـل حـالٍ فـي هـواهـا مقصـر

وقد كان عنها الطيفُ قِدْماً يزورني
ولَمَّـا يـزرْ مـا بـالـه يتعـذرُ[1]

تصانيفه :

١ ـ أصول مقدمات الوصول .
٢ ـ تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس .
٣ ـ التنوير في إسقاط التدبير .
٤ ـ الحكم العطائية على لسان أهل الطريقة .
٥ ـ الطريق الجادة في نيل السعادة .
٦ ـ لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه أبي الحسن رضي الله عنهم .
٧ ـ مختصر تهذيب المدونة للبرادعي في الفقه .
٨ ـ مفتاح الفلاح في ذكر الله الكريم الفتاح[2] .

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ج٩ ص٢٣ .
(٢) ذكر الزركلي في الأعلام ج١ ص٢٢٢ أن كتاب مفتاح الفلاح ليس من تأليفه ولكن ينسب إليه وقد حقق والدنا سيدي الشيخ عبد القادر عيسى رحمه الله =

٩ ـ المرقّى إلى القدير الأبقى [١] .

١٠ ـ القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد ، ويبحث في ذات الله وصفاته وأفعاله وطريق معرفته[٢] .

١١ ـ عنوان التوفيق وهو شرح قصيدة الغوث أبي مدين التلمساني[٣] ـ وهو الكتاب الذي بين يديك ـ

توفي رضي الله عنه في ١٦ جمادى الآخرة عام ٧٠٩هـ ١٢٠٩م في المدرسة المنصورة بالقاهرة[٤] .

ودفن بسفح جبل المقطم بزاويته التي كان يتعبد فيها ، ومقامه يزار يعرفه الكبير والصغير ، ويتوسل به إلى الله تعالى نفع الله به المسلمين ونفعنا به إنه سميع مجيب[٥] .

☆☆ ☆☆ ☆☆

= في كتابه « حقائق عن التصوف » في فوائد الذكر ص٢٢٢ فقال :
« مما يلفت النظر أن ابن عطاء الله السكندري ، ذكر هذه الفوائد في المسألة نفسها في كتابه « مفتاح الفلاح » ص٣٠ فنقلها عنه ابن القيم مع شيء من التنسيق والإضافات البسيطة دون أن يعزو ذلك إلى مصدره الأصلي ، مفتاح الفلاح لابن عطاء ، والمعلوم أن ابن عطاء توفي سنة ٧٠٩هـ بينما كانت وفاة ابن القيم سنة ٧٥١ هـ .

(١) هدية العارفين المجلد الخامس ص١٠٣ .

(٢) أعلام الطريقة الشاذلية ص٨٨ .

(٣) غيث المواهب ج١ ص٤٧ .

(٤) دائرة المعارف المجلد الأول ص/ ٢٤٠ ، ٢٤٢/ .

(٥) غيث المواهب ج١ ص٤٧ .

شعيب أبو مدين التلمساني
رضي الله عنه

هو سيدي شعيب بن حسين الأندلسي الزاهد، شيخ أهل المغرب[١] وقدوتهم، وشيخ الشيوخ وأعلمهم، من أفراد الرجال ومن صدور الأولياء والأبدال جمع بين الشريعة والحقيقة[٢]

وُلد رضي الله عنه في قطينافه، إحدى قرى إشبيلية وكان أبواه فقيرين، بدأ حداثته بحفظ القرآن الكريم في بلده، ثم تعلم صناعة النسيج، ولما أحسّ من نفسه الميل نحو العلم أقبل عليه بحماسٍ زائدٍ، فنزح عن وطنه إلى فاس ليأخذ عن علماء المغاربة »[٣] .

ذكر عنه أنه قال: كنت في ابتدائي إذا سمعت تفسير آية أو حديث، قنعتُ به وانصرفتُ لموضع خارج فاس أتخذه للعمل بما فُتح عليّ به[٤] .

أجمعت المشايخ على تعظيمه وإجلاله وتأدبوا بين يديه، وكان

(١) طبقات الأولياء ص٤٣٧ .

(٢) الديباج المذهب ص١٢٧ .

(٣) دائرة المعارف المجلد الأول ص٣٩٩ .

(٤) الديباج المذهب ص١٢٤ .

ظريفاً جميلاً متواضعاً زاهداً ورعاً محققاً ، مشتملاً على كرم الأخلاق[١] فاضلاً عارفاً بالله ، خاض بحار الأحوال ونال أسرار المعارف خصوصاً مقام التوكل ، لايشق له غبار رضي الله عنه .

كان من أعلام العلماء وحفاظ الحديث ، خصوصاً جامع الترمذي قائماً عليه ، وتَرِدُ عليه الفتاوى في مذهب الإمام مالك فيجيب عنها في وقتها ، له مجلس وعظ يتكلم فيه على الناس[٢] .

مكث رضي الله عنه سنة في بيته لا يخرج منه إلا للجمعة ، فاجتمع الناس على باب داره وطلبوا منه أن يتكلم عليهم ، فلما ألزموه خرج فرأى عصافير على سدرة في الدار ، فلما رأته في الدار ، فرّت فرجع وقال : لو صلحتُ للحديث عليكم لم تفرّ مني الطيور ، ثم رجع وجلس في البيت سنة أخرى ، ثم جاؤوا إليه فخرج فلم تفرّ منه الطيور فتكلم على الناس ، ونزلت الطيور تضرب بأجنحتها وتصفق حتى مات منها طائفة ومات رجل من الحاضرين[٣] .

نشر الله ذكره وتخرج به جماعة من الفضلاء كأبي عبد الله القرشي وغيره ، وانتهى إليه كثير من العلماء المحققين والفضلاء الصالحين كابن العربي ، وله في الحقائق كلام واسع[٤] .

---

(١) طبقات الشعراني ص١٥٥ .
(٢) الديباج المذهب ص١٢٧ .
(٣) طبقات الشعراني ص١٥٥ ـ ١٥٦ .
(٤) شذرات الذهب ج٤ ص٣٠٣ .

كان شيخه أبو يعزى يثني عليه ويعظمه بين أصحابه ، ولما قدم من الأندلس قرأ على الحافظين أبي الحسن بن حرزهم والفقيه العلامة ابن غالب ، ثم توجه للمشرق فأخذ عن أعلام علمائها واستفاد من زهادها وأوليائها .

وتعرف في عرفة على الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ، فقرأ عليه في الحرم كثيراً من الحديث ، وألبسه الخرقة وأودعه كثيراً من أسراره ، وحلاّه بملابس أنواره فكان أبو مدين يفتخر بصحبته ويعدّه أفضل مشايخه الأكابر[١] .

وذكر أن رجلاً جاء إلى الشيخ أبي مدين ليعترض عليه فجلس في الحلقة ، فالتفت إليه وقال له : لم جئت؟ فقال : لأقتبس من نورك فقال له الشيخ : ما الذي في كمك؟ فقال له : مصحف ، فقال له : اِفتحه واقرأ في أول سطر يخرج لك ، ففتحه وقرأ أول السطر فإذا هو ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ ، فقال له أبو مدين : أما يكفيك هذا فاعترف الرجل وتاب وصلح حاله[٢] .

من شعره :

يا منْ علا فرأى ما في الغيوبِ وما

تحتَ الثرى ، وظلامُ الليلِ منسدلُ

---

(١) الديباج المذهب ص١٢٧ .

(٢) جامع كرامات الأولياء ج٢ ص٤١ والديباج المذهب ص١٢٨

أنتَ الغياثُ لمنْ ضاقَتْ مذاهبُهُ
أنتَ الدليلُ لمنْ حارتْ بهِ الحِيَلُ
إنا قصدناكَ والآمالُ واثقةٌ
والكلُ يدعوكَ ملهوفٌ ومبتهلُ
فإن عفوتَ فذو فضلٍ وذو كرمٍ
وإنْ سطوتَ فأنتَ الحاكمُ العدْلُ[١]

ونلخص تعاليم أبي مدين كلّها ، في هذا البيت الذي كان يردده دائماً . كما يقول يحيى ابن خلدون :

الله قلْ وذرِ الوجودَ وما حوى
إنْ كنتَ مرتاداً بصدقِ مرادِ[٢]

استوطن رضي الله عنه في بُجّاية ، وكان يفضلها على كثير من المدن ويقول : إنها تعين على طلب الحلال[٣] .

« كانت تعاليم أبي مدين التي قام بنشرها في بجاية تخالف مذاهب فقهاء الموحدين في تلك المدينة ، فقلق هؤلاء من شهرته التي أخذت تذيع يوماً بعد يوم ، ومن مريديه الذين تزايد عددهم »[٤] .

« حتى وشى به بعضهم عند السلطان الموحدي يعقوب المنصور

(١) شذرات الذهب ج٤ ص٣٠٣ .
(٢) دائرة المعارف المجلد الأول ص٤٠٠ ـ ٤٠١ .
(٣) الديباج المذهب ص١٢٩ .
(٤) دائرة المعارف الإسلامية المجلد الأول ص٤٠٠ .

وخوفوه منه على الدولة ، وإنه يشبه الإمام المهدي ، فبعث إليه في القدوم عليه في مراكش ليتولى نقاشَه بنفسه ، ووصّى صاحبَ بجاية به وأن يحمله خير محمل ، فصدع أبو مدين رضي الله عنه لأمر السلطان عن طيب خاطر فشق على أصحابه وتغيروا فسكّنهم ، وقال : إن منيتي قربت وبغير هذا المكان قُدِّرَتْ ، ولا بد منه ، وقد كبرتُ وضعفتُ ولا أقدر على الحركة فبعث الله لي من يحملني إليه برفق ، وأنا لا أرى السلطان ولا يراني . فطابت نفوسهم وذهب بؤسهم وعدّوها من كراماته ، حتى إذا وطؤوا به حوزَ تلمسان فبدت له رابطة العباد فقال لأصحابه : ما أصلَحه للرقاد ، فمرض مرضَ موته فلما وصل وادي يسر[1] اشتد به المرض ونزلوا به هناك »[2] .

« وفي شذرات الذهب فلما وصل تلمسان قال : مالنا وللسلطان نزور الإخوان ، ثم نزل واستقبل القبلة وتشهّد وقال : ها قد جئتُ ها قد جئتُ ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[3] فكان آخرُ كلامه : « الله الحق » فحُمل إلى العُبّاد مدفن الأولياء والأوتاد »[4] ، وسمع أهل تلمسان بجنازته فكانت من المشاهد العظيمة والمحافل الكريمة[5] .

---

(١) اللفظ في دائرة المعارف إسّر المجلد الأول ص٤٠٠ .

(٢) الديباج المذهب ص١٢٧ .

(٣) شذرات الذهب ج٤ ص٣٠٣ .

(٤) الديباج المذهب ص١٢٩ .

(٥) جامع كرامات الأولياء ج٢ ص٤١ .

« توفي رضي الله عنه عام ٥٩٤هـ ١١٩٧ ـ ١١٩٨م »[١] برباط العباد قرب تلمسان ، وقد قارب الثمانين سنة ولا يزال قبره بالعُبَّاد إلى الآن يقصده الناس من كل حدب وصوب[٢] رضي الله عنه ونفعنا به وحشرنا معه تحت لواء سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام .

☆☆ ☆☆ ☆☆

---

(١) دائرة المعارف المجلد الأول ص٣٩٩ .
(٢) المرجع السابق المجلد الأول ص ٤٠٠ .

القصيدة

مَـا لَـذَّةُ الْعَيْـشِ إِلاَّ صُحْبَـةُ الْفُقَـرا
هـمُ السَّـلاَطِيـنُ وَالسَّـادَاتُ وَالأُمَـرا

فَـاصْحَبْهُـمُ وَتَـأَدَّبْ فِـي مَجـالِسِهِـمْ
وخَـلِّ حَظَّـكَ مَهْمَـا قَـدَّمُـوكَ وَرَا

وَاسْتَغْنِمِ الْـوَقْتَ وَاحْضُـرْ دَائِماً مَعَهُـمْ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ الرِّضَى يَخْتَصُّ مَنْ حَضَرا

وَلاَزِمِ الصَّمْـتَ إلاَّ إنْ سُئِلْـتَ فَقُـلْ
لاَ عِلْمَ عِنْدِي وَكُنْ بِالجَهْلِ مُسْتَتِرا

وَلاَ تَـرَى العَيْـبَ إلاَّ فِيـكَ مُعْتَقِـداً
عَيْبـاً بَـدَا بَيِّنـاً لَكِنَّـهُ اسْتَتَـرا

وحُـطَّ رَأْسَـكَ وَاسْتَغْفِـرْ بِـلاَ سَبَـبٍ
وَقِـفْ عَلَـى قَـدَمِ الإِنْصَـافِ مُعْتَـذِرَا

وإنْ بَـدَا مِنْـكَ عَيْـبٌ فَـاعْتَـذِرْ وَأَقِـمْ
وَجْهَ اعْتِذَارِكَ عَمَّا فِيكَ مِنْكَ جَرَى

وَقُـلْ عُبَيْـدُكُـمُ أَوْلَـى بِصَفْحِكُـمُ
فَسَـامِحُـوا وَخُـذُوا بِـالـرِّفْـقِ يَـا فُقَـرا

هُمْ بِالتَّفَضُّلِ أَوْلَى وَهْوَ شِيمَتُهُمْ
فَلاَ تَخَفْ دَرَكاً مِنْهُمْ وَلاَ ضَرَرا

وَبِالتَّفَتِّي عَلَى الإِخْوَانِ جُدْ أَبَداً
حِسّاً وَمَعْنًى وَغُضَّ الطَّرْفَ إِنْ عَثَرا

وَرَاقِبِ الشَّيْخَ فِي أَحْوالِهِ فَعَسَى
يَرَى عَلَيْكَ مِنِ اسْتِحْسَانِهِ أَثَرا

وَقَدِّمِ الْجِدَّ وَانْهَضْ عِنْدَ خِدْمَتِهِ
عَسَاهُ يَرْضَى وَحَاذِرْ أَنْ تَكُنْ ضَجِرا

فَفِي رِضَاهُ رِضَى البَارِي وَطَاعَتُهُ
يَرْضَى عَلَيْكَ فَكُنْ مِنْ تَرْكِهِ حَذِرا

وَاعْلَمْ بِأَنَّ طَرِيقَ الْقَوْمِ دَارِسَةٌ
وَحَالُ مَنْ يَدَّعِيهَا الْيَوْمَ كَيْفَ تَرى

مَتَى أَرَاهُمْ وَأَنَّى لِي بِرُؤْيَتِهِمْ
أَوْ تَسْمَعِ الأُذْنُ مِنِّي عَنْهُمْ خَبَرا

مَنْ لِي وَأَنَّى لِمِثْلِي أَنْ يُزَاحِمَهُمْ
عَلَى مَوَارِدَ لَمْ آلَفْ بِهَا كَدَرا

أُحِبُّهُمْ وَأُدَارِيهِمْ وَأُوثِرُهُمْ
بِمُهْجَتِي وَخُصُوصاً مِنْهُمُ نَفَرا

قَوْمٌ كِرَامُ السَّجَايَا حَيْثُ مَا جَلَسُوا

يبْقَى الْمَكَانُ عَلَى آثَارِهِمْ عَطِرا

يَهْدِي التَّصَوُّفُ مِنْ أَخْلاَقِهِمْ طُرُقاً

حُسْنُ التَّآلُفِ مِنْهُمْ رَاقَنِي نَظَرا

هُمْ أَهْلُ ودِّي وَأَحْبَابِي الَّذِينَ هُمُ

ممَّنْ يَجُرُّ ذُيُولَ الْعِزِّ مُفْتَخِرَا

لا زَالَ شَمْلِي بِهِمْ فِي الله مُجْتَمِعاً

وذَنْبُنَا فِيهِ مَغفُوراً وَمُغْتَفَرا

ثُمَّ الصَّلاَةُ عَلَى المُخْتَارِ سَيِّدِنَا

مُحَمَّدٍ خَيْرِ مَنْ أَوْفَى وَمَنْ نَذَرَا



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ العارف ، القدوة المحقق ، تاج العارفين ، ولسان المتكلمين ، إمام وقته ، ووحيد عصره ، تاج الدِّين أبو الفضل ، أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري - رضي الله عنه ونفعنا به . . . آمين :

الحمد لله المنفرد بالخلق والتدبير ، الواحد في الحُكم والتقدير ، الملك الذي ليس له في ملكه وزير ، المالك الذي لا يخرج عن ملكه صغير ولا كبير ، المتقدس في كمال وصفه عن الشبيه والنظير ، المنزَّه في كمال ذاته عن التمثيل والتصوير ، العليم الذي لايخفى عليه ما في الضمير ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[١] .

العالِمُ الذي أحاط علمه بمبادىء الأمور ونهاياتها ، السميعُ الذي لا فصل في سمعه بين ظاهر الأصوات وخفاياتها ، الرَّزاقُ وهو المنعم على الخليقة بإيصال أقواتها ، القيُّومُ المتكفل بها في جميع حالاتها ، الوهَّابُ وهو الذي منَّ على النفوس بوجود حياتها ، القديرُ وهو المعيد لها بعد وجود وفاتها ، الحسيب وهو المجازي لها يوم قدومها عليه بحسناتها وسيئاتها .

---

(١) سورة الملك آية ١٤ .

فسبحانه مِنْ إله مَنَّ على العباد بالجود قبل الوجود ، وقام بهم بأرزاقهم على كلتيْ حالاتهم من إقرار وجحود ، ومدَّ كلَّ موجود بوجود عطائه ، وحفظ وجود العالم بإمداد بقائه ، وظهر بحكمته في أرضه ، وقدرته في سمائه .

وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، شهادة عبد مفوِّض لقضائه ، مُسَلِّمٍ له في حُكْمه وإمضائه .

وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله المفضَّل على جميع أنبيائه ، المخصوصُ بجزيل فضله وعطائه ، الفاتحُ الخاتَمُ وليس ذلك لسوائه ، الشافعُ لكل العباد حين يجمعهم الحقُّ لفصل قضائه ، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، المستمسكين بوَلائه ، وسلَّم تسليماً كثيراً .

اِعلم يا أخي ! جعلك الله من أهل حُبِّه ، وأتحفك بوجود قربه ، وأذاقك من شراب أهل ودِّه ، وأمَّنك بدوام وَصلته من إعراضه وصدِّه ، ووصلك بعباده الذين خصهم بمراسلاته ، وجبر كَسْرَ قلوبهم لما علموا أنه لاتدركه الأبصار لنور تجلياته ، وفتح لهم رياض القرب ، وهبَّ منها على قلوبهم واردات نفحاته ، أشهدهم سابق تدبيره فيهم ، فسلَّموا إليه القِياد ، وكشف عن خفي لطفه في منعه ، فتركوا المنازعة والعناد ، فهم مستسلمون إليه ، ومتوكِّلون عليه .

أما بعد ، فقد قال ﷺ : «**يُحْشَرُ الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِه ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**»[1] .

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ج٢ ح٨٠٤٨ ، ٨٤٣٨ عن أبي هريرة رضي الله عنه =

فإذا علمتَ أيها الأخ الشقيق ! فلا تخالل إلاَّ مَنْ ينهضُك حاله ، ويدلُّك على الله مقاله ، وذلك هو الفقير المتجرد عن السَّوى ، المقبل على المولى ، فليست اللَّذة إلاَّ مخاللَتَهُ ، ولا السعادة إلا خدمتُه ومصاحبته ، فلذلك قال الشيخ العارف المتمكن أبو مدين رضي الله عنه :

مَـا لَـذَّةُ الْعَيْـشِ إلاَّ صُحْبَـةُ الْفُقَـرا
هـمُ السَّـلاَطِيـنُ وَالسَّـادَاتُ وَالأُمَـرا

أي : ما لذة عيش السالك في طريق مولاه : إلاَّ صحبة الفقراء والفقراء : جمع فقير والفقير هو : المتجرد عن العلائق ، المُعْرِض عن العوائق[1] ، لم يبق له قِبْلَةٌ ولا مقصد إلا الله تعالى ، وقد أعرض

= بدون لفظ «يحشر» ولم ترد هذه اللفظة في أي من الروايات الأخرى التي وقفنا عليه .

(١) **العوائق** : عاقه عن الشيء عَوْقاً منعه وشغله عنه ، وعوائق الدهر شواغله وأحداثه . المعجم الوسيط ص٦٣٧ .
العلائق لغة : جمع علاقة وهي الصداقة والحب اللازم للقلب ، وما تعلق به الإنسان من صفاته وغيرها ، وفي الحديث : « **ومن تعلق شيئاً وكل إليه** » ، لسان العرب ج٩ ص٣٥٨ .
واصطلاحاً : هي الأسباب التي يتعلق بها الطالبون ، ويفوتهم بسببها المراد .
وقطع العلائق هو انشغال العبد بها حتى تقطعه عن الله تعالى ، ـ معجم المصطلحات الصوفية ص١٨٦ .
وقال سيدي عبد القادر عيسى رحمه الله تعالى : **العلائق** : موانع قلبية لها علاقة بالوساوس ، أما العوائق فهي موانع حسية خارجية .

عن كل شيء سواه ، وتحقق بحقيقة : « **لا إله إلا الله محمد رسول الله** » .

فمثل هذا مصاحبته تذيقك لذَّة الطريق ، وتريق في جميع فؤادك من شراب القوم أهنى رحيق ، ويُعرِّفك الطريق ، ويقطع لك العتاب ، ويزيل عن قلبك التعويق ، وينهضك بهِمَّته ، ويرفعك إلى أعلى الدرجات ، ومن كان كذلك فهو السلطان على الحقيقة ، والسيد على أهل الطريقة ، والأمير على أهل البصيرة ، فلا تخالف أيها السالك طريقه ، فاجتهد أيها السالك المُجِدُّ في تحصيل هذا الرفيق ، واصحبه وتأدب في مجالسه ، ويزيل عنك ببركة صحبته كلَّ تعويق ، كما قال رضي الله تعالى عنه :

فَاصْحَبْهُمُ وَتَأَدَّبْ فِي مَجَالِسِهِمْ
وخَلِّ حَظَّكَ مَهْمَا قَدَّمُوكَ وَرا

أي : اصحب الفقراء وتأدب معهم في مجالستهم ، فإن الصحبة شبحٌ . والأدب روحها ، فإذا اجتمع لك بين الشبح والروح ، حُزت فائدة صحبته ، وإلاّ كانت صحبتك ميتة ، فأي فائدة ترجوها من الميت ؟! .

ومن أهمِّ أدب الصحبة : أن تخلِّفَ حظوظك وراك ، ولا تكن همَّتُك مصروفة إلاَّ لامتثال أوامرهم ، فعند ذلك يُشكر مسعاك .

فإذا تخلقتَ بذلك فبادر واستغنم الحضور ، وأخلص في ذلك تُرفع درجتُك ، وتعلو هِمَّتُكَ ، والقصور كما قال رضي الله عنه :

وَاسْتَغْنِمْ الْوَقْتَ وَاحْضُرْ دَائِماً مَعَهُمْ
واعْلَمْ بِأَنَّ الرِّضَى يَخْتَصُّ مَنْ حَضَرا

أي : واستغنم وقت صحبة الفقراء ، واحضر دائماً معهم بقلبك وقالَبك ، تسري إليك زوائدهم ، وتغمرك فوائدهم ، وينصح ظاهرك بالتأدب بآدابهم ، ويشرق باطنك بالتحلِّي بأنوارهم ، فإنَّ من جالَسَ جانَس ، فإنْ جلستَ مع المحزون حزنتَ ، وإن جلست مع المسرور سُررتَ ، وإن جلستَ مع الغافلين سَرَتْ إليك الغفلة ، وإن جلستَ مع الذاكرين انتبهتَ من غفلتك ، وسَرَتْ إليك اليقظة ، فإنهم القوم لا يشقى جليسهم ، فكيف يشقى خادمهم ومحبهم وأنيسهم؟! وما أحسن ما قيل :

لِـي سَادَةٌ مِـنْ عِـزِّهِـمْ أَقْـدَامُهُـمْ فَـوْقَ الْجِبَـاهْ
إنْ لَـمْ أَكُـنْ مِنْهُـمْ فَلِي فِي حُبِّهِمْ عِزٌّ وَجَاهْ[1]

واعلم أن هذا الرضى وهذا المقام : يخص من حضر معهم بالتأدب ، وخرج عن نفسه ، وتحلَّى بالذِّلَّة والانكسار ، فاخرج عنك إذا حضرت بين أيديهم ، وانطرحْ وانكسرْ إذا حللتَ بناديهم ، فعند ذلك تذوق لذة الحضور ، واستعن على ذلك بملازمة الصمت ، تشرق لك أنوار الفرح ، ويغمرك السرور ، كما قال رضي الله عنه :

وَلاَزِمِ الصَّمْـتَ إلاَّ إنْ سُئِلْـتَ فَقُـلْ
لا عِلْمَ عِنْدِي وَكُنْ بِالْجَهْلِ مُسْتَتِرا

(١) البيتان منسوبان لابن عطاء الله السكندري رضي الله عنه في ديوان « قصائد وأناشيد السادة الصوفية » ص٢٤٧ .

الصمت عند أهل الطريقة مَنْ لاَزَمَهُ ارتفع بنيانه ، وتَمَّ غراسه ، وهو نوعان :

صمتٌ باللسان ، وصمتٌ بالجَنَان[١] .

وكلاهما لا بُدَّ منه في الطريق ، فمن صمت قلبه ونطق لسانه نطق بالحكمة ، ومن صمت لسانه وصمت قلبه تجلَّى له سره ، وكلَّمه ربُّه ، وهذا غاية الصمت ، وكلام الشيخ قابلٌ لذلك .

فالزم الصمت أيها السالك إلا إن سُئلت ، فإن سئلت فارجع إلى أصلك[٢] ووصلك[٣] وقل : لاعلم عندي واستتر بالجهل ، تشرق

---

(١) سألت سيدي الشيخ أحمد فتح الله جامي حفظه الله تعالى عن صمت الجنان ، فأجاب : لا بد للمرء أن يقطع عن قلبه جميع ما يشغله عن ربه ، حتى لو ظهرت خوارق العادة والأنوار والفيوضات ، فعليه أن يقطع بجَنانه كل الشواغل لتبقى إبرة قلبه تجاه خالقه .

(٢) **أصلك لغة** : أصل الشيء أساسه الذي يقوم عليه ، ومنشؤه الذي ينبت منه . « معجم الوسيط » ص٢١ .
واصطلاحاً : هو الشيء الذي يكون له تزايد . « معجم مصطلحات الصوفية » ص ١٧ . وأصل الإنسان عدمه . يقول سيدي الشيخ أحمد فتح الله جامي حفظه الله تعالى في « الدرر البهية في الوصايا الجامية » في الوصية / رقم ٤٢٨ / :
« لو رجعت إلى أصلك لوجدت أصلك عدماً فمن نقلك من العدم إلى الوجود؟ ومن أوجد لك كل ما يتعلق بك من حوائج؟ الذي أوجدك وأوجد حوائجك هو الله تعالى . . » .

(٣) **الوصل لغة** : ضد الهجران ، والوصل خلاف الفصل ، وفي التنزيل : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ ﴾ وصلنا ذكر الأنبياء واقاصيص من مضى بعضها =

لك أنوار العلم اللَّدُنِّي(١) ، فإنك مهما اعترفتَ بجهلك ، ورجعتَ إلى أصلك ، لاحتْ لك معرفة نفسك ، فإذا عرفتها عرفتَ ربَّك ، كما روي في الحديث : «من عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ»(٢) . وكل ذلك

= ببعض لعلهم يعتبرون . « لسان العرب » ج١٥ ص٣١٧ .
واصطلاحاً : هو الانقطاع عما سوى الحق ، وليس المراد به اتصال الذات بالذات لأن ذلك إنما يكون بين جسمين .
وهذا التوهم في حقه تعالى كفر .

وأدنى الوصال مشاهدة العبد ربه تعالى بعين القلب ، فإذا رفع الحجاب عن قلب السالك ، وتجلى له ، يقال إن السالك الآن واصل (معجم المصطلحات الصوفية) ص٢٦٧ .

وسألت سيدي الشيخ أحمد فتح الله جامي حفظه الله تعالى عن الوصل .
فأجاب : الوصل هو الخروج في ظل معراج رسول الله ﷺ الذي وضع أسيادنا نوعاً منه في الخلوات ، ليريه الله من عجائبه الغائبة عن العامة ، والوصول ليس بالمسافة بل بقطع العلائق عن الخلائق واتصاله بالخالق ، عندئذ يحصل استيلاء العظمة على الكونين لا يغيب عن خالقه لمحة إلا بالطبيعة البشرية ، حين ذاك تكون أيها الإنسان جاهلاً عما عندك وتكون عالماً بما عنده ، كيف يشاء جل وعلا لا كما تشاء .

(١) **العلم اللدني لغة** : علم رباني يصل لصاحبه عن طريق الإلهام « معجم الوسيط ص٨٢٢ .
اصطلاحاً : هو العلم الذي يتعلمه العبد من الله تعالى من غير واسطة ملك أو نبي ، بالمشاهدة كما كان الخضر عليه السلام . قال تعالى : ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ ، وقيل : هو معرفة ذات الله تعالى ، وصفاته علماً يقينياً من مشاهدة وذوق ببصائر القلوب « معجم مصطلحات الصوفية » ص١٨٨ .

(٢) « **من عرف نفسه عرف ربه** » قال ابن تيمية : موضوع ، وقال النووي قبله : ليس بثابت إنما يحكى عن معاذ الرازي ، وذكر بعض الأصحاب أن الشيخ =

من فوائد الصمت ولزوم آدابه ، فاصمت وتأدب ولازم الباب ، تكن من أحبابه ، وما أحسن ما قيل :

لاَ أَبْرَحُ الْبَابَ حَتَّى تُصْلِحُوا عِوَجِي
وتَقْبَلُونِي عَلَى عَيْبِي وَنُقْصَانِي
فَإِنْ رَضِيتُمْ فَيَا عِزِّي وَيَا شَرَفِي
وإنْ أَبَيْتُمْ فَمَنْ أَرْجُو لِعِصْيَانِي؟![1]

فانهض أيها الأخ إلى باب مولاك بهمة عَلِيّة ، وتحقّقْ بعبوديتك تُشرق عليك أنواره السَّنِيّة ، كما أشار إلى ذلك الشيخ رضي الله عنه بقوله :

وَلاَ تَرَى الْعَيْبَ إلاَّ فِيكَ مُعْتَقِداً
عيْباً بَدَا بيِّناً لَكِنَّهُ اسْتَتَرا

أي : تحقق بأوصافك من فقرك وضعفك ، وعجزك وذلتك ، فإذا تحققت بأوصافك وشهدت لنفسك عيوباً لكنها مستترة ، فعند ذلك تحظى بظهور أوصاف مولاك فيك ، كما قيل : سبحان من ستر سر

= محي الدين رضي الله عنه قال : هذا الحديث وإن لم يصح من طريق الرواية ، فقد صح عندنا [معناه] من طريق الكشف ، وقال النجم : قلت : وقع في « أدب الدين والدنيا » للماوردي عن عائشة سئل النبي ﷺ من أعرف الناس بربه قال : « **أعرفهم بنفسه** » . « كشف الخفا » ج٢ ح٢٥٣٢ .

(١) لا أبرح الباب . . .
وردت الأبيات في « ديوان قصائد وأناشيد السادة الشاذلية » ص١٧٠ بدون قائل مع بعض التعديل .

الخصوصية في ظهور البشرية ، وظهر بعظمة الربوبية في إظهار العبودية[1] . وافهم من هنا سرَّ معنى قوله : ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾[2] ، ولم يقل برسوله ، ولا بنبيه أشار إلى ذلك المعنى الرفيع الذي لاينال إلا من العبودية ، ولذلك قيل :

لا تَــدْعُنِـي إلاَّ بِيَــا عَبْــدِهَــا ... فَــإنَّــهُ أَشْــرَفُ أَسْمَــائِـيَ[3]

فانكسر أيها الأخ ، وانطرح بالطريق ، ولا ترى لك حالاً ولا مقالاً ، يزل عنك كل تعويق ، واستغفر من كل ما يخطر بقلبك في

---

(١) « سبحان من ستر سر الخصوصية . . . » ، قال ابن عجيبة رضي الله عنه : اعلم أن أوصاف البشرية التي ستر الله بها سر الخصوصية إنما هي الأوصاف الذاتية اللازمة للبشر ، كالأكل والشرب والنوم والنكاح ، لا الأوصاف المذمومة المناقصة للعبودية كالكبر والعجب والحسد والغضب ، وغير ، ذلك فإن تلك أوصافٌ ذهبت بظهور نور العناية ، وسابق الهداية ، إذ لاتثبت الخصوصية إلا بعد محوها بخلاف الأوصاف الذاتية فإنها لجامع الخصوصية . « إيقاظ الهمم » ص١٥٧ .

وقال الشيخ أحمد زروق رضي الله عنه : فبقدر ما يظهر على العبد من آثار الأوصاف على عجزه وفقره وذله وضعفه يتبين وجود غنى الحق وعزه وقدرته . . .

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه : « العبودية جوهرة أظهرتها الربوبية » ، فإذن : تَحقُّقُ الخصوصية في التحقق في العبودية ، والتحقق في العبودية بترك كل ما سوى الحق له وبه . « شرح الحكم لأحمد زروق » ٢٠٧ .

(٢) سورة الإسراء آية : « ١ » .

(٣) ذكر في « الرسالة القشيرية » في باب العبودية ص٢٠٠ بدون قائل ، وذكر أن أبا العباس المرسي رضي الله عنه كثيراً ما كان يتمثل بهذا البيت .

عبوديتك ، وقم على قدم الاعتراف ، وانصف من نفسك تبلغ أعلى درجات المنازل ، وتفنى بشرِيَّتُكَ ، كما قال رضي الله عنه :

وحَـطَّ رَأسَـكَ وَاسْتَغْفِـرْ بِـلاَ سَبَـبِ

وقِـفْ عَلَـى قَـدَمِ الإنْصَـافِ مُعْتَـذِرا

أي : تواضع وانكسر وحطَّ أشرف ما عندك ، وهو رأسك ، في أخفض ما يكون ، وهي الأرض ، لتحوز مقام القُرْب ، كما ورد في الحديث : «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ إلى اللهِ تعالى وهُوَ سَاجِدٌ**»[١] ، لأن قرب العبد بتواضعه وانكساره وخروجه عن أوصاف بشريته[٢] ،

---

(١) «**أقرب ما يكون العبد إلى ربه تعالى وهو ساجد**» رواه البزار عن ابن مسعود رضي الله عنه في « كنز العمال » ج٧ ح ١٨٩٣٥ .
ورُوِيَ بغير هذا اللفظ عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « **أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء** » ، رواه مسلم : في باب أقرب ما يكون العبد من الله عز وجلّ ج١ ح٢١٥ ، والنسائي في سننه : في باب أقرب ما يكون العبد من الله عز وجل ج٢ ح١١٣٧ .
وأبو داود في سننه : في باب الدعاء في الركوع والسجود ج١ ح٨٧٥ .

(٢) أوصاف بشريته : سألت سيدي الشيخ أحمد فتح الله جامي حفظه الله تعالى عن الخروج عن الأوصاف البشرية فأجاب :
لا يحصل ذلك إلا باتباع الكتاب والسنة المطهرة ، لأن الرسول ﷺ يشترك معنا ببعض الأوصاف البشرية ، مثل الأكل والنوم والنكاح وغير ذلك ، ويفضل عنّا بالطبيعة البشرية الباطنية ، وهو ﷺ أسوة لنا ، لذا لا بُدَّ أن نتمسك بسنته الباطنية كعدم الدفاع عن النفس والإنزعاج عمن خالفنا في رأينا .
فليكن جسمك هيكلاً بالتمسك بالسنة النبوية ، وليكن قلبك نورانياً ملكياً =

(٢)
(٣)

وَاشْهَدْ نفسك دائماً مذنباً ، ولو لم يظهر عليك سبب الذنب ، فإن العبد لا يخلو من تقصير ، وقف على قدم الإنصاف من ذنوبك خجلاً من سيئاتك وعيوبك ، فإن من عامل المخلوق هذه المعاملة أحبه ، ولم يشهد له ذنباً ، وكانت مساويه عنده محاسن ، فكيف إذا عامل بهذه المعاملة صاحبه الحقيقي الذي إذا تحققه ليس له صاحب سواه كما ورد في الحديث : «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ والْخَلِيفَةُ في الأَهْلِ والْمَالِ وَالْوَلَدِ**»[1] .

فتأهب أيها الأخ لهذه المعاملة مع إخوانك الفقراء ، لتصير لك معراجاً تتوصل به إلى معاملة ربِّ السماء ، وتكون مقبولاً عند الخلق والخالق ، وتصفو لك المعاملة ، وتشرق عليك أنوار الحقايق .

قال رضي الله عنه :

وإنْ بَـدَا مِنْـك عَيْـبٌ فَـاعْتَـذِرْ وَأَقِـمْ
وجْهَ اعْتِذَارِكَ عَمَّا فِيكَ مِنْكَ جَرَى

= بالطبيعة الباطنية للرسول الأعظم ﷺ ، هذا لايكون لأحد من البشر ، ولا يطيق هذا إلا بتوفيق الله والصدق مع رسول الله ﷺ ، وكلما خُففت الطبيعة البشرية تقوى الطبيعة الملكية فيصبح ظاهره بشر وباطنه ملك .

(١) «**اللهم أنت الصاحب . . .**» الحديث أخرجه مسلم في كتاب الحج ج٢ ح١٣٤٣ وابن ماجه في باب ما يدعو الرجل إذا سافر ج٢ ح٣٨٨٨ والترمذي في كتاب الدعوات ج٥ ح٣٤٣٩ والدرامي ج٢ ح٢٦٧٢ ـ ٢٦٧٣ بدون لفظ المال والولد ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ «**كان إذا سافر فركب راحلته كبر ثلاثاً . . . اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل ، اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا بخير**» .

وَقُلْ عُبَيْدُكُمُ أَوْلَى بِصَفْحِكُمُ
فَسَامِحُوا وَخُذُوا بِالرِّفْقِ يَا فُقَرا
هُمْ بِالتَّفَضُّلِ أَوْلَى وَهْوَ شِيمَتُهُمْ
فَلاَ تَخَفْ دَرَكاً مِنْهُمْ وَلاَ ضَرَرا

أي : ليكن شأنك دائماً التواضع والانكسار وطلب المعذرة والاستغفار ، سواء وقع منك ذنب أو لم يقع ، وإن بدا منك عيب أو ذنب فاعترف واستغفر ، فإن التَّائِب من الذَّنْبِ كَمَنْ لاذَنْبَ لَهُ .

وليس الشأن أن لا تُذنب ، إنما الشأن أن لا تُصرَّ على الذنب ، كما ورد : « **أنينُ المُذْنِبين عندَ الله خيرٌ من زَجَلِ المسبِّحين عُجْباً وافتخاراً** »[1] .

ولذلكَ قلتُ في الحِكَم : رُبَّمَا فَتَحَ لَكَ بَابَ الطَّاعَةِ وَمَا فَتَحَ لَكَ بَابَ القَبُولِ ، وقَضَى عَلَيْكَ بالذَّنْبِ وكَانَ سَبَباً للوُصُولِ ، رُبَّ مَعْصِيَةٍ أَورَثَتْ ذُلاًّ وانكِسَاراً ، خَيْرٌ مِنْ طَاعَةٍ أَوْرَثَتْ عِزّاً وَاسِتكْبَاراً[2] .

---

(١) « **أنين المذنبين عند الله خير من زجل المسبحين** . . . » ، « كشف الخفاء » ج١ ح٨٠٥ . لينظر .

(٢) « ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول . . . » ، قال ابن عَبَّاد رضي الله عنه :
ينبغي أن لا ينظر العبد إلى صور الأشياء ، ولينظر إلى حقائقها ، فصور الطاعات لا تقتضي وجود القبول لها ، لما قد تتضمنه من الآفات القادحة في الإخلاص فيها ، وذلك مانع من وجود القبول لها ، ووجود صورة الذنب ألا تقتضي الإبعاد والطرد ، بل ربما يكون ذلك سبباً في وصوله=

ومع اعترافك واستغفارك أقم وجه اعتذارك عما جرى منك ، فيكون ذلك ممحى للذنب ، وادخل في القبول ، وذلّ ، وتواضع ، وانكسر ، وقل : عُبَيْدكُمُ أولى بصفحكُمُ ، لأن العبد ليس له إلا باب

= إلى ربه وحصوله في حضرة قربه .

وقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم**» ، رواه مسلم وغيره .

قال الحارث المحاسبي : « إنما إراد الله عز وجل من عباده قلوبهم لتكون جوارحهم تبعاً لقلوبهم » . « غيث المواهب » ص٢٤٦ .

قال الشيخ أحمد زروق رضي الله عنه : باب القبول ثلاثة أمور :

أحدها : **التقوى** ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ فكل عمل لا تقوى معه لافائدة له إلا ما يرجى .

الثاني : **الإخلاص** : إذ لايقبل إلا ما أريد به وجهه ، لحديث : يقول الله تعالى : « **أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، ومن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشريكه** . . » . رواه ابن ماجه .

الثالث : **اتقانه بالسنة واتباع الحق** : إذ لا يقبل الله عمل عامل إلا بالصدق واتباع الحق .

وقال أيضاً : أبوب الهداية والخير التي أصولها ثلاث :

الإنكسار : إذ قال تعالى في الحديث : «**أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي**» .

والتوبة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾ .

والتشمير مع الحذر الموجبين للجدّ والإخلاص المخلّصين من العيوب والذنوب فقد ورد في الحديث : «**رُبَّ ذنب أدخل صاحبه الجنة**» .

وقال الشيخ أبو مدين رضي الله عنه « **انكسار العاصي خير من صولة المطيع** » ، وإنما ينسيك أفعالك رؤية تقصيرها أو شهود منّته تعالى المستَغرِق لها وهو أولى . « شرح الحكم لأحمد زروق » ص١٩٥ ، ١٩٨ .

مولاه ، وما أحسن ما قيل :

أَلْقَيْتُ فِي بَابِكُمْ عِنَانِي وَلَمْ أُبَالِ بِمَا عَنَانِي

فَزَالَ قَبْضِي وَزَادَ بَسْطِي وَانْقَلَبَ الْخَوْفُ بِالأَمَانِي

فسامحوا عُبَيْدكم يا فقراء ، وخذوا بالرفق وعاملوني به ، فإني عبد فقير لايصلحني إلا المعاملة بالرِّفق والفضل ، ولا اعتماد لي إلا على الفضل ، لا بِحَوْلِي ولا قوتي ، مذهبي العجز والسلام .

ثم قال رضي الله عنه : إنهم بهذا الشيء ، وهو شيمتهم[١] ، ولم يزالوا متفضلين ، وهذه معاملتهم مع أصحابهم ، وهي سجيتهم[٢] ، وكيف لاتكون سجيتهم وهم متخلقون بأخلاق مولاهم ، كما ورد ، «**تخلقوا بأخلاق الله**»[٣]، فلا تخف منهم ضرراً أيها السالك المصاحب لهم ، وتمسك بأذيالهم فإنهم القوم لايشقى جليسهم .

فإذا عرفتَ ذلك أيها السالك ، فتخلق بأخلاقهم الكريمة ، وجد بالتفتي[٤] على الإخوان ، وغض الطَّرْف عن عثرتهم ، تكن آخذاً من أوصافهم أحسن هيئة ، قال رضي الله عنه :

---

(١) **شيمتهم** : الشيمة هي الخُلُق جمعها شِيَمٌ ، « المعجم الوسيط » ص٥٠٤ .

(٢) **سجيتهم** : السجية هي الطبيعة والخُلُق جمعها سجايا ، « المعجم الوسيط » ص٤١٨ .

(٣) تخلقوا بأخلاق الله : لم أجده .

(٤) **التفتي** : الفَتِيُّ السخي الكريم ، يقال : هو فتىً بَيِّنُ الفتوة ، وقد تفتى وتفاتى ، والجمع فتيان وفتية . قال ابن بري : الفتى الكريم ، هو في الأصل مصدر فَتِيَ فتىً إذا وُصف به ، وفي حديث عمران بن حصين : (جزعة أحب إليَّ من هَرِمَةٍ ، الله أحق بالفتاء والكرم) ، الفتاء بالفتح والمد : المصدر من الفتى .

وَبِـالتَّقَـى عَلَـى الإِخْـوَانِ جُـدْ أَبَـداً
حِسّاً وَمَعْنَىً وَغُضَّ الطَّرْفَ إِنْ عَثَرَا

أي : وتكرَّم على إخوانك وجد عليهم أبداً ، إمّا في الحس : فببذل الأموال ، وإما في المعنى : فبصرف همة الأحوال ، ولاتبخل عليهم بشيء يمكنك إيصاله إليهم ، فإن السماحة لُبُّ الطريق ، ومن تخلَّقَ بها فقد زال عن قلبه كل تعويق .

قال الشيخ عبد القادر رضي الله عنه[١] :

---

(١) عبد القادر الجيلاني (٤٧٠ ـ ٥٦١ هـ) : هو الشيخ الإمام الزاهد العارف ، شيخ الاسلام ، سلطان الأولياء ، إمام الأصفياء ، عبد القادر بن عبد الله بن جنكي دوست الجيلاني الحنبلي ينتهي نسبه إلى سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء رضي الله عنهم أجمعين .
ولد سنة ٤٧٠ هـ بجيلان وراء طبرستان وقدم بغداد شاباً وأقام فيها . حتى توفي ودفن فيها عام ٥٦١هـ .
طلبه للعلم : كان أول تلقيه القرآن الكريم ، ثم سمع الحديث من أبي غالب الباقلاني وجعفر السراج وغيرهم ، وقرأ الأدب على أبي زكريا التبريزي ، وتفقه على أيدي مشاهير عصره حتى ألمّ بعلوم الشريعة والطريقة واللغة والأدب .
مناقبه : كان غوث زمانه ، وإمام وقته ، وفريد عصره على حالٍ من الغيرة لله والشرع الشريف ، محباً للفقراء متواضعاً للصلحاء والعلماء ورعاً خائفاً .
قال السمعاني : هو إمام الحنابلة وشيخهم في عصره ، فقيه صالح ، كثير الذكر دائم الفكر ، وهو شديد الخشية ، مجاب الدعوة أقرب الناس للحق ولا يرد سائلاً ولو بأحد ثوبيه .
فوِّضَتْ إليه مدرسة شيخه المخرّمي رضي الله عنه ، وأقام فيها يدرس ويعظ الناس إلى أن ضاقت بالناس ، الذين قُدِّرَ عددهم بسبعين ألف إنسان . =

. . . .

أظهر الله الحكمة من قلبه على لسانه . حتى صار أحد أركان الولاية الأقوياء الذين وقع الإجماع على ولايتهم عند جميع أفراد الأمة المحمدية .

تتلمذ على يديه عدد كبير من الفقهاء والعلماء والمحدثين وأرباب الأحوال والمقامات أمثال : شيخ العراق الزاهد الحسن بن مسلم الفارسي العراقي (ت ٥٩٤هـ) ، وأمثال قاضي الديار المصرية عبد الملك بن عيسى الماراني الكردي الشافعي (ت ٦٠٥هـ) ، وسيدي شعيب أبو مدين رضي الله عنهم أجمعين .

قال الإمام الشعراني رضي الله عنه : إنه توضأ يوماً فبال عليه عصفور فرفع رأسه إليه وهو طائر فوقع ميتاً ، فغسل الثوب ثم باعه وتصدق بثمنه ، وقال : هذا بهذا .

وقال تلميذه الهروي : خدمت الشيخ أربعين سنة فكان في مدتها يصلي الصبح بوضوء العشاء .

قال المناوي : من كراماته أنه كان حين رضاعه لايرضع ثدي أمه في رمضان ، وكان الذباب لا يصيبه وراثة من جده المصطفى ﷺ .

وكراماته كثيرة جداً ثبتت بالتواتر وتناقلتها الأمة المحمدية عن الأئمة من عصره إلى عصرنا ، وقد ألف فيها الكتب الكثيرة ككتاب « قلائد الجوهر » للتادفي الحلبي .

من حكمه : في كتاب « **الفتح الرباني** » المجلس الثالث عشر ص٦٣ ما يلي :

يا غلام قدم الآخرة على الدنيا فإنك تربحهما جميعاً ، وإذا قدمت الدنيا على الآخرة خسرتهما جميعاً عقوبة لك . .

الجاهل كل همّه الدنيا ، والعارف كل همه الآخرة . ثم يقول : العارفون يعرف بعضهم بعضاً . . .

ويقول : وا أسفاه عليكم يا خلق الله ، ما تعرفون خالقكم حق معرفته؟

له تصانيف عديدة . . . في الأصول والفروع وفي أهل الأحوال والحقائق ، أهمها :

١ ـ أورد الجيلاني . ٢ ـ الحزب الكبير . ٣ ـ الرسالة الغوثية . ٤ ـ الفتح الرباني

إخواني ! ما وصلت إلى الله تعالى بقيام ليل ولا صيام نهار ، ولا دراسة علم ، ولكن وصلتُ إلى الله بالكرم والتواضع وسلامة الصدر .

فدلَّ كلام الشيخ رضي الله عنه : أن الكرم هو الأساس ، وأن التواضع يتم للسالك به الغراس ، فإذا تم له هذان الأمران : سلم صدره من العلائق ، وزال عن طريقه كل عائق ، ولذلك ورد في الحديث : «إنَّ فِي الْجَنَّةِ لغُرَفاً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا ، أَعَدَّهَا اللهُ تَعَالَى لِمَنْ أَلاَنَ الْكَلاَمَ ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وَتَابَعَ الصِّيَامَ ، وَصَلى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»[١] فتأمل هذا الحديث يا أخي ! حيث بدأ ﷺ بإلانة الكلام ـ وهو إشارة إلى التواضع ـ ثم ثنى بإطعام الطعام ـ وهو إشارة إلى الكرَم ـ ثم أتى بعد ذلك بالصلاة والصيام ، كما أشار إليه الشيخ عبد القادر رضي الله عنه .

فانهض يا أخي إلى هذه المآثر ، وبادر واجمع معها حُسْنَ مكارم الأخلاق ، وغض الطرف عن مساوي الإخوان إن وقفتَ منهم على عثرة ، ولا تشهد إلا محاسنهم ، كما قال رضي الله عنه في حِكَمه ،

= والفيض الرحماني . ٥ ـ الفيوضات الربانية . ٦ ـ سر الأسرار . وغيرها كثير . نقلاً عن « سر الأسرار » بتصرف وكتاب « روضة الناظرين » ص٣٩ و « الفتح الرباني والفيض الرحماني » ص٦٣ .

(١) لعل هذا الحديث روي بالمعنى ، وقد ورد بعدة روايات أقربها لهذا اللفظ ، ما أورده الإمام أحمد في مسنده ج٢ ح٦٦٢٣ ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال : (إنَّ في الجَنَّةِ غُرْفَةً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا) ، فقال أبو موسى الأشعري : لمن هي يا رسول الله ، قال : (لِمَنْ أَلاَنَ الكَلاَمَ وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ وباتَ لله قائماً والنَّاسُ نِيام) .

« الفتوحية[1] : رؤية محاسن العبيد والغيبة عن مساويهم[2] » ، ذلك

---

(١) الفتوحية : وردت هكذا في عدة نسخ ولعلها الفُتُوَّةُ كما أوردها سيدي الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي في كتابه « المواد الغيثية » وهو شرح لحكم أبي مدين رضي الله عنه ج٢ ص١٦٣ .
الفتوة لغةً : الكامل الجزل من الرجال . « لسان العرب » ج١٠ ص١٨٢ .
واصطلاحاً : هي أن تؤثر الخلق على نفسك بالدنيا والآخرة .
وقيل : أن لاترى لنفسك فضلاً على غيرك ، وقيل : الفتى من لاخصم له ، وقيل : هي كسر الصنم في قصة الخليل ، عن بعض قومه ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ فصنم كل إنسان نفسه ، فمن خالف هواه فهو فتى على الحقيقة . « معجم المصطلحات الصوفية » ص٢٠٤

(٢) والأصح قوله رضي الله عنه :
الفُتُوَّةُ رؤية محاسن العبيد والغَيبة عن مساويهم وشرحها سيدي أحمد مصطفى العلاوي بقوله :
من صفاء القلب رؤية محاسن العبيد والغيبة عن مساويهم إلا أن مراتب العارفين انحصرت في نظرات ثلاثة ، وكلها راجعة إلى الفتوة على أقسامها :
فرتبة المريدين الفناء في أفعال الحق والغيبة عن أفعال الخلق ، فإن تحقق المريد في هذه الرتبة لم يجد للخلق مساوىء لغيبته عن أفعال الخلق في شهود الفاعل لها وهو الحق عز وجل ، وإن تعددت الأفعال فالفاعل لا يتعدد . . .
ولهذا يقال : « من نظر الخلق بعين التحقيق أعذرهم ومن نظرهم بعين التشريع مقتهم » .
وينبغي لطالب الله أن تكون له عينان : فعين الحقيقة يرى بها الخلق وعين الشريعة يرى بها نفسه ليقوم بأدب الحق .
ولا يطيق المريد أن يرى محاسن الخلق بدون أن يفنى في شهود الأفعال لوجود المخالفة الجارية في نظره إلا إذا دخل هذا الميدان ، وتخلّق بهذا الشأن وردّ الأشياء لأصولها والأفعال لفاعلها ، فيجد الكلَّ حسناً لامحالة لما قيل :
وكل قبيح إن نُسِبتَ لفعله أتتك معاني الحسن فيه تسارع =

شيء من كمال التوحيد ، كما قيل :

إِذَا مَا رَأَيْتَ اللهَ فِي الكُلِّ فَاعِلاً
رأَيْتَ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ مِلاحَا[1]

فإذا تخلقتَ أيها الأخ بهذه الخصال الشريفة ، فقد تأهلت للإقبال على الشيخ ، فانهض إلى عتبة بابه ، وراقبه بهِمَّة منيفة[2] ، كما أشار إلى ذلك الشيخ بقوله :

وَرَاقِبِ الشَّيْخَ فِي أَحْوَالِهِ فَعَسَى
يَرَى عَلَيْكَ مِنْ اسْتِحْسَانِهِ أَثَرا

= فبهذه النظرة يجد الكلَّ حسناً لاغير . وإن لم يصل المريد إلى هذه الرتبة فهو على كل حال مطلوب بالكفِّ عن تتبع مساوىء الخلق لأن مساويه أكثر من غيره لو أنصف من نفسه ، ولو رجع إلى فعله من أوله إلى آخره لوجد فيه ما يغنيه عن مساوىء العبيد .

قال سيدي عبد الرحمن المجذوب رضي الله عنه :

إن الإنسان إذا أشار بإصبع إلى غيره فإن الأصابع الثلاثة من يديه يشيرون إليه
ولو لا ستر الله لافتضح كل من في الوجود

ولو كشف الإلهُ عيبَكَ للورى لرأت الخلائقُ منكَ العجائب

« المواد الغيثية » ج٢ ص١٦٣ .

(١) إذا ما رأيت الله في الكلِّ فاعلاً رأيتَ جميع الكائناتِ ملاحا
وإن لم تر إلا مظاهرَ صُنعِه حُجبتَ فصيرت الحسان قباحا

البيت الأول تمثل به كثير من القوم ، ومع كثرة ذكره لم أجد له قائلاً وذكر في « هداية المريد » ص٣٣ مع البيت الثاني .

(٢) منيفة : أناف الشيء ارتفع ، والمناف : يقال جبل عالي . « المعجم الوسيط » ص٩٦٤ . وفي حديث عائشة تصف أباها رضي الله عنهما فتقول : « ذاك طود منيف » . أي عالٍ مشرف . « لسان العرب » ج١٤ ص٣٣١ .

أي : إذا تخلقتَ بما تقدم من الآداب ، ووصلتَ بافتقارك وانكسارك إلى الشيخ ، وتمسكتَ بأثر تلك الأعتاب ، فراقب أحواله واجتهد في حصول مراضيه ، وانكسر واخضع له في كل حين ، فإنه الترياق[1] والشفاء ، وإن قلوب المشايخ ترياق الطريق ، ومن سعد بذلك تم له المطلوب ، وتخلص من كل تعويق ،

واجتهد أيها الأخ في مشاهدة هذا المعنى ، فعسى يرى عليك من استحسانه لحالِكَ أثراً .

قال بعضهم : من أشد الحرمان أن تجتمع مع أولياء الله تعالى ، ولا ترزق القبول منهم ! .

وما ذلك إلاَّ لسوء الأدب منك ، وإلاَّ فلا بخل من جانبهم ، ولا نقص من جهتهم ، كما قلتُ في الحِكَم : ما الشأن وجود الطلب ، إنما الشأن أن تورث حسن الأدب[2] .

---

(١) الترياق : ما يمنع آلياً امتصاص السم من المعدة والأمعاء . « المعجم المدرسي » ص٤٤٦ .

(٢) ما الشأن وجود الطلب إنما الشأن أن تورث حسنَ الأدب .

قال سيدي ابن عجيبة رضي الله عنه : ليس الشأن وجود صورة الطلب وإنما الشأن أن تستغني به عن كل مطلبه وترزق معه حسن الأدب والإكتفاء بعلم الله والوقوف مع مراد الله .

فالطلب عند العارفين ليس هو بلسان المقام وإنما هو بلسان الحال وهو الاضطرار وظهور الذل والافتقار . « إيقاظ الهمم » ص١٨٩ .

وقال سيدي الشيخ أحمد زروق رضي الله عنه : الأدب يختلف باختلاف الأقوال والأحوال لكنه يرجع لثلاثة : =

زار بعض السلاطين[١] ضريح أبي يزيد رضي الله عنه[٢] وقال : هل هنا أحد ممن اجتمع بأبي يزيد؟ فأشير إلى شيخ كبير في السنّ كان حاضراً هناك ، فقال له : هل سمعتَ شيئاً من كلامه؟ فقال : نعم ، قال : من رآني لاتحرقه النار! فاستغرب السلطان ذلك الكلام! فقال : كيف يقول أبو يزيد ذلك؟! وأبو جهل رأى النبي ﷺ وهو تحرقه النار؟

فقال ذلك الشيخ للسلطان : أبو جهل لم يرَ النبيَّ ﷺ ، إنما رأى يتيم أبي طالب ، ولو رآه ﷺ لم تحرقه النار .

= إقامة الفرائض واتباع السنن ومجاملة الخلق .
كما قال عليه الصلاة والسلام (**اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن**) ، وهذ الأصول التي من تركها حُرِم الوصول . « شرح الحكم لأحمد » زروق ص٢٣٠ .

(١) **السلطان** : هو محمود الغازي والشيخ هو الإمام الرباني أبو الحسن الخرقاني وذلك فيما يروي الإمام اسماعيل حقي البروسوي في تفسيره . « روح البيان » ج٣ ص٢٩٧ .

(٢) **أبو يزيد رضي الله عنه** : هو طيفور بن عيسى بن سَرُوشَان وكان جده مجوسياً فأسلم . وهم ثلاثة أخوة ، آدم وطيفور وعلي وكلهم كانوا زهاداً عباداً أرباب أحوال . « طبقات الصوفية » ص٦٧ وله أخوات صالحات عابدات وهو أجلهم وهم من أهل بسطام .
قيل لأبي يزيد : بأي شيء وصلت إلى المعرفة فقال : ببطن جائع وبدن عارٍ ، وقال إذا رأيتم الرجل قد أعطي من الكرامات حتى يرتفع في الهواء ، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود والوقوف عند الشريعة . توفي سنة إحدى وستين ومائتين . « البداية والنهاية » ج١١ ص٣٥ .

ففهم السلطان كلامه وأعجبه هذا الجواب منه .

أي : إنه لم يره بالتعظيم والإكرام واعتقاد أنه رسول الله ، ولو رآه بهذا المعنى لم تحرقه النار ، ولكنه رآه باحتقار واعتقاد أنه يتيم أبي طالب! فلم تنفعه تلك الرؤية ! .

وأنت يا أخي! لو اجتمعتَ بقطب الوقت ولم تتأدب ، لم تنفعك تلك الرؤية ، بل كانت مضرتها عليك أكثر من منفعتها .

إذا فهمت ذلك أيها السالك ! فتأدب بين يدي الشيخ ، واجتهد أن تسلك أحسن المسالك ، وخذ ما عرفت بجِدٍّ واجتهاد ، وانهض في خدمته وأخلص في ذلك ، لتَسُدْ مع من ساد ، كما قال :

وَقَـدِّمِ الْجِـدَّ وَانْهَـضْ عِنْـدَ خِـدْمَتِـهِ
عسَاهُ يَرْضَى وَحَاذِرْ أَنْ تكُنْ ضَجِرَا
فَفِـي رِضَـاهُ رِضَـى الْبَـارِي وَطَـاعَتِـهِ
يَرْضَى عَلَيْك فَكُنْ مِنْ تَرْكِهِ حَذِرَا

أي : وانهض في خدمة الشيخ بالجدِّ ، فعساك تحوز رضاه ، فتَسُود مع من ساد ، واحذر أن تضجر[1] ! ففي الضجر الفساد ، ولازم أعتاب بابه في الصباح والمساء ، لتحوز منه الوداد ، وما أحسن ما قيل :

---

(١) تضجر : ضجر بالأمر ومنه ضجراً ضاق وتبرم . « المعجم الوسيط » ص٥٣٤
والضجر القلق من الغم ، وفلان ضجر معناه ضيق النفس .
« لسان العرب » ج٨ ص٢١ .

إِصْبِرْ على مَضَضِ الإدلاجِ في السـ
ـحَرِ وللنُّذُورِ على الطَّاعَاتِ بالبُكَرِ
وقُلْ مَنْ جدَّ في أَمْرٍ يُؤَمِّلُهُ
مَا اسْتَصْحَبَ الصَّبرَ إلا فازَ بالظَّفَرِ [١]

فإن ظفرت أيها السالك برضاه ، رضي اللهُ تعالى عنك ، ونلت فوق ما تمنيتَ ، فاستقم أيها الأخ في رضى شيخك وطاعته ، تظفر بطاعة مولاك ورضاه ، وتفوز بجزيل كرامته ، فعضَّ أيها الأخ بالنواجذ[٢] على خدمة الشيخ ، إن ظفِرْتَ بالوصول إليه ، واعلم أن السعادة قد شملتك من جميع جهاتك ، إذا عرَّفك الله تعالى به ،

---

(١) اصبر على مضض الإدلاج في السـ
ـحروللنذور على . . . .
هذان البيتان للإمام علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، وذلك أن الأشعث بن قيس دخل عليه بصفين وهو قائم يصلي فقال له :
يا أمير المؤمنين أدؤوب بالليل ودؤوب بالنهار ، فانفتل من صلاته وهو يقول :
اصبر على تعبِ الإدلاج والسهر وبالرواح على الحاجات والبُكَر
لاتضجرن ولا يعجزْك مطلبُها فالنجح يُتلفَ بين العجزِ والضجرِ
إني وجدت وفي الأيام تجربةٌ للصبر عاقبةً محمودةَ الأثرِ
وقلّ من جدّ في أمر يطالبُه ما استصحب الصبر إلا فاز بالظفرِ
« ديوان الإمام علي كرم الله وجهه » قافية الراء ص٤٠ .

(٢) **النواجذ** : أقصى الأضراس وهي أربعة في أقصى الأسنان بعد الأرحاء . ومنه حديث العرباض (عضوا عليها بالنواجذ) أي تمسكوا كما يتمسك العاضُّ بجميع أضراسه . « لسان العرب » ج١٤ ص٥٠ وعضّ في الأمر بناجذه أتقنه ، وعضّ على الشيء بناجذه حرص عليه . « المعجم الوسيط » ٩٠٤ .

وأطلعك تعالى عليه ، فإن الظفر به ـ لاسيما في هذه الأيام ـ أعزُّ من الكبريت الأحمر[١] .

واعلم أن طريق القوم دارسة ، وحال من يدَّعيها كما ترى! لكن إذا ساعدتك العناية : ظفرتَ وشممتَ من نفحة طيبه ما يفوق المسك الأذفر[٢] ، ولذلك قال رضي الله عنه وعنا به آمين :

وَاعْلَمْ بِأَنَّ طَرِيقَ الْقَوْمِ دَارِسَةٌ
وَحَالُ مَنْ يَدَّعِيهَا الْيَوْمَ كَيْفَ تَرَى
مَتَى أَرَاهُمْ وَأَنَّى لِي بِرُؤْيَتِهِمْ
أَوْ تَسْمَعُ الأُذْنُ مِنِّي عَنْهُمُ خَبَرَا
مَنْ لِي وَأَنَّى لِمِثْلِي أَنْ يُزَاحِمَهُمْ
عَلَى مَوَارِدَ لَمْ آلَفْ بِهَا كَدَرَا
أُحِبُّهُمْ وَأُدَارِيهِمْ وَأُوثِرُهُمْ
بِمُهْجَتِي وَخُصُوصاً مِنْهُمُ نَفَرَا

شرع الشيخ رضي الله عنه : يشوّق السالكين إلى طريق أهله ، ويخبرهم أن طريقهم دارسة ، وحال من يدعيها اليوم كما ترى في الفترة ، حتى كادت الهمم تكون من الطلب آيسة ! وهكذا شأن طريق

---

(١) الكبريت الأحمر : يقال هو في الجوهر . والكبريت الياقوت الأحمر والذهب الأحمر . « لسان العرب » ج١٢ ص١٦ .

(٢) المسك الأذفر : طيب الريح . «لسان العرب » ج٥ ص٤٥ .

القوم لعزَّتها ، كأنها في كل عصر مفقودة ، ولا يظفر بها إلاَّ الفرد بعد الفرد ، وهذه سنَّة معهودة ، وذلك أن الجوهر النفيس لايزال عزيز الوجود ، يكاد لعزَّته يُحْكَمُ بأنه ليس بموجود .

والطريق : أهلها مخفية في العالَم ، خفاء ليلة القدر في شهر رمضان ، وخفاء ساعة الجمعة في يومها ، حتى يجتهد الطالب في طلبه بقدر الإمكان ، فإنَّ مَنْ جدَّ وجد ، ومن قرع الباب وَلَجَّ وَلَجَ .

قلت بعد أن ذكر : لابدَّ من الشيخ في الطريق على سبيل السؤال؟ .

والجواب : كيف تأمرنا بذلك؟ وقد قيل : إن وجود الشيخ كالكبريت الأحمر وكالعنقاء[1] ، من ذا الذي بوجودها يظفر؟ كيف تأمرني بتحصيل مَنْ هذا شأنه؟

فقال : لو صدقتَ في الطلب وكنتَ في طلبه كالطفل والظمآن ، لايَقَرُّ لهم قرار ، ولا تسكن لَوْعَتُهم حتى يظفروا بمقصودهم .

فأشار الشيخ رضي الله عنه : إلى أن الشيخ موجود ، وكيف لا يكون موجوداً وعمارة العالم إنما هي بأمثاله؟ فإنَّ العَالَمَ شخص ،

---

(١) العنقاء : لغة : كلمة لا أصل لها ، ويقال : إنها طائر عظيم لا ترى إلا في الدهور وقال الزَّجَّاج : طائر لم يره أحد . « لسان العرب » ج٩ ص٤٣٣ وقيل طائر متوهم لا وجود له . « المعجم الوسيط » ص٦٣٢ .
واصطلاحاً : هو الهباء الذي فتح الله فيه أجساد العالم مع أنه لا عين له في الوجود إلا بالصورة التي فتحت فيه ، وإنما سمي بالعنقاء لأنه يسمع بذكره ويعقل ولا وجود له في عينه . « معجم مصطلحات الصوفية » ص١٩٠ .

والأولياء رُوحُه ، فما دام العالم موجوداً لا بُدَّ من وجودهم ، لكن لشدة خفائهم وعدم ظهورهم ، حُكِمَ بفقدانهم .

فاجتهد أيها الأخ الكريم! واصدق في الطلب ، تجد المطلوب ، واستعن على ذلك الطلب بمدد علاَّم الغيوب ، فإن الظفر لا يحصل إلاَّ بمجرد فضله ، وإذا أوصلك إلى الشيخ فقد اوصلك إليه ، كما قلتُ في الحِكَم :

سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلاَّ من حيث الدليل عليه ، ولم يوصل إليهم إلاَّ من أراد أن يوصله إليه[١] .

---

(١) « سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه . . . » .
قال أبو العباس المرسي رضي الله عنه : « معرفة الولي أصعب من معرفة الله فإن الله معروف بكماله وجماله ، وحتى متى تعرف مخلوقاً مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب » . وقال أبو يزيد رضي الله عنه :
« أولياء الله عرائس ، ولا يرى العرائس إلا من كان مَحْرَماً لهم وأما غيرهم فلا ، وهم مخدَّرون عنده في حجال ـ الحجلة ستر يضرب للعروس أو بيت يزين لها ـ الأنس لا يراهم أحد في الدنيا ولا في الآخرة » « غيث المواهب » ص١٦ .
وقال سيدي ابن عجيبة رضي الله عنه : لا يعرف بالصورة الظاهرة وإنما يعرف بالمعاني الباطنة ، لأن الله لا يعبأ بالصور (رُبّ أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره) فمن أراد الله سعادته رزقه الاعتقاد والتصديق أولاً ، ثم الهداية والتوفيق ثانياً . فالتصديق بأسرار الولاية أول المعرفة ولهذا قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه : التصديق بطريقتنا هذه ولاية . « إيقاظ الهمم » ص٢٢٦ .
وقال الشيخ أحمد زروق رضي الله عنه : وبالجملة فأولياء الله تعالى أبواب الله =

ثم إن الشيخ رضي الله عنه لمَّا ذكر عزَّة الطريق وفقدان أهلها ، شرع يتأسف على الاجتماع بهم ويتمناه ، ويستبعد من نفسه حصول ذلك والتشرف بلقائه ، تواضعاً منه وانكساراً ، وهضماً لنفسه واحتقاراً ، ولذا قال بعد ذلك :

مَنْ لي وأنَّى لمثلي أنْ يزاحمهم . . إلخ ، وهذا شأن العارف لنفسه بنفسه ، الممتلي من معرفة ربه ، المتحلِّي بواردات قدسه ، لأنه لا يرى لنفسه حالاً ولا مقالاً ، بل يرى نفسه أقلَّ من كل شيء ، وهذا هو النظر التَّامُ ، كما قيل :

إِذَا زادَ عِلْمُ المرءِ زادَ تَواضُعا
وإِنْ زادَ جَهْلُ المَرْءِ زادَ تَرَفُّعَا
وفي الْغُصْنِ عَنْ حَمْلِ الثِّمارِ مَنَالُهُ
فإِنْ يَعْرُ مِنْ حَمْلِ الثِّمارِ تَمَنَّعَا

فانظر إلى الشيخ أبي مدين رضي الله عنه ورفعته في الطريق ، مع أنه وصل من تربيته اثنا عشر ألف مريد ، وانظر إلى هذا التنزل منه والتدلِّي بأغصان شجرة معرفته إلى أرض الخضوع والانكسار ، حتى إنه لم ير نفسه أهلاً للاجتماع بأهل هذه الطريقة ، ويزيده هذا

= ومعرفتهم مفاتيح تلك الأبواب ، وأسنان ذلك المفتاح حفظ الحرمة ، وحسن الخدمة ودوام الحشمة واتساع الرحمة فمن عاملهم بذلك فُتح له وإلا فهو على خطر .

« شرح الحكم لأحمد زروق » ص٢٦٥ .

الانخفاض من الارتفاع ، لأن الشجرة لا يزيدها انخفاضها في عروقها إلاَّ ارتفاعاً في رأسها !.

فتواضع أيها الأخ في الطريق ، وخذ هذا الأصل العظيم من هذا العارف المتمكن ، يزل عنك كلَّ تعويق .

ثم قال رضي الله تعالى عنه بعد ذلك : أحبهم . .إلخ أي : وإن لم أكن أنا منهم ، فإني أحبهم ، ومن أحب قوماً فهو منهم ، كما ورد في الحديث : «**المَرْءُ مَعَ مَنْ أحبَّ**»[1] ، وكما قيل :

أُحبُّ الصَّالِحِينَ ولسْتُ مِنْهُمْ ... لعلِّي أَنْ أَنَالَ بِهِمْ شَفَاعَةْ
وَأَكْرَهُ من بضَاعَتُهُ المعاصِي ... وإنْ كُنَّا سَوَاءً في البضاعَةِ[2]

---

(١) (المرء مع من أحب) الحديث رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ج٤ ح٢٦٤٠ عن عبد الله قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ ، فقال يا رسول الله كيف ترى في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم . قال رسول الله ﷺ : (المرء مع من أحب) .
وكذلك رواه أبو داود في سننه في كتاب الأدب باب إخبار الرجل الرجل بمحبته إياه ج٢ ح٥١٢٧ والترمذي في كتاب الزهد عن أنس بن مالك رضي الله عنه باب ما جاء أن المرء مع من أحب ج٤ ح٢٣٨٥ .

(٢) هذه الأبيات للإمام الشافعي رضي الله عنه . قافية العين صفحة ٥٢ .
أحبُّ الصالحينَ ولستُ منهم ... لعَلي أنْ أنالَ بهم شَفاعةْ
وأكرهُ من تجارتُهُ المعاصي ... ولو كنَّا سواءً في البضاعةْ
فرد عليه الإمام أحمد بن حنبل تلميذه بلسان الأدب الرفيع :
تحب الصالحين وأنت منهم ... ومنكم سوف يلقون الشفاعه
وتكره من تجارتهم معاصي ... وقاك الله من شرِّ البضاعه

وهذا أيضاً منه ـ رضي الله عنه ـ من تمام التنزُّل السابق ، وتكميلاً وتتميماً ، ولهذا تواضع الذي لم يلحق جواد شرفه في ميدانه لاحق ، نفعنا الله تعالى ببركاته ، ووفقنا من معاملاته ، لأن هذه خصال القوم وصفاتهم ، ولذلك ارتفعت رتبهم ، وجزلت عطيتهم ، كما وصفهم رضي الله عنه بقوله :

قَومٌ كِرَامُ السَّجَايَا حَيْثُ مَا جَلَسُوا
يبْقَى الْمَكَانُ عَلَى آثَارِهِمْ عَطِرَا
يَهْدِي التَّصَوُّفُ مِنْ أَخْلاَقِهِمْ طُرُقاً
حُسْنُ التَّآلُفِ مِنْهُمْ رَاقَنِي نَظَرا
هُمْ أَهْلُ وِدِّي وَأَحْبَابِي الَّذِينَ هُمُ
مِمَّنْ يَجُرُّ ذُيُولَ الْعِزِّ مُفْتَخِرَا
لا زَالَ شَمْلِي بِهِمْ فِي الله مُجْتَمِعاً
وذَنْبُنَا فِيهِ مَغْفُوراً وَمُغْتَفَرا
ثُمَّ الصَّلاَةُ عَلَى الْمُخْتَارِ سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ خَيْرُ مَنْ أَوْفَى وَمَنْ نَذَرَا

أي : قوم سجاياهم كريمة ، وهمَّتهم عظيمة ، حيثما جلسوا تبقى آثار نفحات عطرهم في المكان ظاهرة ، وأين ما توجهوا تسطع شمس معارفهم ، فتشرق القلوب ، وتصلح بهم الدنيا والآخرة .

يهدي التصوف للسالك المشتاق من أخلاقهم طرقاً مجيدة تدلُّ على الطريق ، ويسير في سلوكه سيرة حميدة ، فلذلك جمعوا أحسن تأليف ، حتى راق كل ناظر ، وجدُّوا في أكمل معنى لطيف ،

حتى اكتحلت بِكُحْل إثْمِدِهِم[١] أنوار البصائر .

ولذلك قال الشيخ رضي الله عنه بعد ذلك : هم أهل ودِّي وأحبابي . .إلخ ، فإن الشخص لايحب إلاَّ مَنْ جانَسَه ، ولا يَوَدُّ إلا من كان بينه وبينه مؤانسة ، وفي هذا الكلام إشارة إلى أنه رضي الله تعالى عنه من جملتهم ، وطينته من طينتهم ، وما تقدم منه في التواضع والانكسار دليل على التحقيق في هذا المجد والفخار ، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك .

فنسأل الله تعالى أن يسلك بنا أحسن المسالك .

ثم دعا وسأل أنه لا يزال شمله مجتمعاً بهم في الله تعالى ، وذنبه مغفوراً . ونحن نسأله ـ أيضاً ـ إتمام الصلاة والسلام على سيدنا محمَّد المختار ، خير من أوفى ومن نذر ، ومَنْ أكرم الجار ، وعلى آله وصحبه السادة الأبرار ، والتابعين ، وتابعيهم بإحسان إلى يوم القرار .

وهذا الرَّقْم[٢] لمن تعطش ليله في معاني هذه الأبيات ، وإلاَّ فنحن معترفون بالعجز والتقصير عن معانيها ، (وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَاتِ) والله أعلم .

** ** **

(١) الإثمد : معدن يكتحل به بعد طحنه . « المعجم المدرسي » ص١٧١ .

(٢) الرَّقْمُ : الكتابة . « لسان العرب » ج٥ ص٢٩٠ .

القطب الرباني عبد السلام بن مشيش

النسب والولادة :

لا يزال في كل عصر طائفة من المؤمنين قائمون بالحق ، تظهر في الخلق آثارهم ، من اقتدى بهم اهتدى ومن انكرهم ضل واعتدى ومنهم :

سيدي عبد السلام بن مشيش بن مالك بن علي بن حرملة بن سلام ابن مزاور بن حيدرة بن محمد بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ كانت ولادته سنة ٥٥٩هـ ـ ١١٩٨م .

حياة ابن مشيش رضي الله عنه :

تعلم في الكتَّاب فحفظ القرآن الكريم وسنه لا يتجاوز الثانية عشر ثم أخذ في طلب العلم .

كان ابن مشيش شخصاً سوياً يعمل في فلاحة الأرض كباقي سكان المنطقة ولم يكن متكلاً على غيره في تدبير شؤون معاشه تزوج من ابنة عمه يونس وأنجب منها أربعة أولاد ذكور هم : محمد وأحمد وعلي وعبد الصمد وبنتاً هي فاطمة . ولم يكن الشيخ منكباً على العبادة كما يرى البعض بل الظاهر من خلال أعماله أنه قسم حياته إلى ثلاثة مراحل أعطى المرحلة الأولى للحياة العلمية وأعطى الثانية

للاشتغال بالأولاد والجهاد وأعطى المرحلة الثالثة للعبادة حيث اختار المقام في الجبل الذي هو به في قرية أدياز الفوقاني حتى مات شهيداً .

شيوخه وتلامذته :

كان رضي الله عنه ذا جد واجتهاد ومحافظة على الأوراد قطع المقامات والمنازلات حتى نفذ إلى طريق المعرفة بالله ، فكان من العلم في الغاية ومن الزهد في النهاية .

من مشايخه في الدراسة العلمية العلامة سيدنا أحمد الملقب (أقطران) وهو دفين قرية أبرج قرب باب تازة ، ومن مشايخه شيخه في التربية والسلوك الرباني ، سيدنا عبد الرحمن بن حسن الشريف العطّار الشهير بالزيات ، الذي أخذ عنه علوم القوم التي مدارها على التخلق بأخلاق النبي ﷺ ، فنال من ذلك الحظ الأوفر .

ولقد نما هذا الزرع الروحاني في نفس ابن مشيش وأتى أكله عن طريق السلوك ليتخرج على يديه العارف بالله أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه .

مآثره العلمية :

لعل قلة المآثر عن سيدي عبد السلام بن مشيش ، مع عظم قدره الذي رأيناه في تلميذه أبي الحسن الشاذلي ، هو أنه كان شديد الخفاء ، فمن أدعيته « اللهم إني أسألك اعوجاج الخلق عليَّ حتى لا يكون ملجئي إلا إليك » وقد استجاب الله للشيخ مراده فبلغه من

الخفاء مراده حتى لم يعرفه إلا الشيخ أبو الحسن الشاذلي ، الذي صارت الطريقة تنسب له ، أما مآثره العلمية التي وصلتنا عن طريق سيدي أبي الحسن الشاذلي ، فهي : مجموعة من المرويات التي تتميز بنقاء العبارة وصفائها وتوافقها مع الكتاب والسنة منها :

١ ـ قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه :

أوصاني حبيبي فقال : لاتنقل قدميك إلا حيث ترجو ثواب الله ولا تجلس إلا حيث تأمن غالباً من معصية الله ، ولا تصحب إلا من تستعين به على طاعة الله .

٢ ـ أوصاني أستاذي رحمه الله فقال : اصحب من إذا ذكر ذكر الله فالله يغني به إذا شُهد وينوب عنه إذا فُقِد ذِكْرُه نور القلوب ومشاهدتُه مفاتيح الغيوب .

٣ ـ وقال مخاطباً تلميذه أبا الحسن :

التزم الطهارة من الشكوك كلما أحدثتَ تطهرتَ ومن دنس الدنيا كلما ملت إلى الشهوة أصلحتَ بالتوبة ما أفسدته بالهوى أو كدتَ ، وعليك بصحبة الله على التوقير والنزاهة .

٤ ـ يا أبا الحسن اهرب من خير الناس أكثر من أن تهرب من شرهم ، فإن خيرهم يصيبك في قلبك وشرهم يصيبك في بدنك ، ولأن تصاب في بدنك خير من أن تصاب في قلبك .

٥ ـ أفضل الأعمال أربعة بعد أربعة المحبة لله ، والرضا بقضاء الله والزهد في الدنيا ، والتوكل على الله ، هذه أربعة أما الأربعة الأخرى

فالقيام بفرائض الله والاجتناب لمحارم الله ، والصبر عما لايعني والورع من كل شيء يلهي .

٦ ـ حب الله قطب تدور عليه الخيرات ، وأصل جامع لأنواع الكرامات ، وحصون ذلك كله أربعة ، الورع وحسن النية وإخلاص العمل ، ومحبة العلم ، ولا تثمر هذه الجملة إلا بصحبة أخ صالح أو شيخ ناصح .

أما أهم ما وصلنا من النصوص لسيدي عبد السلام بن مشيش هو نص الصلاة المشيشية ، وهو نص فريد ما إن تخالط كلماته الروح حتى تحلّق بصاحبها في أجواء من السمو وملكوت الجمال ، وقد كانت محط أنظار الشراح الذين توالت شروحها على أيديهم ، ولعل من أقدمهم العلامة محمد بن أحمد بن داود التونسي المعروف بابن رغدان ٨٨١ هـ .

ومنها الإلمام والإعلام بنفثه من بحور عِلْم ما تضمنته صلاة القطب مولانا عبد السلام للعلامة محمد بن عبد الرحمن بنزكري ١١٤٤هـ .

ومنها شرح الشيخ سيدي أحمد بن عجيبة ١٢٢٤هـ مطبوع ١٩٨١م

ومنها شرح العلامة مصطفى بن كامل الدين الصديقي ١١٦٢هـ .

وإذا أردت أن تعرف ما كان عليه سيدي عبد السلام ، فلتعرف أن ما استفاد سيدي أبو الحسن منه كان بملازمته له عدة أيام ، قال سيدي أبو الحسن فيما يرويه عن سيدي ابن مشيش . . . يا علي طلعت إلينا فقيراً من علمك وعملك فأخذت من غنى الدنيا والآخرة فأخذني منه

الدهش فأقمت عنده أياماً إلى أن فتح الله على بصيرتي .

وفاته :

ولعل شهرة المولى عبد السلام في المرحلة الثالثة من عمره كانت سبباً في طموح أحد الدجاجلة المشعوذين الذي يدعى ابن أبي الطواجين بتدبير مؤامرة لإغتيال مولاي عبد السلام فبعث بجماعة للشيخ كمنوا له حتى نزل من خلوته للوضوء والاستعداد لصلاة الصبح فقتلوه بعد أن توضأ فيها عند الفجر وقصد الصعود لمحل عبادته وارتقائه للفجر فقتلوه هناك سنة ٦٢٢هـ .

رحمه الله رحمة واسعة ، وجمعنا به في مقعد صدق عند مليك مقتدر(١) .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

☆☆ ☆☆ ☆☆

(١) ملخصاً عن كتاب القطب الرباني عبد السلام بن مشيش .

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح الصلاة المشيشية للنابلسي[١]

الحمد لله الذي جعل الصلاة على سيدنا محمد ﷺ سيد العجم والعرب من أعظم الرتب ، وأفضل القرب ، ووفق إليها أهل العناية وجعلها تعالى معراجاً إلى الولاية ، ودليلاً على صحة الهداية ، وبلوغ النهاية ، وسبباً لتكفير كل جناية .

---

[١] العالم العامل العارف سيدنا الشيخ عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي الدمشقي الحنفي من أشهر الأولياء العارفين في عصره وأحد المكثرين من التصنيف وتصانيفه كلها حسنة متداولة ، ولد سنة ١٠٥٠هـ وصدر له في أول عمره أحوال غريبة وأطوار عجيبة واستقام بداره الكائنة بقرب الجامع الأموي مدة سبع سنوات لم يخرج منها ثم رحل إلى دار الخلافة القسطنطينية وكما رحل إلى الحجاز والقدس ومصر ولبنان ، اشتهر رضي الله عنه بالزهد وكان له كثير من الكرامات إلا أنه لا يحب أن تظهر عليه ولا أن تحكى عنه .

وقد أقبل الناس عليه مع محبتهم له واعتقادهم به ، له تصانيف كثيرة بلغت قرابة ٢٢٣مصنفاً ، من أشهرها : الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية ـ كشف السر الغامض شرح ديوان ابن الفارض ـ جواهر النصوص في حل كلمات الفصوص للشيخ محيي الدين بن عربي .

توفي في دمشق سنة ١١٤٣ هـ ودفن في الصالحية رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا الله تعالى به .

جامع كرامات الأولياء ٨٥ ـ ٨٩ . الأعلام ٤/ ٣٢ .

. . . .

= ولم يزل المحجون من أمته ، وأهل القرب من أهل ملته من شدة الحب ودنو القرب ، تفيض على قلوبهم أنوار المحبة ، وتهز أرواحهم عواصف الدنو والقربة ، فتنطق ألسنتهم بمعاني ما جعل في بواطنهم من شهود النور المحمدي ، وما انكشف لأرواحهم من كمال السر الأحمدي ، وما رام أحد منهم بذلك بلوغ معرفة قدر الرسول الكريم ذي القدر العظيم ، وما يعلمه إلا الخبير العليم .

هيهات أن يبلغ أحد من الخلق بمقاله ، وإن وفَّى ، بعض أحوال الرسول المصطفى ، إنما يحومون حول الحمى ، ولا يلحق أحد بيده السماء ومن خاطب في هذا المعنى بأفصح خطاب ونطق فيه بالصواب ، وسلك في الصلاة على رسول الله ﷺ مسلك أولي الألباب ، ودل خطابه على تحققه في مقام الاقتراب ، وقربه من الجناب . بتحري مقاله والأدب بين يدي إرساله .

هو الشيخ الإمام القطب العارف بالله تعالى الدال عليه ذو الطريقة السنية المستقيمة ، والأحوال السنية العظيمة ، شريف النسب وأصيل الحسب : سيدي عبد السلام ابن مشيش الحسيني أدام الله علينا من بركاته بمنه وكرمه .

ولما كانت التصلية المنسوبة إليه ، تضمنت حقائق شريفة ، ومعاني دقائق لطيفة ، برزت من عالم غيب رب العالمين إلى سماء قلوب العارفين ، سألني شرح بعض ألفاظ تصلية الشيخ المذكور حفيده السيد العابد الصالح الزاهد مبين الطريقة ، الباعث على تحقيق رسوم الحقيقة ، الحبل الثابت ، البحر الصامت : أبو حفص عمر بن =

. . . .

= عيسى بن عبد الوهاب الشريف الحسني . نفعنا الله تعالى به وبصالح نسبه ، آمين بمنه وكرمه ، فلم يسعني إلا إجابة داعيه وتلبية مناديه .

وإن كنت لم أصلح لذلك ، ولا قدرة لي على سلوك هذه المسالك ، لكن اعتمدت فيما رمته على الرب الذي لايخيب من اعتمد عليه واستندتُ إليه فيما أردته . ألا هو الذي يعين من استند إليه وبه سبحانه وتعالى استعين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

مقدمة

يحسن قبل الكلام على ألفاظ التصلية ، أن نعرّف بالشيخ الناظم لها اسماً ونسباً وطريقة في معاملته وأحواله وأدبه ومقامه .

إذ كل مقالة يقولها . فرع عن معرفة قائلها ، ووددت أن استقصي الكلام في ذلك كله لو تيسر لي ، لكن أذكر ما حضرني في ذلك ، وعلى من علم شيئاً مما ذكرناه زائداً عليه ، أن يلحقه به وأجره على الله سبحانه . أما اسمه :

فهو الشيخ القطب العارف بالله الداعي إليه أبو محمد عبد السلام بن مشيش ويقال بشيش بالباء الموحدة من أسفل ، وكان بعض من لقيناه من الأشياخ يصحح الأول ، ويقال مشيش بتشديد الشين وتخفيفها .

وأما نسبه : فهو حسيني ثابت الشرف . وكان رضي الله عنه من كبار الأولياء العارفين بالله تعالى ، صدر الصدور في الأكابر مذكور وبينهم مشهور . قطب الدائرة ، فعليه مدارها ومنه استمدادها . =

. . . .

= وأما طريقه في معاملاته وأحواله في منازلاته وآدابه في تعبداته فكانت طريقته سنية وأحواله سنية وتعبداته زكية ، أخذ الطريقة على الأكابر . . منهم الشيخ عبد الرحمن المدني ثم واحد عن واحد إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ، وأخذ عنه أكابر . . فممن أخذ عنه القطب الوارث أبو الحسن علي الشاذلي المعروف . وكان رضي الله عنه ذا جد واجتهاد ومحافظة على أوراد ، قطع المقامات والمنازل ونفذ إلى طريقة المعرفة .

تنبيه :

اعلم أن الخطاب تارة يكون بحسب المخاطب (بكسر الطاء من اسم الفاعل) وتارة يكون بحسب المخاطب من أجله (بفتح التاء من اسم المفعول) وهنا وقع بحسب الأول ، إذ الثاني لا يخاطب بقدره إذ هو مقام الرسالة الأحمدية والنبوة المحمدية ، وإنما كل مخاطب صلى على رسول الله ﷺ بحسب معرفته بجانبه ، وبحسب اطلاعه على خصوصيته وقربه؟ وخطاب الشيخ رضي الله عنه في تصليته هذه يدل على علو مقامه في المعرفة وعلى صدقه في المحبة ، وعلى تمليه في مقام الوصلة والقربة . .

ولعمري قد ضمن فيها معارف لطيفة ، وأسرار شريفة ، تؤذن بعلو قدر الرسول العظيم . . وعظيم خصوصيته بين المرسلين ﷺ .

ولقد أحسن فيها اللفظ والمعنى ، وحصر فيها كل مقصد أسنى ، أتى فيها بكل سر عجيب ، ومعنى غريب ، ونبه فيها على خصوصية النبي الكريم ورفيع قدره بعبارات لطيفة ، وإشارات دقائق شريفة ، =

اللهمَّ صَلِّ عَلَى مَنْ مِنْهُ انْشَقَّتِ الأَسْرَارُ وانْفَلَقَتِ الأَنْوَارُ(١) ،

= لا يدريها إلا ذو روح عرشي وسر كرسي وقلب لوحي . . ولقد أحسن فيها البداية ، وأجاد فيها النهاية . . فقال مبتدئاً :

(١) (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مَنْ مِنْهُ انْشَقَّتِ الأَسْرَارُ وَانْفَلَقَتِ الأَنْوَارُ)

قلت : فقوله (اللَّهُمَّ) توجه للمطلوب ، وطلب لحصول المرغوب بالتوسل بالاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى ، ولفظ الصيغة حذف فيها ياء النداء المتضمنة لوجود البينونة المعنوية النفسانية . .

إذ حذفها يقتضي زوال ذلك ، ولا شك أن الشيخ رضي الله عنه مقامه حين خاطبه بهذه التصلية مقام جمع غائب عن الفرق ، وتعويض الميم من ـ يا ـ في لفظ الجلالة يقتضي قوة الهمة في الطلب والجزم به . .

وإنما جعل هذا الاسم الأعظم في أول الأدعية غالباً ، لأنه جامع لجميع معاني الأسماء الكريمة ، وهو أصلها فجميع معاني أسماء الله تعالى راجعة إليه . .

قال أبو رجاء العطاردي : في قولك: (اللهم) تسعة وتسعون اسماً من أسماء الله تعالى ، وقال النضر بن شميل الميم في قولك: « اللهم » بمثابة ميم الجمع ، فإذا قلت: « اللهم » كأنك دعوت الله بأسمائه كلها فعلى هذا فمن دعا أو توسل به فكأنما دعا بجميع أسماء الله تعالى وتوسل بها ولذلك قال الحسن بن أبي الحسن البصري رضي الله عنهما : قولك: (اللّهم) مجمع الدعاء .

وقوله: (صلِّ) طلب من الله تعالى ودعاء أن يصلي على نبيه =

. . . .

= محمد ﷺ ، والصلاة من الله على نبيه ﷺ زيادة تكرمة وإنعام ، ومن الملائكة رحمة واستغفار ، ومن العباد دعاء . فتكريم الله عز وجل لرسوله ﷺ زيادة في تشريفه له ، وتقريبه منه والصلاة على رسوله ﷺ من العبيد وسيلة للقرب منه عليه الصلاة والسلام ، كما جعلت هدايا الفقراء إلى الأمراء وسائل ليتقربوا بها إليهم ، وليعود نفعها عليهم .

إذ هو ﷺ بعد صلاة الله عليه . . لا يحتاج إلى صلاة أحد وإنما شرعت تعبداً لله وقربة إليه ووسائل التقرب إلى جنابه المنيع ومقامه الرفيع ﷺ ، وهي من العبيد على سبيل التأكيد على سبيل التأنيس كما هي من الله تعالى ، فافهم إن صلاة الله تعالى على رسوله ﷺ سبقت صلاة غيره ولا يحتاج إلى صلاة غير الله تعالى بعد صلاته ، ولكن جعلها لعباده سبباً للوصول إلى رضاه تعالى وباباً للدخول عليه سبحانه وتعالى ومعراجاً للكرامات ومفتاحاً لأبواب الخيرات وسبيلاً لنيل البركات وحصولاً للكرامات . .

وهي أفضل عبادات المتعبدين ، وأعظم قربات السالكين . وأدل دليل على إرادات المريدين وعلامة صدق المحبين ، وكهف إيوان الواصلين . وهي وإن اختلف مواردها وتنوعت مصادرها فمرجعها إليه وحقيقتها منه عليه .

(إذ ما صلى على محمد إلا محمد) ﷺ لأن صلاة العبيد عليه ﷺ صدرت منهم بأمره من صورة اسمه ، فميم اسم محمد رأس صورة آدم المكرم وهذا الحكم جار فيها من آدم عليه الصلاة =

. . . .

والسلام ، فميم اسمه نطقت بالصلاة عليه ، وكذلك كل عبادة صدرت من آدم وبنيه فإنها بأمره ﷺ إذ هو ـ تعالى اسمه ـ وبالتحقيق ما صلى على رسوله ﷺ إلا الله ، إذ هو تعالى إما صلى عليه بنفسه أو بفعله ، مع أنا لانلغي الوسائط في الظاهر بل نتبّعها ونقرّها .

وهذه الإشارة التي أشرنا إليها والتنبيه الذي نبهنا عليه في كون الصلاة عليه ﷺ صدرت من صورة اسمه عليه لم نُسبق إليه ولا رأيت أحداً ممن تقدم نبه بالإشارة إليه ، وإنما هو إلهام ألهمته عند الحضور في ورد الصلاة عليه ﷺ ، ومن جلوسي في حضرة الحق عل بساط القرب .

قوله : (عَلَى مَنْ مِنْهُ انْشَقَّتِ الأَسْرَارُ وَانْفَلَقَتِ الأَنْوَارُ) يريد سيدنا ومولانا محمداً ﷺ ، والأسرار جمع سر والمراد بها أسرار الذات وأسرار الصفات وأسرار الأفعال ، فهذه الأسرار كلها كانت مبطنة بما تجلى عليها من اسمه الباطن ، حجب عنها خلقه بنور كبريائه فكانت كذلك حتى جاء ﷺ فحولها باسمه تعالى الظاهر وأظهرها باسمه المبين ورفع عن بصائر المؤمنين الحجاب ، فظهرت الأسرار لائحة الأنوار بادية الأسرار .

فكان ﷺ هو المظهر لها وكاشف الحجاب عنها فبنوره ظهرت عنها الأسرار وبسره أشرقت الأنوار ، والمراد الأنوار الإيمانية التي أشرقت على قلوب المؤمنين ، وقد كانت قبل بعثه ﷺ مستورة بظلم الكفر ودخان الشرك ، فلما جاء النور المحمدي أشرقت في سماء قلوب من أراد الله تعالى بهدايته ، فكشف ظلم الكفر وأشرقت فيها =

. . . .

= أنوار الإيمان فكان النور المحمدي هو المزيل عن قلوب المؤمنين ظلم الكفر والكاشف عنها دخان الشرك والمشرق فيها أنوار الإيمان .

وإلى هذا المعنى أشار الشيخ رضي الله عنه في التصلية بقوله: (**مِنْهُ انْشَقَّتِ الأَسْرَارُ وَانْفَلَقَتِ الأَنْوَارُ**) أي منه ظهرت وعنه صدرت فمنه مبدؤها وعنه مصدرها ، وما قلناه من انكشاف الأسرار فذلك بحسب المقامات فكل ذي مقام ينكشف له من الأسرار ما يليق بمقامه ، فأهل مقام الإسلام إذا تحققوا فيه وقاموا بوظائفه ، وداموا على الذكر الخاص به وتحلوا بمعنى ذلك الذكر تحلية تثمر منها ثمراته ، وتحصل لهم معها نتائجه ، انكشف لهم أسرار الأفعال ويكون لهم هذا الكشف سلماً إلى كشف أسرار الصفات وذلك عند انتقالهم من مقام الإسلام إلى مقام الإيمان .

فإذا ترقوا من ذلك إلى هذا وثبتوا فيه ، وتحققوا به وقاموا بوظائفه وداموا على ذكره الخاص به وتحلوا بمعنى ذلك الذكر تحلية تثمر معها ثمراته ، وتحصل لهم معها نتائجه ، انكشفت لهم أسرار الصفات ، وهذا الكشف يكون لهم معراجاً إلى كشف أسرار الذات ، وذلك عند انتقالهم من مقام الإيمان إلى مقام الإحسان .

فإذا ترقوا من ذلك إلى هذا وثبتوا فيه وتحققوا به وقاموا بوظائفه وداموا على ذكره الخاص به وتحلوا بمعنى ذلك الذكر تحلية تثمر معها ثمراته ، وتحصل لهم معها نتائجه انكشف لهم من أسرار الذات ما تسعه عقولهم وتحمله أرواحهم وذلك رحمة الله بهم . .

ثم إن المكاشفين لهذه الأسرار . . منهم من انكشفت لهم =

وَفِيهِ ارْتَقَتِ الحَقَائِقُ(١) . . . .

= جملة ، ومنهم من انكشفت لهم تفصيلاً ومنهم من انكشفت له جملة وتفصيلاً ، وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام . وأعظمهم في ذلك كشفاً نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد كانت هذه الأسرار التوحيدية قبل بعثه ﷺ بحراً طامياً وسما حابساً فبنوره ظهرت وكانت الأنوار الإيمانية محجوبة بظلم الكفر ، فبسره أشرقت ﷺ .

وبالجملة فجميع ما أودع الله سبحانه في مكنوناته من الأسرار فهو ﷺ المظهر لها ، بعد ما كانت القلوب غافلة ، والأرواح جاهلة بها ، فنبه ﷺ القلوب لما كانت عنه غافلة وعلم الأرواح ما كانت له جاهلة .

(١) قوله: (**وَفِيهِ ارْتَقَتِ الحَقَائِقُ**) أي أنه ﷺ ارتقت فيه حقائق جميع الأشياء العلوية والسفلية والمعنوية والحسية اللطيفة الكثيفة . . فجميع حقائق هذه ارتقت فيه وتجلت في باطنه حتى صار قلبه معدناً لها وباطنه مرساها ، فَقَلْبُهُ ﷺ معدن الحقائق والأسرار وباطنه مهبط العلوم والأنوار .

وإنما خص قلبه ﷺ لاتساعه بذلك فما وسعه لايسعه غيره ، فكما اجتمع فيه ﷺ وافترق في غيره من المرسلين والنبيين والعارفين الصديقين ، ولهذا قيل : محمد ﷺ اجتمع فيه ما افترق في غيره ، وإنما كان قلبه ﷺ معدن الحقائق عرشية والأسرار كرسية والعلوم لوحية والأنوار ملكوتية وقلبه وباطنه من تلك العوالم العلوية والشيء قد يألف الشيء لنسبة بينهما

وتَنَزَّلَتْ عُلُومُ آدَمَ فَأَعْجَزَ الخَلائِقَ[(١)] ، وَلَهُ تَضَاءَلَتِ الفُهُومُ فَلَمْ يُدْرِكْهُ

---

(١) قوله : (**وَتَنَزَّلَتْ عُلُومُ آدَمَ فَأَعْجَزَ الخَلائِقَ**) أشار بما ذكره إلى اتساع علمه ﷺ وإن معلوماته عجز عن إدراكها جميع الخلائق ، وأراد بعلوم آدم علم الأسماء التي علمه الله تعالى ، فتنزلت في نبينا محمد ﷺ بحسب الوراثة فاعجز الخلائق ، كما عجزت الملائكة الكرام عن علم ما علمه الله تعالى لخليفته فقام ﷺ مقام موروثه في الإعجاز وما وقع به الإعجاز نابه .

وهذا التوارث وإن وقع في موضع الفرق هكذا ، فوقوعه فيها كذلك بحسب الحكمة العادية الواقعة بين السابق حساً وجسماً على اللاحق في حضرة الجمع السابق .

فنبيُّنا محمدٌ ﷺ مفيد لا مستفاد ، فأرواح العلماء وقلوب العارفين من المرسلين والنبيين وعباد الله الصالحين تتلقى من روحه ﷺ العلم والحكمة والمعارف الربانية والأسرار الملكوتية ، ولهذا سمي روحه ﷺ أبا الأرواح ، فعلوم العلماء ومعارف العارفين وحكم الحكماء كلها من استفادة علومه ﷺ ، ومعارف حكمه .

كل ما علمه العالمون واستفاده العارفون وفهمه الحكماء من علوم ومعارف وحكم جميع الحكماء نقطة من بحره ﷺ ، فهو بحر العلوم ومنبعها ، وقلبه معدنها ، وباطنه مهبطها ومرساها .

فظهر من هذا أنه ﷺ وارث في حضرة الفرق والوجود الذاتي موروث في حضرة الجمع والوجود الروحاني ، ولهذا قيل إذا لقي آدم عليه الصلاة والسلام نبينا ﷺ يقول آدم عليه السلام لنبينا عليه =

مِنَّا سَابِقٌ وَلا لاَحِقٌ[١] ، فَرِيَاضُ المَلَكُوتِ بِزَهْرِ جَمَالِهِ مُونِقَةٌ وَحِيَاضُ

= الصلاة والسلام : يا ولد ذاتي ووالد معناي . مشيراً في أن روحه ﷺ أبو الأرواح .

(١) قوله : (**وَلَهُ تَضَاءَلَتِ الفُهُومُ فَلَمْ يُدْرِكْهُ مِنَّا سَابِقٌ وَلا لاحِقٌ**) أشار رحمه الله إلى خفي سر روحانيَّه الأحمدية ، ورفع قدر صورته المحمدية إذ حقيقة ذلك لم يدركها أحد بفهمه ، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا ما يشاء الله من ظواهر الأمور دون بواطنها ، وجليها دون خفيها ، فالفهوم كلت والعقول وقفت وتضاءلت عن درك خفي سره والوقوف على حقيقته في هذه الدار ، بل عن فهم حقيقة الرسل عليهم الصلاة والسلام فكيف سيدهم وإمامهم ﷺ ؟.

وما أدرك الناس من حقيقة أمره ، وخفي سره إلا على قدر عقولهم اليسيرة ، فما ظهر لهم من ذلك أنعم به عليهم ليعرفوا قدره ويعظموا أمره ، وما خفي عنهم منهم فرحمة من الله بهم ، إذ لو ظهر لهم مع عدم قيامهم بالحقوق لكان فتنة لهم والله تعالى أرسله رحمة للعالمين فكانت النعمة فيما ظهر والرحمة فيما ستر .

ثم إن الناس على اطلاعهم في سر نبوته وخصوصية رسالته بحسب مقاماتهم ومنازلهم ، فكل أحد كشف له من ذلك بحسب مقامه ، وعلى قدر قرب روحه ﷺ ، وأعظم الناس كشفاً لذلك وأكثرهم عليه اطلاعاً الصديق رضي الله عنه ، فما كُشف له من خصوصية الرسالة المحمدية ، وحقيقة السر الأحمدي ، لم يكشف لأحد غيره تعظيماً واحتراماً ، وكان أول المؤمنين بنبوته والمصدقين برسالته من غير طلب دليل ولم يعتره توقف ولا تأويل .

الْجَبَرُوتِ بِفَيْضِ أَنْوَارِهِ مُتَدَفِّقَةٌ[1] ، وَلاَ شَيْءَ إلاَّ وَهُوَ بِهِ مَنُوطٌ[2] ، إذْ لَوْلاَ الوَاسِطَةُ لَذَهَبَ كَمَا قِيلَ المَوْسُوطُ[3] ، صَلاةً تَلِيقُ بِكَ مِنْكَ

---

(١) قوله : (فَرِيَاضُ المَلَكُوتِ بِزَهْرِ جَمَالِهِ مُونِقَةٌ وَحِيَاضُ الجَبَرُوتِ بِفَيْضِ أَنْوَارِهِ مُتَدَفِّقَةٌ) الملكوت : عبارة عن حضرة الأرواح ، والجبروت : عبارةٌ عن حضرة الأسرار . وهو ﷺ ظهر في حضرة الأرواح بجماله فتأنقت ، وفي حضرة الأسرار بنوره فأشرقت ، وزهر جماله كناية عما ظهر من جمال سر النبوة المحمدية في حضرة الأرواح ، فظهر بذلك الجمال معاني آثار أسماء الأفعال فظهرت عجائب الكون وانكشف رد الصور فتنزهت الألباب إذا انكشف الحجاب .

ولما كان علم الملكوت موطن مجال الأرواح ، ومسرح الأفكار تنزه فيما تجلى من معاني آثار أسماء الأفعال ، سمي رياضاً بهذا الاعتبار ، لكن إنما أينع وتألق من زهر جمال المصطفى ﷺ ، أي : بما ظهر من سر النبوة المحمدية ، وكذلك حضرة الأسرار المعبر عنها بحياض الجبروت ، مُليت بما أفاض عليها من أنواره عليه الصلاة والسلام ؛ والتدفق عبارة عن كثرة فيض الأنوار المحمدية .

(٢) قوله: (وَلا شَيْءَ إلاَّ وَهُوَ بِهِ مَنُوطٌ) إشارة إلى تعلق الأشياء به ﷺ منها ما هو متعلق به تعلق استناد ، ومنها ما هو متعلق به تعلق استمداد فكل شيء إليه استناده ، ومنه استمداده .

(٣) قوله: (إذْ لَوْلا الوَاسِطَةُ لَذَهَبَ كَمَا قِيلَ المَوْسُوطُ) يشير إلى اعتبار وجوده ﷺ في الوجود ، إذ لولا وجوده ﷺ لما وجد الوجود فنسبته منه كنسبة الواسطة للموسوط .

إِلَيْهِ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ[١] ، **اللَّهُمَّ إِنَّهُ سِرُّكَ الجَامِعُ الدَّالُّ عَلَيْكَ ، وَحِجَابُكَ الأَعْظَمُ القَائِمُ لَكَ بَيْنَ يَدَيْكَ**[٢] ....

---

(١) قوله: (**صَلاةً تَلِيقُ بِكَ مِنْكَ إِلَيْهِ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ**) هذه أفضل صلاة وأتمها وأشرفها وأعظمها وأكملها ، إذ لايليق من الرب العظيم إلى النبي الكريم إلا ما هو عظيم ، وهو ﷺ أهل لأن يعامل بالكمالات ولو قال رحمه الله تعالى ورضي الله عنه كما أنت أهله لكان أكمل .

(٢) قوله: (**اللَّهُمَّ إِنَّهُ سِرُّكَ الجَامِعُ الدَّالُّ عَلَيْكَ ، وَحِجَابُكَ الأَعْظَمُ القَائِمُ لَكَ بَيْنَ يَدَيْكَ**) هذا اللفظ ظاهره الإخبار ومعناه الاقرار بالمخبَر به على جهة تعظيم المخبر عنه ، وهو نبينا محمد ﷺ ، وهو المقصود بالضمير المتصل بإن ، وكمن الشيخ في كلامه هذا حصول ثلاث مقامات لنبينا ﷺ . الأول : كونه ﷺ سر الله الجامع . الثاني : كونه دالاً عليه . الثالث : كونه حجابه القائم له بين يديه . .

فهذه مقامات ثلاثة أقامه الحق فيها واختاره لها ، وأهله إليها ومده فيها بالمعونة والتأييد والتيسير والتسديد وهذه المقامات وإن شاركه فيها غيره من المرسلين عليهم الصلاة والسلام فلم يبلغ أحد منهم فيها مبلغه ﷺ ولا ترقى أحد إلى مقامه .

فأما كونه ﷺ سر الله الجامع لأنه عليه الصلاة والسلام مجمع جميع أسرار أسماء الصفات وأما أسرار أسماء الأفعال فهو مظهرها ومظهرها هو سر الله تعالى الذي أودعه مكوناته العلوية والسفلية ، فهو السر الذي به ظهرت الأسرار وهو النور الذي به أشرقت الأنوار فلا مكون إلا هو سره الذي قام به أمره .

فلولا السر المحمدي الذي أودعه الله المكونات الملكوتية ، والسر =

. . . .

الأحمدي الذي أودعه الله المكونات الملكية ، لما قامت بها أسماء الصفات وأسماء الأفعال ، ولما كانت أثرا يقوم بها الاستدلال ، وأما كونه دالاً على الله تعالى ، إذ هو الدليل الأعظم بعثه الله دليلاً يدل عليه ويعرف الطريق إليه ، بعث في زمان قد عمت فيه الضلالة وكثرت فيه الجهالة ، الخلق فيه عن الله معرضون وعن بابه حايدون شاردون ، فدلهم على الله تعالى وعرفهم الطريق إليه وردهم إلى بابه الكريم ، ونهج بهم الصراط المستقيم فكانت رسالته عامة ودلالته تامة ، فدل على الله بأقواله وأفعاله وأيقظ الأرواح إلى ملاحظة جلاله وجماله .

فكل داع إلى الله تعالى فإنما يدعو بدعوته وكل دليل فإنما يدل بدلالته وكانت دعوته إلى الله تعالى ودلالته عليه بسياسة محمدية ، وتعريفه إياهم له تعالى بحكمة أحمدية ، فلم يخرق حجاب العظمة والوقار ، وإنما دفع عن بصائر العارفين حجب الأغيار وظلم سحائب الآثار .

وأما كونه ﷺ حجابه القائم له تعالى بين يديه ، لأنه ﷺ حجب العقول عن النظر في حقائق الذات والتفكر فيها فعقل العقل عن النظر إلى ما ليس له إليه سبيل ، بهذا أرسل ﷺ وبه أمر فكان حجاب الله الأعظم القائم له بين يديه فاظهر الفرق وأبطن الجمع .

فكلما طلبت الأرواح الجمع المطلق في دار الفرق زجرها زاجر الشرع وعقلها عقال العلم ، فرجعت القهقرى ، أو نكست إلى وراء فلم يكن إليه سبيل ، ولا أبيح لها في قليل من ذلك ولا أقل من قليل فافهم .

=

اللَّهُمَّ أَلْحِقْنِي بِنَسَبِهِ وَحَقِّقْنِي بِحَسَبِهِ(١) ، **وَعَرِّفْنِي إِيَّاهُ مَعْرِفَةً أَسْلَمُ بِهَا مِنْ مَوَارِدِ الجَهْلِ وَأَكْرَعُ بِهَا مِنْ مَوَارِدِ الفَضْلِ**(٢) . . . .

= وقوله رضي الله عنه: (**وَحِجَابُكَ الأَعْظَمُ القَائِمُ لَكَ بَيْنَ يَدَيْكَ**) إشارة إلى أنه ﷺ حجابه لا عينه .

(١) قوله: (**اللَّهُمَّ أَلْحِقْنِي بِنَسَبِهِ وَحَقِّقْنِي بِحَسَبِهِ**) اللحوق بالنسب هو الاتصال الجسماني ، والتحقيق بالحسب هو الاتصال الحالي وذلك يقتضي شرف الملحق به ، وكمال المحقق بكمال من حقق به وهذا المطلب يقتضي القرب حساً ومعنىً قرب اتصال دون انفصال ، فطلب الشيخ ذلك ليكون قريباً منه ﷺ حساً معنى قرب اتصال دون انفصال ومن صح له ذلك فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها .

(٢) قوله: (**وَعَرِّفْنِي إِيَّاهُ مَعْرِفَةً أَسْلَمُ بِهَا مِنْ مَوَارِدِ الجَهْلِ وَأَكْرَعُ بِهَا مِنْ مَوَارِدِ الفَضْلِ**) المعرفة الحقيقية لله ورسوله ﷺ هي ما أثمرت ثمرة وأنتجت نتيجة ، وكل معرفة لا ثمرة لها ولا نتيجة فليست بمعرفة على الحقيقة .

فالشيخ رضي الله عنه طلب من الله تعالى أن يعرفه برسول الله ﷺ معرفة تثمر له ثمرة ، وتنتج له نتيجة وذكر ذلك فقال : أسلم بها من موارد الجهل وأكرع بها من موارد الفضل ، ولا شك أن من عرف رسول الله ﷺ حق المعرفة أثمرت له معرفته به ﷺ ثمرات وأنتجت له نتائج ، منها أن يسلم من موارد الجهل ويكرع من موارد الفضل . وحق لمن تحقق في معرفته ﷺ أن يكون بهاتين الخصلتين العظيمتين ، لأن معرفته عليه الصلاة والسلام تقتضي ذلك ، وكيف لا وقد قرب سر العارف من سر معروفه وتألفت روحه مع روحه =

وَاحْمِلْنِي عَلَى سَبِيلِهِ إِلَى حَضْرَتِكَ حَمْلاً مَحْفُوفاً بِنُصْرَتِكَ(١) ،

= والقرب والائتلاف يقتضيان المتابعة والاقتداء .

وذلك سبب لأن يرد المتابع موارد متبوعة وينهل مناهله فينكشف لسر العالم ولروحه من العلوم اللدنية والأسرار العرفانية ما يزحزحه عن موارد الجهل ، ويتصف بمقتضى العلم فيصير القلب عارفاً والروح عالماً ، ويرد هذا العالم من موارد الصفا التي وردها المقربون وينهل المناهل التي شرب منها العارفون .

والكرع : عبارة عن الشرب المتعطش اللهفان السائق إلى الورود ، الراغب في الازدياد .

وموارد الفضل : أي مشارب أرواح المقربين وموارد أسرارهم التي لاتدرك بطلب ولا تنال بسبب ، بل بمجرد الفضل الإلهي والعناية الربانية ، ولهذا قيل موارد الفضل .

(١) قوله: (**وَاحْمِلْنِي عَلَى سَبِيلِهِ إِلَى حَضْرَتِكَ حَمْلاً مَحْفُوفاً بِنُصْرَتِكَ**) هذا مطلب الصديقين القاصدين إلى حضرة مولاهم جل جلاله ، إذ غاية مقصودهم وأقصى مرادهم ومطلبهم الوصول إلى الحضرة الربانية ، على كاهل السنة المحمدية ، والحمل على السبيل هي الجواذب الربانية التي تجذب السالك إلى حضرة الله تعالى جذباً على سبيل السنة المحمدية .

فإذا أراد الله سبحانه أن يبلغ السالك إلى حضرته الكريمة حمله إليها على سبيل الاقتداء بالدليل الأعظم ، والرسول الأكرم نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم تسليماً فيكون في سلوكه متبعاً له عليه الصلاة والسلام في أقواله وأحواله وأفعاله ، وفي حركاته وسكناته ، محفوفاً في جميع ذلك بنصرة الله تعالى له فيكون في =

وَاقْذِفْ بِي عَلَى البَاطِلِ فَأَدْمَغَهُ(١) ، **وَزُجَّ بِي فِي بِحَارِ الأَحَدِيَّةِ**(٢) ،

= سلوكه بربه لا بنفسه ، وهذا من علامات الوصلة وأمارات القربة .

والحضرة مأخوذة من الحاضرة وكثير ما يجري ذكرها على لسان القوم ، وكثير من المتصوفة لايعلمون لها حقيقة وهي عبارة عن موطن من مواطن القرب والمشاهدة فإذا كان العبد على بساط الحق مشاهداً لصفاته فيسمى ذلك الموطن حضرة الصفات ، وإذا كان مشاهداً للأفعال . فيسمى ذلك الموطن حضرة الأفعال .

(١) قوله: (**وَاقْذِفْ بِي عَلَى البَاطِلِ فَأَدْمَغَهُ**) : طلب رضي الله عنه أن يكون حجة من حجج الله الدامغة للباطل وهذا مقام من مقامات الوارثين الذين أقامهم الحق تعالى مقام الخليفة ، وجعلهم مصابيح الهدى وأئمة بهم يقتدون فالحق يجري على لسانهم ، فبالله ينطقون ومنه يسمعون وبه يبصرون ، وعنه نائبون وصاحب هذا المقام يكون آلة لظهور الحق وخمود الباطل .

(٢) قوله: (**وَزُجَّ بِي فِي بِحَارِ الأَحَدِيَّةِ**) الزج : الرمي ، ومقصود الشيخ بدعائه هذا أن ينقله من حضرة الفرق إلى حضرة الجمع ، والمستغرق في هذه الحضرة مستغرق في بحار ، فلا يشهد إلا بالله فهو دائم الشهود متصل الورود ، منزه الروح عن علق التفرقة ممنوحاً بالبقاء الدائم والفناء التام والجمع الصحيح ، قد أعطى الجلوس على منبر التفريد وأذن له في الارتقاء على منابر التفريد فيعود نظره إليه وجمعه له عليه ، فتفنى الرسوم ولم يبقى إلا الحي القيوم ، فهناك ابتلى العارفون وزلزلوا زلزلاً شديداً .

وَانْشُلْنِي مِنْ أَوْحَالِ التَّوْحِيدِ[١] ، **وَأَغْرِقْنِي فِي عَيْنِ بَحْرِ الوَحْدَةِ حَتَّى لا أَرَى وَلاَ أَسْمَعَ وَلا أَجِدَ وَلا أُحِسَّ إلاَّ بِهَا**[٢] ، **وَاجْعَلِ الحِجَابَ الأَعْظَمَ حَيَاةَ رُوحِي وَرُوحَهُ سِرَّ حَقِيقَتِي وَحَقِيقَتَهُ جَامِعَ عَوَالِمِي**[٣]

---

(١) قوله: (**وَانْشُلْنِي مِنْ أَوْحَالِ التَّوْحِيدِ**) انشلني معناه خلصني وأوحال التوحيد هي متشابهات أحكامه التي زلت فيها أقدام كثير من الناس إلا من رحم الله تعالى .

فنرى العارفين افترقوا في بحار التوحيد ، وساروا فيها بفلك أسرارهم ، تلاطمت عليهم أمواجه وهي تجري بهم في موج كالجبال فلا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ، فآواه إلى جبل السنة المحمدية ، وآخرون حال بينهم الموج فكانوا من المغرقين .

(٢) قوله: (**وَأَغْرِقْنِي فِي عَيْنِ بَحْرِ الوَحْدَةِ حَتَّى لاَ أَرَى وَلاَ أَسْمَعَ وَلاَ أَجِدَ وَلا أُحِسَّ إلاَّ بِهَا**) أراد أن يكون مستهلكاً في حقائق التوحيد غائباً في الشهود عن الموجود ، وهذا هو الفناء المعبر عند أهله بفناء الفناء وصاحب هذا المقام فانٍ عن فنائه ، باق مع الحق بعين الجمع . . فرداني الصفات وحداني الأفعال ، وإلى هذا أشار بقوله حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحس إلا بها ، وهذه المعاني تضيق عنها العبارة لدقة معناها وإنما يشير إليها من بعد قوله:

(٣) (**وَاجْعَلِ الحِجَابَ الأَعْظَمَ حَيَاةَ رُوحِي وَرُوحَهُ سِرَّ حَقِيقَتِي وَحَقِيقَتَهُ جَامِعَ عَوَالِمِي**) المراد بالحجاب الأعظم ما تقدم ذكره : من أنه ﷺ حجاب الله الأعظم القائم له بين يديه ، وتقدم إنما كان كذلك لأنه حجب العقول وعقلها بعقال شرعه المستقيم عن النظر في حقائق الذات العظيمة إذ ليس لها إلى ذلك سبيل .

بِتَحْقِيقِ الحَقِّ الأَوَّلِ[١] ، يَا أَوَّلُ يَا آخِرُ يَا ظَاهِرُ يَا بَاطِنُ[٢] ،

= وأودع الله تعالى لنبيه ﷺ هذا السر العظيم ليكون رحمة ونعمة للوجود وحياة للأرواح ، حيث حجبها عما فيه استهلاكها وفناؤها ولا قوة لها على كشف حقائقه ولو كشف لها عن ذلك في هذه الدار ورفع عنها الحجاب لتفرقت الموجودات وتمزقت وتدكدكت كما تدكدك الجبل عند التجلي للكليم عليه الصلاة والسلام .

ولهذا اتفق أهل المعرفة أن الله سبحانه لايتجلى لأحد من أوليائه ، ولا ينظر إليه أحد منهم في هذه الدار إلا من وراء الحجب التي حجبهم بها عن إدراك كنه ذاته العظيمة ولولا تلك الحجب لتلاشى الوجود وماتت الأرواح فكان الحجاب الأعظم حياتهم .

فطلب الشيخ أن يكون للحجاب الأعظم حياة روحه إشارة إلى ما قلناه فافهم .

قوله : (وَرُوحَهُ سِرَّ حَقِيقَتِي) أراد أن يكون الروح المحمدي سر حقيقته فتكون حقيقته محمدية .

قوله : (وَحَقِيقَتَهُ جَامِعَ عَوَالِمِي) أراد الحقيقة المحمدية إذ هي جامع العوالم اللطيفة الإنسانية .

(١) قوله: (بِتَحْقِيقِ الحَقِّ الأَوَّلِ) قسم أقسم به عليه تعالى : أي أسألك بتحقيق الحق الأول ، وهو تحقيق الحق بالحق الأزلي الذي سبق كل حق ، نعم كل حق إنما نحقق به فهو حق الحق الأول .

(٢) ثم قال: (يَا أَوَّلُ يَا آخِرُ يَا ظَاهِرُ يَا بَاطِنُ) نداء على جهة الاستغاثة بالمنادى ، وإنما ناداه بهذه الأسماء دون غيرها من أسماء الحسنى لما تضمَّنتْه من معنى الأزلية والقيومية والأوصاف الألوهية . =

اسْمَعْ نِدَائي بِمَا سَمِعْتَ بِهِ نِدَاءَ عَبْدِكَ زَكَرِيَّا[١] . . . .

= قال الرازي رحمه الله تعالى في (لوامع البيان) حدثني شيخي ووالدي أنه لما نزلت هذه الآية قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ استقبل المشركون المدينة وسجدوا ، وذكر أن لأهل الإشارة فيها نحو الأربعة وعشرين تأويلاً ذكرها كلها في كتابه المذكور .

(١) قوله: (اِسْمَعْ نِدَائي بِمَا سَمِعْتَ بِهِ نِدَاءَ عَبْدِكَ زَكَرِيَّا . .) هذا وما بعده إلى قوله: (وحل بيني وبين غيرك) هي الأمور المطلوبة المستغاث لأجلها ، وهي مطالب عظيمة من مطالب العارفين ، والمراد بنداء زكريا هو قوله تعالى : ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ .

فطلب الشيخ رضي الله تعالى عنه أن يستجاب له كما استجيب لزكريا عليه السلام .

تنبيه : مقاصد الناس في مطالبهم وإجابة دعائهم مختلفة ، فالعامة مرادهم إجابة الدعاء ، وإعطائهم مسألتهم لا غير ، والخاصة جعلوا هذا المقصد تبعاً لمقصد أعلى ومقام أكمل وأسنى وذلك أنهم قصدوا بمطالبهم وسؤالهم إظهار وصف العبودية من الفقر والاحتياج والعجز وغير ذلك من أوصافها ، والتعلق بأوصاف الربوبية من الغنى المطلق والقدرة الكاملة ، ولم ينسوا حظهم من فضل مولاهم عز وجل فهؤلاء أعطوا لكل ذي حق حقه ولكل قسط قسطه ، وهؤلاء عبيد الله إلا أنهم فيهم شائبة حظ وبقية هوى .

وأكمل منهم ، وهم خاصة الخاصة أعرضوا عن المقصد الأول =

وانصرني بِكَ لَكَ[1] ....

- ولم يلتفتوا إليه أصلاً ، واعتبروا المقصد الثاني لكن جنحوا إلى مقصد أتم وأكمل ومقام أعلى وأفضل ، وذلك أنهم قصدوا بمطالبهم ومسائلهم الجلوس على بساط العبودية ، والتخلق بين يدي الرب جل جلاله من لذة المكالمة وفوائد المخاطبة ، وثمرات المساررة ونتائج المسألة ، وهذا المقصد هو أفضل الأبواب التي يدخل على الله سبحانه وتعالى منها .

وأهل هذا القصد يستوي عندهم العطاء والمنع ، والضرر والنفع ، بما جعل لهم من المقصد الأكمل والمراد الأفضل ، ولم يفتهم من مقاصد من دونهم شيء إذا ما توجهوا إلى الله سبحانه وتعالى وأقبلوا عليه وأقبل عليهم كل شيء ، وانفعل لهم الوجود ، فهم يتصرفون فيه تصرف الملك في المملكة ، فأنى يحتاجون إلى شيء من الوجود وهو في أيديهم ، وتحت طوعهم .

فلتكن على يقين أن الشيخ رضي الله تعالى عنه ونفعنا به هو من أهل المقام الأكمل والمقصد الأفضل ، إذ مراده في سؤاله ومطلوبه ما أراده خاصة الخاصة وأسئلته تدل على ذلك حيث قال :

(١) (وَانْصُرْنِي بِكَ لَكَ ، وَأَيِّدْنِي بِكَ لَكَ ، وَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، وَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ غَيْرِكَ) فهذه مطالب تدل كلها على الانحياش إلى الله تعالى والاكتفاء به ، والاستناد إليه ، والجمع به وليس فيه شائبة غيرية ولا ركون إلى غير الأحدية ولا تعرف لسوى الواحدية .

قوله: (وَانْصُرْنِي بِكَ لَكَ) طلب النصر به سبحانه وتعالى دون وسائط وأسباب ، هذا معنى قوله بك لك ، مراده أن تكون نصرته =

وَأَيِّدْنِي بِكَ لَكَ(١) ، **وَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ**(٢) ، **وَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ غَيْرِكَ**(٣)
الله ، الله ، الله(٤).......................

= له على القيام بالتكاليف الدينية والوظائف الشرعية حتى يكون عبداً على الحقيقة .

(١) قوله : (**وَأَيِّدْنِي بِكَ لَكَ**) هو من معنى الأول إذا النصر والتأييد بمعنى واحد ، لأن كل لفظ منهما يصح وقوعه موقع الآخر ، ويدل على معناه وحيثما أردف لفظ بآخر فالمراد التأكيد وتنويع اللفظ وجزالته .

وفي طلبه رضي الله تعالى عنه النصر والتأييد به سبحانه وتعالى دليل على عدم تعلقه بالأكوان وإعراضه عنها وفي قوله : (لك) دليل على اشتغاله بحقوق ربه وإعراضه عن حظوظ نفسه .

(٢) وقوله : (**وَاجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ**) طلب لمقام الجمع تنزهاً عن الإقامة بمقام الأغيار ، وترفعاً عن الاستئناس بالآثار .

(٣) قوله : (**وَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ غَيْرِكَ**) تبرياً من القواطع المذكورة لصفو مشرب مقام أهل الجمع ، إذِ الأغيار قاطعة وحاجبة ، وصاحب مقام الجمع إن لم يحل بينه وبينها ، تكدر صفو مشربه .

(٤) قال رحمه الله تعالى ورضي عنه : (**الله ، الله ، الله**) أتى رضي الله تعالى عنه بلفظ الجلالة لفوائد ، وكررها ثلاثاً لفوائد أما تلفظه به عقب مطالبه للتبرك به وليكون به الاختتام كما كان الافتتاح .

وفيه إشارة إلى أن كل شيء منه بدأ وإليه يعود ، هو الأول والآخر وحسن حينئذ مجيء اسم الله تعالى بعد قوله واجمع بيني وبينك وحل بيني وبين غيرك ، إيقاظاً للأرواح وتنبهاً لها إلى التعلق بما له طلبت ، والتخلي عما عنه رغبت عملاً بقوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ =

. . . .

= فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ وتكريره ثلاثاً ليثبت معناه في الباطن ويتأكد في القلوب .

وأيضاً لما كان اسم الجلالة تضمن معاني أسماء الأفعال ، ومعاني أسماء الصفات ، ومعاني أسماء الذات كرره عدداً بحسب ما تضمنه من المعاني ليورد ذاكره في كل مرة معنى من المعاني التي تضمنها ، وهذا أثبت في النفوس وأرسخ في البواطن ، سيما لأهل البدايات الذين يضعفون عن إيراد معاني كثيرة مع لفظ واحد .

ومقصد الشيخ وأمثاله من العارفين غير هذا إذا المقاصد بحسب هذا العدد من الأسرار الحرفية ، أو خرقاً للحجب الكونية الملكية والملكوتية والجبروتية ففي كل ذكر يخرق عالماً من هذه العوالم فلا يكمل العدد إلا وهو في حضرة القدس في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

وقد شاهدت بعض من له همة عالية في السلوك إذا ذكر الله ثلاث مرات يترقى كل مرة مقاماً من المقامات ، فإذا قال الله أولاً يكون في مقام الإسلام ، وثانياً في مقام الإيمان ، وثالثاً في مقام الإحسان هذا حكم أرباب المقامات .

وأما حكم أرباب الأحوال فقد ينتقل العبد في ذكره من حال إلى حال أعلى فيقول أولاً الله وهو في حال البقاء ، ثم إذا قالها ثانياً يكون في حال الفناء ثم إذا قالها ثالثاً يكون في حال الفناء عن الفناء وهذه أتم حالات أهل الأحوال .

وسرعة الانتقال في المقامات والأحوال إنما يكون لأرباب الجذب

﴿ إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾(١) ، ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾(٢)

☆☆ ☆☆ ☆☆

= المأخوذين عن أنفسهم فأرواحهم سماوية إذا عاشت طاشت ، وقلوبهم عرشية إذا سارت طارت ، وأسرارهم جبروتية إذا طابوا غابوا ، فافهم قوله في آخر تصليته :

(١) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ هذه الآية قرآنية أتى بها رحمه الله تعالى لما فيها من معنى الرجوع والمعاد على منح أهل الإشارات اللطيفة ، والمعاني الشريفة مع تقريرهم للآية على ظاهرها المعروف ، وفهم معناها المألوف ثم ختم بقوله تعالى :

(٢) ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ دعاء ورغبة والله سبحانه وتعالى المستعان ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح الخاتم ، عدد ما كان وعدد ما يكون ، وعدد ما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ، والحمد لله رب العالمين .

☆☆ ☆☆ ☆☆

سيدي أبو الحسن الشاذلي
رضي الله عنه

هو السيد القطب الرباني ، العارف بالله الوارث المحقق العمداني الحامل في زمانه لواء العارفين كهف الواصلين سيدي أبو الحسن علي ابن عبد الله الشاذلي المغربي .

ينتهي نسبه إلى سيدي الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ، شيخ الطريقة الشاذلية ، صاحب الأوراد وخاصة حزب البحر وحزب البر وحزب النصر .

١ ـ مولده :

ولد في غمارة قرب سبته من قرى إفريقية ، تفقه وتصوف في تونس ، وسكن مدينة (**شاذلة**) ونسب إليها .

رحل إلى بلاد المشرق فحج ودخل العراق ثم سكن الإسكندرية ، توفي بصحراء (**عيذاب**) في طريقه إلى الحج سنة ٦٥٦هـ .

أخذ الطريقة عن الشيخ عبد السلام بن مشيش عن أبي مدين شعيب ثم عن الغوث سيدي عبد القادر الجيلاني . وقد خلفه في الطريقة سيدي أبو العباس المرسي (من أكابر رجال الطريقة) وأبو العزائم ماضي .

٢ ـ تعرفه على شيخه عبد السلام بن مشيش رحمه الله تعالى :

قال سيدي أبو الحسن : لما دخلت العراق اجتمعت بالشيخ الصالح أبي الفتح الواسطي فما رأيت بالعراق مثله ، وكنت (أطلب على القطب) فقال لي الشيخ أبو الفتح : « تطلب على القطب بالعراق وهو في بلادك ، ارجع إلى بلادك تجده » . فرجعت إلى بلاد المغرب إلى أن اجتمعت بأستاذي الشيخ الولي العارف الصدّيق القطب الغوث أبي محمد عبد السلام بن بشيش الشريف الحسني .

قال رضي الله عنه : لما قدمت عليه وهو ساكن مغارة برباطة في رأس الجبل اغتسلت في عينٍ في أسفل الجبل وخرجت عن علمي وعملي وطلعت عليه فقيراً وإذ به هابط علي ، فلما رآني قال مرحباً بعليّ بن عبد الله بن عبد الجبار ، وذكر لي نسبي إلى رسول الله ﷺ ، ثم قال لي : يا علي طلعت إلينا فقيراً عن علمك وعملك فأخذت منا غنى الدنيا والآخرة ، فأخذني منه الدهش فأقمت عنده أياماً إلى أن فتح الله على بصيرتي ، ورأيت له خَرق عادات من كرامات وغيرها .

٣ ـ في مناقبه وكراماته :

قال الشيخ أبو الحسن لبعض الأولياء : إنه لينزل عليّ المدد فأرى سريانه في الحوت في الماء ، والطير في الهواء ، فقال له ذلك الولي فأنت إذن القطب قال : أنا عبد الله أنا عبد الله .

كان يوصي بقراءة حزب البحر فيقول حفّظوه أولادكم فإن فيه اسم

الله الأعظم ، قال في لطائف المنن : أخبرني الشيخ مكين الدين الأسمر قال : حضرت في المنصورة في خيمة فيها سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد والشيخ مجد الدين علي بن وهب ، والشيخ محي الدين بن سراقة ، والشيخ أبو الحسن الشاذلي ورسالة القشيري تقرأ عليهم وهم يتكلمون والشيخ الشاذلي صامت إلى أن فرغ كلامهم فقالوا له : يا سيدنا نريد أن نسمع منك شيئاً ، فقال لهم أنتم سادات الوقت وكبراؤه وقد تكلمتم ، فقالوا لا بد أن نسمع منك فسكت الشيخ ثم تكلم بالأسرار العجيبة والعلوم الغريبة ، فقام الشيخ عز الدين بن عبد السلام وخرج من صدر الخيمة وفارق موضعه وقال اسمعوا هذا الكلام القريب العهد إلى الله تعالى .

قال رضي الله عنه : أعطيت سجلاً مدّ البصر فيه أصحابي وأصحاب أصحابي إلى يوم القيامة عتقاً لهم من النار .

وقال : لقد جئت في هذه الطريق بما لم يأت به أحد .

وقال : لولا لجام الشريعة على لساني لأخبرتكم بما يكون في غد وبعد غد إلى يوم القيامة . وقال : والله لو حجب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين .

قال أبو العباس المرسي في كتاب أرسله لبعض أصحابه في تونس : . . . فإني صحبت رأساً من رؤوس الصديقين وأخذت منه سراً لا يكون إلا لواحد بعد واحد وبه أفتخر وإليه أنسب وهو سيدي أبو الحسن . . . وكنت والله لا أذكره في شدة إلا انفرجت ولا أمر

صعب إلا هان . وكان يقول : كِلْ نفسك وزنها بالصلاة ، وإقبال الناس عليك وإعراضهم عنك . وكان يقول : نحن كالسلحفاة تربي أولادها بالنظر ويقول من قرأ حزبنا هذا فله ما لنا وعليه ما علينا (أي له ما لنا من الحرمة وعليه ما علينا من الرحمة) .

٤ ـ في وفاته :

مات رحمه الله تعالى سنة ٦٥٦هـ وعمره ٦٣ سنة وهو في طريقه إلى الحج ، ففي إحدى الليالي جمع أصحابه وأوصاهم ، وخاصة بحزب البحر ، وقال لهم إذا أن متّ فعليكم بأبي العباس المرسي فإنه الخليفة من بعدي وسيكون له مقام عظيم ، وهو باب من أبواب الله تعالى .

وفي الليل بات متوجهاً إلى الله تعالى تلك الليلة ذاكراً متضرعاً ، وسمعته يقول إلهي إلهي حتى انشق الفجر ، فلما كان وقت السحر سكت فظننا أنه نام فكلمناه فلم يتكلم فحركناه فلم يتحرك ، رحمه الله تعالى ورفعه منازل الصديقين ونفعنا به وبخلفائه . أمين .

☆☆ ☆☆ ☆☆

حزب البحر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ يَا عَلِيُّ يَا عَظِيمُ يَا حَلِيمُ يَا عَلِيمُ أَنْتَ رَبِّي وَعِلْمُكَ حَسْبِي فَنِعْمَ الرَّبُّ رَبِّي وَنِعْمَ الحَسْبُ حَسْبِي تَنْصُرُ مَنْ تَشَاءُ وَأَنْتَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ .

نَسْأَلُكَ العِصْمَةَ فِي الحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ وَالكَلِمَاتِ وَالإِرَادَاتِ والخَطَرَاتِ مِنَ الظُّنُونِ والشُّكُوكِ وَالأَوْهَامِ السَّاتِرَةِ لِلْقُلُوبِ عَنْ مُطَالَعَةِ الغُيُوبِ ، فَقَدِ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً ، وَإِذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ وَالذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً .

فَثَبِّتْنَا وَانْصُرْنَا ، وَسَخِّرْ لَنَا هَذَا البَحْرَ كَمَا سَخَّرْتَ البَحْرَ لِمُوسَى ، وَسَخَّرْتَ النَّارَ لِإِبْرَاهِيمَ ، وَسَخَّرْتَ الجِبَالَ وَالحَدِيدَ لِدَاوُدَ ، وَسَخَّرْتَ الرِّيحَ وَالشَّيَاطِينَ وَالجِنَّ لِسُلَيْمَانَ ، وَسَخِّرْ لَنَا كُلَّ بَحْرٍ هُوَ لَكَ فِي الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَالمُلْكِ وَالمَلَكُوتِ ، وَبَحْرَ الدُّنْيَا وَبَحْرَ الآخِرَةِ وَسَخِّرْ لَنَا كُلَّ شَيْءٍ يَا مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ .

﴿كٓهيعٓصٓ﴾ ، ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ ، ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ ، أُنْصُرْنَا فَإِنَّكَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ، وَافْتَحْ لَنَا فَإِنَّكَ خَيْرُ الفَاتِحِينَ ، وَاغْفِرْ لَنَا فَإِنَّكَ خَيْرُ الغَافِرِينَ ، وَارْحَمْنَا فَإِنَّكَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ، وَارْزُقْنَا فَإِنَّكَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ، وَاهْدِنَا وَنَجِّنَا مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ ، وَهَبْ لَنَا رِيحاً طَيِّبَةً كَمَا هِيَ فِي عِلْمِكَ ، وَانْشُرْهَا عَلَيْنَا مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِكَ واحْمِلْنَا بِهَا حَمْلَ الكَرَامَةِ مَعَ السَّلامَةِ والعَافِيَةِ فِي الدِّينِ والدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

اللَّهُمَّ يَسِّرْ لَنَا أُمُورَنَا مَعَ الرَّاحَةِ لِقُلُوبِنَا وَأَبْدَانِنَا ، وَالسَّلامَةِ وَالعَافِيَةِ فِي دِينِنَا وَدُنْيَانَا ، وَكُنْ لَنَا صَاحِباً فِي سَفَرِنَا وَخَلِيفَةً فِي أَهْلِنَا ، وَاطْمِسْ عَلَى وُجُوهِ أَعْدَائِنَا وَامْسَخْهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ المُضِيَّ وَلا المَجِيءَ إِلَيْنَا .

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾ .

﴿ يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ .

شَاهَتِ الوُجُوهُ ، شَاهَتِ الوُجُوهُ ، شَاهَتِ الوُجُوهُ .

﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ .

﴿ طسٓ ﴾ . ﴿ طسٓمٓ ﴾ . ﴿ حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ﴾ .

﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ .

﴿ حمٓ ﴾ ، ﴿ حمٓ ﴾ ، ﴿ حمٓ ﴾ ، ﴿ حمٓ ﴾ ، ﴿ حمٓ ﴾ ، ﴿ حمٓ ﴾ ، ﴿ حمٓ ﴾ ، حُمَّ الأَمْرُ وَجَاءَ النَّصْرُ فَعَلَيْنَا لا يُنْصَرُونَ .

﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ .

بِسْمِ اللهِ بَابُنَا . تَبَارَكَ حِيطَانُنَا . يٰسٓ سَقْفُنَا . كهيعص كِفَايَتُنَا .

﴿ حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ﴾ حِمَايَتُنَا ، ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ ثلاثاً .

سِتْرُ العَرْشِ مَسْبُولٌ عَلَيْنَا ، وَعَيْنُ اللهِ نَاظِرَةٌ إِلَيْنَا بِحَوْلِ اللهِ لاَ يُقْدَرُ عَلَيْنَا ، ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝٢٠ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴾ .

﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ ثلاثاً .

﴿ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ثلاثاً .

﴿ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ ثلاثاً .

(بِسْمِ اللهِ الذِي لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ) ثلاثاً .

ولاَ حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ . ثلاثاً .

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ .

* * * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح حزب البحر للأزميري[١]

الحمد لله الذي جعل أحزاب العلماء العارفين حرزاً في البر وفي البحر لعباده الموقنين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي هو سراج الأنبياء وتاج المرسلين ، وعلى آله وأصحابه الذين هم منهاج أئمة اليقين ونجوم علماء الدين . وبعد :

فيقول الفقير إلى الغني القدير أحمد بن عمر الداعي بالأزميري عفا عنهما العلي : لما كان الحزب الجليل والجرد الجميل لإمامنا الكامل الجلي الشيخ أبي الحسن الشاذلي أغرق في بحار رحمة الملك العالي في البكرة والعشي ، نافعاً لكل عليل ورافعاً لكل رذيل وعزاً لكل ذليل ، لم ير مثله في الأوراد في سرعة التأثير والإجابة في الأقطار ،=

---

[١] أحمد بن عمر بن أيوب الأزميري الرومي الواعظ الحنفي المتوفي في حدود سنة / ١١٨٠هـ ـ ١٧٦٦م/ .

صنف الفتح الأكرم في شرح حزب الأعظم ـ الفتح القوي لشرح حزب النووي فتح المولى لشرح حزب المرضى .

ممدد الغابرين لما فيه إمداد السالكني في شرح آداب طاشكيري زاده .

نهاية المقال في مباحث الجمال

ج ٥ ص١٧٧ هدية العارفين أسماء المؤلفين والمصنفين من كشف الظنون مؤلفه إسماعيل باشا البغدادي .

. . . .

وهو ظاهر الأسرار وباهر الآثار ، وطالع الأنوار في الليل والنهار ، وكان في البر والبحار وسيلةً للسائلين ، سلماً للطالبين ، ملجأً للهاربين ، نسيماً للراكبين ، أمناً للخائفين ، سدّاً للطاغين ، جنة للقاصدين ، رمحاً للمعاندين ، سيفاً للحاسدين ، رغماً الشامتين ، نطقاً للصامتين ، صمتاً للناطقين ، نصرة للمغلوبين ، قوة للمكروبين ، خليفة للسائرين ، صاحباً للمسافرين ، عناية للمعندين ، كفاية للمستفيدين ، غياثاً للمستغيثين ، عياذاً للمستعيذين ، تنبيهاً للغافلين ، وعورات تكشف قناع البليات ، قربات تقرب من رب الأرضين والسموات ، بل هو مفتاح لخزائن كل كمال وقفل لأبواب الضلال ، كنز لكل مراد ، قناعة للزهاد ذخر للمعاد ، سفينة للنجاة يوم التناد ، كل من استظل بظلال أسمائه وأسراره ومعانيه تنادي السن ساعيه ببلوغ أمانيه ، وكل من لاذ به فقد لاذ بالحصن الحصين وأوى إلى الركن الشديد ومقام أمين ، ومع هذا قد شرحه المتبحرون واقتفى بأسرهم المقلدون ، لكن لم يشتهر منها ما يروي الجنان .

التمس مني بعض الإخوان زاد كمالاتهم الملك المنان ، أن أكتب عليه نبذة من الفرائد مع بيان الفوائد ، وتحرير القواعد مشتملاً على الشواهد ، مرصعاً بالقلائد عارياً عن الزوائد ، والله ولي التوفيق والإمداد فهو الهادي إلى سبيل الرشاد ، وعليه التوكل والاعتماد ومنه التوفيق في المبدأ والمعاد ، فهو حسبي من جميع الآحاد وأفوض إلى الله إن الله بصير بالعباد .

ولما تم بحمد الله الأكبر سميته : « فتح العلي البرّ شرح حزب

. . . .

البحر » ، جعله الله ذخراً عاجلاً في الدنيا وخيراً آجلاً في العقبى ، وذريعة إلى جنة المأوى ووسيلة إلى رحمة الملك الأعلى ، وأرجو لحسن السابقة والختام أن ينفع به على الدوام ، مع الرضاء حتى دار السلام .

ثم إن شيخنا الجامع بين العلم والكمال الواصل بفيض الله المتعال ، كان مولده بغمارة قريباً من سبتة ، سنة خمسمائة وواحد وسبعين ، ثم انتقل إلى شاذلة ـ وهي قرية من أعمال إفريقية ـ ودخل مدينة تونس ثم إلى الديار المصرية والعراق ، قال الشيخ : يا رب لم سميتني الشاذلي ولست بشاذلي ؟ فقيل لي : يا علي ما سميتك بالشاذلي إنما أنت الشَّاذُّ لِي ـ بتشديد الذال المعجمة ـ يعني المنفرد لخدمتي ومحبتي . ثم حج كثيراً ، وفي سفر آخر حج توفي رحمه الله ، فلما كان ليلة وفاته جمع أصحابه في تلك العشية وأوصاهم بأشياء كثيرة ، وبحزب البحر ، وقال لهم : حفّظوه لأولادكم فإن فيه اسم الله الأعظم ، وتوفي سنة ست وخمسين وستمائة في عيذاب في أقصى الصعيد الأعلى بناحية القصير ، الذي هو ساحل البحر اليمن ، دفن بحميثرة ـ وهو الموضع الذي بصحراء عيذاب ـ كذا في تعطير الأنفاس .

ثم روي عن الشيخ صاحب هذا الحزب قال حالفاً بالله : هذا الدعاء قد ألهم إليّ من قبل رسول الله ﷺ بطريق الاستفاضة الروحانية ، وروي عن بعض العارفين أن له سبعة عشر حزباً ، وأشهرها : الحزب الكبير ، وسمي حزب البر ، أوله : ﴿ وإذ جاءك ﴾ الآية . قال

. . . .

= الشيخ الشاذلي : من حفظ حزبنا الكبير كان له ما لنا وعليه ما علينا .

وحزب البحر سمي به لأنه وضع في البحر وللسلامة فيه حين سافر في بحر القلزم ، فحبس عليهم الريح أياماً ، فرأى النبي ﷺ في مبشرة فلقنه إياه ، فقرأه فجاء الريح . والمفهوم من كلام البعض أنه في بحر النيل ، ويحتمل تعدد القضية فلا مانع من الجمع .

وسمي هذا الحزب أيضاً بالحزب الصغير للمقابلة ولقلة كلماته بالنسبة إلى الكبير ، وعن الشيخ الشاذلي إنه قال : إن حزبي لو قرىء في مكان إلا كان آمناً من الآفات ، ولو ذكر حزبي في بغداد لما أخذت ، وفي ذكره لأهل الله آيات وأسرار شافية ، ولأهل النهايات أنوار صافية ، ومن ذكره كل يوم عند طلوع الشمس أجاب الله دعوته وفرج كربه ، ورفع بين الناس قدره وشرح بالتوحيد قدره وصدره ، وسهل أمره وكفاه عن شتى الأنس والجن ، ولا يقع عليه بصر أحد إلا أحبه ، وإذا قرأه عند جبار أمن من شره ، ومن قرأه عقب كل صلاة أغناه الله عن خلقه ، وآمنه من حوادث الدهر ، ويسر عليه أبواب السعادة في جميع حركاته وسكناته ، ومن ذكره في الساعة الأولى من يوم الجمعة ألقى الله محبته في القلوب .

وقيل : من كتبه على شيء تلك الساعة وجعل المكتوب معه ، أمن من جميع البلاء وكان محفوظاً بحول الله ، ومن استدام على قراءته لا يموت غريقاً ولا حريقاً ، ومن كتب على سور مدينة أو حائط دار دائرة عليها حرسها الله من شر طوارق الحوادث والآفات ، وله منفعة جليلة في الحروب ، ومن وضعه في رَقّ طاهر والمرّيخ في

. . . .

= شرفه ، أو في الساعة الأولى في يوم السبت والقمر زائد النور ، يجمع همته ويحسن حاله ، شاهد من بديع سر الله ما يقصر به الألسنة ، وهو دعاء النصر والغلبة على الخصوم ، وخواصه كثيرة كما في أسامي الكتب .

وقال في الشرح العتيق : إن أحداً من أهل السفينة إذا قرأه عند الاحتياج إلى الريح أرسل الله تعالى عليهم الريح موافقاً لجهتهم ، والبيت الذي حفظ فيه الدعاء صار أميناً من السرقة وشر الجنِّ ونزول الصاعقة بإذن الله تعالى ، ومن كتبه على شيء من ماله وعَلَّقه عليه كان ذلك مصوناً من جميع البلايا .

وحكي أن قافلة مرت ببادية ، وظهرت لهم جيفة من بعيد ، والوحوش يحومون حوله ولا يجرؤون على أكلها ، فتعجبوا منها ، فأرسلوا أحداً إليها ، فلما قرب إليها رأى عليها لوحاً معلقاً قد نقش عليه هذا الدعاء ، فأخذ ذلك اللوح وذهب ، ولما بَعُدَ أتى أحدٌ تلك الوحوش ونشرها ولقم لقمة ، فلما رأى أهل القافلة تلك الحالة تعجبوا منه وتحيروا في عظمة الله وحكمته . انتهى .

والحاصل : بركات هذا الحزب وأسراره ظاهرة وباطنة ، لا يخفى لكل أحد من المواظبين ، وقد قيل : ما رأيت أحداً حافظ عليه إلا وعنده خيرات ظاهرة ، وقد أخذه أهل البصائر كابراً عن كابر ، من داوم عليه نوّر الله قلبه بنور الولايات ، وشرح صدره بآثار الهدايات ، ويسر عليه أبواب الخيرات وثبته على الطاعات ، ونزّه فكره عن رذائل الشهوات ، ولا يسأل الله به شيئاً إلا أعطاه ، فليتق الله فاعله عما لا

. . . .

= يرضاه ، فلا تكن من أصحاب الغفلة والهوى فإنه شريك العمى .

قيل : ثم المراعات بآداب الدعاء أفعالاً وأحوالاً أمكنة وأحياناً سبب لسرعة الإجابة ، كطهارة المكان والفم وإزالة تغيّره بالمسواك ، والوضوء واستقبال القبلة ، والتصحيح والتأني والتدبر لما يقول والتعقيل لمعناه ، وأعظمها الأكل والشرب واللبس من الحلال ، والجثو على الركب والإخلاص لله ، والخشوع والخضوع مع الجد والاجتهاد وحضور قلب وحسن الرجاء والإلحاح ، ولا يستعمل في ظهور آثار الإجابة .

ولا يقصد في قراءته قطيعة رحم ولا بشيء هو إثم ، كقصد هلاك أحد من الأقارب والأباعد وهم غير مستحقين شرعاً ، ولا يقرأ لما هو وسيلة إلى الحرمات ، كطلب القضاء والولاية كما هو عادة أصحاب المناصب ، وسيأتي بعض ما يتعلق .

وقد قال شيخنا المؤلف : كل اسم تستدعي به نعمة أو تستكفي به نقمة فهو حجاب عن الذات وعن التوحيد بالصفات ، وهذا لأهل المراتب والمقامات ، وأما عوام المؤمنين فهم عن ذلك معزولون ، وإلى حدودهم يرجعون ، ومن أجورهم من الله لا يحتسبون .

وكالأوقات المباركة كرمضان وليلة القدر ويوم عرفة ويوم الجمعة وليلتها ، ووقت السحر ، وعند الصف في سبيل الله ، ودبر الصلاة المكتوبة وغيرها ، والأمكنة المتبركة كالمساجد الثلاث وحواليها ، وعند قبور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وقبور الصالحين رحمهم الله بشروط مقررة في الشروع ، والحمد لله الذي وفقنا للزيارات

. . . .

- والدعوات والتحريرات في المقامات المباركة الطيبات ، ونسأله التوفيق بحسن القبول في سائر الحالات .

ثم قيل : هذا الحزب اعتصام وهو ما يبدأ به عند الشروع والاختتام ، وهو ما يقرأ به بعد تمام الحزب ، لكن (يحتمل من المص) ومن ملحقاته المشايخ ، وسيجيء وجهه ، والأول بعد البسملة .

قوله : وبه أي : بالله أو باسم الله وبركاته وتوفيقه وعونه ، الحول أي : التحول والرجوع ظاهراً وباطناً من الخلق إلى الحق ، والقوة أي : القوة الظاهرة والباطنية على وصول الحق ، أي الأمور كلها بيده أرجع من أمري إلى أمره ، وأتَقَوّى على جميع أموري بذكره وفكره ، ففيه تجريد عن الخلائق ، ثم التوجه إلى الموفق للحقائق ، سلمنا الله تعالى عن جميع المضائق والعوائق .

ربِّ والنداء محذوف أي : مالكي ومربيّ بإسباغ نعمه وجزيل كرمه ، سهّل ويسّر ـ من التفعيل أي عطف تفسير ، أو المراد بالثاني ما يوجب اليسرى ، وحذف المفعول للتعميم ـ أي : أمور الدنيا وأمور الآخرة ، أو بقضاء جميع الحاجات المرضية عندك ، بتصحيح الحال وتحسين المال ، أو تسهيل العبادات وبتيسير المرادات .

وحاصله : أسألك اليسر في الدنيا والآخرة ، زاد قوله : ولا تعسر طلباً للكمال علينا وعلى جماعة المسلمين وإخوان الدين ، أي : لا تعسر كل ما يوجب رضاك من العبادات والدعوات وحسن العادات على أهلي واتباعي وأصحابي وأحبابي يا ميسر كل عسير ـ بنصب

. . . .

- المنادي لإضافته ـ أي : كل أمر شان صعب شديد عند الخلق فإن ذلك عليك يسير ، فهو أجمع إلى التوحيد ، أي : لا ميسر لشيء من الأمور في الدارين إلا الله بحق ا ب ت ث . . . الخ .

والمشهور يقرأ بالأسماء ، وقيل : بالمسمى ، والمراد من ذكر هذه الحروف : إما إيماء إلى الحق ، المطالب الحسنة ، وقيل : إشارة إلى الملائكة ، ويحتمل أسماء الأنبياء عليهم السلام ، والأقرب : إشارة إلى أسماء الله تعالى يتبرك ويتوكل إلى قبول الدعوات وقضاء الحاجات ، وكل اسم لا يخلو من هذه الحروف ، مثلاً الألف : الله الأحد الأول الآخر ، وبوجه آخر أكرم الأكرمين أرحم الراحمين أكرم الأكرمين أحكم الحاكمين أحسن الخالقين ، إليهم الأخذ أهل التقوى وأهل المغفرة أعز وأقل وغير ذلك ، والباء : إيماء إلى باء الباسط البديع الباعث البر الباقي الباطن ، التاء : التواب ، الجيم : جبار جليل جميل جواد جامع ، الحاء : إشارة إلى حي حكيم حميد حليم حق حسيب حفيظ ، الخاء : خالق خبير خافض ، الدال : دائم ديان ، الذال : ذو الجلال والإكرام ، الراء : رحمن رحيم رب رافع رقيب رزاق رشيد ، الزاي : زكي ، السين : سلام سبوح سميع ، الشين : شاهد شكور شديد العقاب ، الصاد : صمد صبور صادق ، الضاد : ضار ، الطاء : طاهر ، الظاء : ظاهر ، العين : عزيز علي عدل عليم عظيم عفو ، الغين : غني غفار غفور غالب ، الفاء : فرد فتاح ، القاف : قيوم قهار قادر قوي قدوس قدير قابض قريب قائم على كل نفس بما كسبت قديم ، الكاف : كريم كبير كفيل ، اللام :

بسمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

= لطيف ، الميم : ملك مؤمن مهيمن متكبر مصور ماجد مقتدر مقدم مؤخر معز مذل مقيت مجيب متين محصي مبتدىء معيد محيي مميت متعال منتقم مالك الملك مقسط مغني معطي مانع مبين ، النون : نور نافع ، الواو : وارث وهاب ، الهاء : الهادي ، أو غير ذلك والله تعالى أعلم .

ثم يهلل ثلاثاً ، ثم يستغفر ثلاثاً ، ثم يكبر تكبير التشريق ثلاثاً ، ثم يصلي على النبي ﷺ عشر مرات ، ثم ينوي بخفيّ المقاصد مما أراد ، ويرفع يديه مع الفاتحة ثم يمسح وجهه . وفي الفتح بالفاتحة فتوحات إلهية ونيل بمرادات بهية . ثم يشرع في قراءة الحزب كذا قيل . وقال ابن عطاء الله في لطائف المنن : الحزب الكبير بعد صلاة الصبح ، وحزب البحر بعد العصر ، هكذا بيّنهما أبو العباس المرسي لأصحابه ، كما في تعطير الأنفاس . هذا بيان الأفضلية والأولى ، وإلا في القراءة ليلاً ونهاراً حضراً وسفراً واحداً وكثيراً ، ومن فاته في النهار يقرأ في الليل وبالعكس بحسب مساعدة الإمكان ، هكذا سائر الوظائف كما قالوا ، قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ ﴾ الآية . لكن يواظب ولا يتركه وفيه خطر . قال الشيخ :

« بِسْمِ اللهِ » مستعيناً ومتبركاً باسمه تعالى في الأمور الحسنة ، سيما التأليفَ والقراءة وعملاً بالطريقة القويمة والسنة القديمة ، ففيه إيماء إلى الاستعانة في الشروع في الدعوات بحصول الحاجات .

« الرَّحْمَنِ » المنعم الحقيقي تام الرحمة عام الإحسان ، ولذا لا يطلق على غيره ، أو بجميع خلقه في الأولى ، أو بتوفيق الدعوات .

« الرَّحِيمِ » الذي خص رحمة الخاص لعباده المؤمنين في العقبى ، أو =

. . . .

= بقبول الحاجات ، وقد بيّنا في فتح القوي شرح الحزب النووي : أنه الاسم الأعظم على وجهين : لاشتماله على اسم الجلالة وهو اسم أعظم ، أو الرحمن الرحيم وهو كذلك ، كما ذكروا عن ابن الربيع أن رجلاً قال : علمني الاسم الأعظم ، فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم أطع الله يعطيك ، ذكره السيوطي .

عن ابن عمر : من كانت له حاجة إلى الله فليصم الأربعاء والخميس والجمعة فإذا كان يوم الجمعة تطهّر وراح إلى الجمعة ، فتصدق قَلَّتْ أَوْ كَثُرَتْ ما بين الرغيفين فصاعداً ، فإذا صلى الجمعة قال : اللهم إني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ، وأسألك باسم الله الرحمن الرحيم الذي لا إله إلا هو عنت له الوجوه ، وخضعت له الرقاب ، وخشعت له الأبصار ، ووجلت منه القلوب ، وذرفت منه العيون ، أن تصلي على سيدنا محمد ﷺ ، وأن تعطني حاجتي وهي كذا وكذا . وقال : لا تعلموه السفهاء ، وذكره الإمام اليافعي .

وصلى الله صلاة تليق لقدره وكماله ، أسند إليه تعالى : لأن صلاته كاملة دائمة شاملة ، ولم يذكر الحمد : إما لدخوله في البسملة على ما قيل ، أو الاكتفاء بذكر اللسان ، أو بالمؤخر ، وإيثار الأخبار تفاؤلاً للقبول ، كأنه متحقق موجود فأخبر عنه .

والواو عطف على جملة الحمد المقدر ، أو التسمية على رأي ، أو ابتدائية ، أو زائدة ، على سيدنا : أي سيد المخلوقات لجميع الكمالات ، وفي إيثاره على نحو الرسول ما لا يخفى من التفخيم

. . . .

والتمليح ، وأما إطلاق لفظ الذي يشترك فيه آحاد الناس والظلمة كلفظ السلطان فغير جائز ، على ما صرح به بعض المحققين .

ومولانا أي : ناصر الأمة يكشف الكربات ، محمد ﷺ الجامع للخصال الحميدة ، أو الحامد المحمود في السماء والأرض ، وعلى آله أي اتباعه وذريته الطيبين الطاهرين ، وصحبه أي جميع من تشرف بصحبته الشريفة ، وسلَّم ـ بفتح اللام والميم ـ ماض على نهج السابق ، أي عليه وعليهم ، والحمد لله على الجمع والتأليف لقراءته والقبول والمشاهدة لأسراره وآثاره ، عطف على التصلية ، أو زائدة . وتأخير الحمد عنها تنبيه للجواز ، أو الاستغراب ، أو على أن التصلية نعمة من نعم الله ووسيلة ، رب العالمين : أي خالق الخلائق ومالكها ومدبر أمورها ومصلح أحوالها على وجه تقتضيه الحكمة وفي طريقنا هكذا ولذا ذكرنا والله أعلم ، وله الحمد الأعم ، يا الله يا الله يا الله : بدأ به لأنه مجمع الأسماء وخيرها وأصلها وأعظمها عند الأكثر ، لأنه دال على الذات الجامع لصفات الألوهية كلها ، ولأنه ممتنع اللفظ والمعنى لم يطلق المعنى على غيره ، وقال بعض العارفين : جميع أسماء الله تعالى جاءت للتخلق إلا اسم الله فإنه للتعلق فقط ، إذ مضمونه الإلهية ، وهي لا يُتَخَلَّق بها أصلاً .

وعن الشعبي : اسم الله الأعظم يا الله ، وذكر علي القاري في المواضع المتعددة : أنه اسم الأعظم عند الجمهور ، وقال القطب عبد القادر الجيلاني : إن الله هو الاسم الأعظم بشرط أن تقول الله وليس بقلبك سوى الله .

اللَّهُمَّ يَا عَلِيُّ[١] . . . .

= قيل هذا الاسم للعوام أجراه على اللسان ، والذكر به على الخشية والتعظيم ، وللخواص أن يتأملوا معناه ويعلموا أنه لا يطلق إلا على موجود فائض الجود جامع الصفات الإلهية ومنعوت بنعوت الربوبية ، ولخواص الخواص أن يستغرق قلبهم بالله تعالى فلا يلتفت إلى أحد سواه ، ولا يرجو ولا يخاف فيما يأتي ويذر إلا هو . وفي التصدير بالاسم الأعظم ـ الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى ـ رجاء للقبول وإعطاء للمسؤول .

والتثليث : إما للتلذذ بذكره ، أو لأن لكل عبد له ثلاثة أشياء : قلب وجسد ولسان ، فعلى السالك الذكر بهذه الثلاثة ، أو لاستغراق الذكر في الأزمنة الثلاثة ، يعني : أذكرُه في أول الحال وعند الارتحال وعند دخول دار الجلال ورؤية الجمال حتى يرضى الملك المتعال .

(١) « يَا عَلِيُّ » في ملكه وسلطانه وليس فوقه شيء في الرتبة والحكم ، أو المتعال عن الصفات التي لا تليق به ، أو الرفيع الذي يعجز عنه وصف الواصفين ومعرفة العارفين ، وقيل : الذي علت عن الإدراك ذاته ، وكبرت عن التصوّر صفاته ، وقيل : الذي تاهت القلوب في جلاله وعجزت القلوب عن وصفه ، كما قال الإمام القشيري : من علوه تعالى أنه لا يصير تكبير العباد له كبيراً ولا بإجلالهم وتعظيمهم جليلاً وعظيماً ، بل من وفقه لإجلاله فبتوفيقه جلّ ، ومن أيده بتكبيره ولتعظيمه فقد رفع محلّه .

وحظ الذاكر منه : السعي إلى المراتب العلية ، ولذا ورد في =

يَا عَظِيمُ[١] **يَا حَلِيمُ**[٢] ....

= الحديث : إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها ويكره سفاسفها ، وقال علي رضي الله عنه : علوُّ الهمّة من الإيمان

(١) « **يَا عَظِيمُ** » في عزه وجلاله ، وهو البالغ إلى أقصى مراتب العظمة ، لا يتصوره عقل ولا يحيط بكُنْهه فِكْر ، أو الموصوف بجميع الصفات التي تليق به ، فهما حاويان لبحر التوحيد ، ولذا ختم بها سيد آي القرآن وكنوز الجنة ، ومِن حقٍّ من عرف عظمته أن لا يَذِلَّ لخلقه ، بل يكون متواضعاً لأجله

(٢) « **يَا حَلِيمُ** » هو الذي يعلم ذنوب العصاة ويرى مخالفتهم لأمره ونهيه ، ولا يحركه غضبه ولا يعجل في عقوبتهم مع غاية القدرة ، وإمهالُهم مع كثرة العصيان لعلّهم يتوبون دليلٌ على كمال حلمه ، وقيل : الذي لا يحبس إنعامه وأفضاله عن عباده لأجل ذنوبهم ، ولكنه يرزق العاصي كما يرزق المطيع ، ويقيه وهو منهمك في معاصيه كما يقي البرَّ المُتَّقي ، وقد يقيه من الآفات والبليات وهو غافل لا يفكر فضلاً عن أن يدعوه ، كما يقيها الناسك الذي يدعوه ويسأله ، وفيه مناسبة لا يخفى .

ونداء العاجز الضعيف للقادر القوي نوع من الجرأة ، ولذا عقبه باسم الحليم رجاء لمعاملته بحلمه ، والسلوك في البحر العميق والجسارة إلى السؤال من العلي الكبير مع الذنب الكثير ، ثم المجاوزة سالماً والحصول لا يكون إلا عن آثار حلمه وكرمه .

والحظ منه : أن يحلم على من جنى عليه ولا ينتقم لنفسه . =

يَا عَلِيمُ[١] ....

= قيل : من خواصه من كتبه في ورقة ووضعه في مزرعة لا يضره الآفات بإذن الله تعالى .

(١) « يَا عَلِيمُ » بما في صدور الأحِبَّاء وقلوب الأعداء ، وجميع المعلومات ظاهرها وباطنها رقيقها وجليّها كلياتها وجزئياتها .

وحظ السالك منه : من عرف أنه تعالى علم بحالته صبر على بليته وشكر على عطيته واستغفر عن خطيئته ، وقال بعض المحققين في آداب من حقق أن الله تعالى عالم : أن يكون مكتفياً بعلمه عند جريان حكمه ، ساكناً عن تدبير نفسه بتقديره .

ثم التخصيص من بين الأسماء إما لوروده هكذا ، أو لإفادة أنَّ إعطاء العصمة في الأشياء الآتية لا يكون إلا عن حكم وعلم تام ، بالغ إلى درجة الكمال فوق كل ذي علم وحكم لا ينال أحد في علمه وحلمه ، ونداء القريب بما ينادى به البعيد : قيل : لحرص المنادي على إقبال المدعو عليه له ، لتنزيل نفسه منزلة من يستوجب القرب لحقارة المنادي أو لعظمة المنادى ، قال الزمخشري : قول الداعي يا رب يا الله استقصار منه لنفسه وهضمه ، واستبعاده عن مظانّ القبول والاستماع ، قيل : وإن لم يتصور في حقه تعالى الإقبال مطلقاً ، لكن المراد بها غاية معناها وهي الإجابة ، كأنه قال : أجب دعائي ، وقيل : لا يحتمل النداء في حقه تعالى إلا على الدعاء والتضرع مستعملة في لازم معناه .

ثم قال بعض العارفين حالفين بالله تعالى : إن في هذا الحزب أسماء يُتمكن ببعضها من المشي على الماء وببعضها الطيران في =

. . . .

الهواء وغير ذلك ، لا شك من الاسم الأعظم ، ولذا صدر الشيخ المؤلف .

وقال الحافظ الدميري : رأيت في كتاب الدعاء للعلامة أبي بكر محمد بن الوليد بن مطرف بن عبد الله أنه قال : دخلت على المنصور فرأيته محزوناً وقد امتنع من الكلام لفقد بعض أحبته ، فقال لي : يا مطرف أحْرَقَني من الغم ما لا يكشفه إلا الله تعالى ، فهل من دعاء عسى يكشفه الله تعالى عني ، قلت : يا أمير المؤمنين حدثني محمد بن ثابت عن عمر بن ثابت البصري قال : دخلت بعوضة في أذن رجل من أهل البصرة فأسهرته ليله ونهاره ، فقال رجل من أصحاب حسن : ادع الله بدعاء العلاء الحضرمي صاحب رسول الله ﷺ الذي دعا به بالمفازة والبحر فخلصه تعالى ، قال : وما هو رحمك الله ، فقال : بعث رسول الله ﷺ العلاء الحضرمي إلى البحرين فسلكوا مفازة وعطشوا عطشاً شديداً حتى خافوا الهلاك ، فنزل وصلى ركعتين ثم قال : ياحليم ياعليم ياعلي ياعظيم اسقنا ! فجاءتهم سحابة كأنها جناح الطير فقعقعت عليهم فأمطرت حتى ملؤوا أوانيهم ، قال : ثم ارتحلنا حتى أتينا على خليج من البحر ما خيض قبل ذلك اليوم ولا بعده ، فلم يجد سفينة فصلى ركعتين ثم قال : ياحليم ياعليم يا علي ياعظيم أجزنا ، ثم أخذ بعنان فرسه ثم قال : جز بنا باسم الله ، قال أبو هريرة رضي الله عنه : فمشينا على الماء فوالله ما ابتل لنا قدم ولا خف ولا حافر ، وكان الجيش أربعة آلاف ، قال : فدعى الرجل بها ، فوالله ما خرجنا من عنده حتى

أَنتَ رَبِّي(١) ....

= خرجت البعوضة من أذنه لها طنين حتى صكت الحائط فبرأ ، قال : فاستقبل القبلة ودعا المنصور بهذا الدعاء ساعة ، ثم انصرف بوجهه فقال : يا مطرف قد كشف الله من ما كنت أجده من الغم ، ودعي بطعام فأجلسني وأكلت معه .

أقول : ترتيب الشيخ موافق للدعوات والآيات ويحتمل الروايات وجواز الترتيبات ، فله الحمد على حلمه بعد علمه ، ثم خاطب تنبيهاً على قربه على وتيرة النداء فلا ينافيه فتأمل .

(١) « أَنتَ رَبِّي » جواب للنداء ، أو معترضة ، فالجواب نسألك ، وهو الظاهر ، وفي التوسُّلِ بوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى الكمال اعترافٌ بالعجز مع التحريك لسلسلة إجابته ، والرجاء لوصول الكمالات إلى أنت ربي ، فقيل : وجودي وليس وجود ربوبيتك بوجود يفقد ، كنتَ قبل أن أكون ، أنت الذي تبلغني بأنواع النعم والكرم إلى الكمال ولقاء الجمال ، أنت مصلح أموري ومهيّء معاشي ومعادي ، أو مصلح قلبي بالمعرفة ولساني بالشهادة ونفسي بالخدمة ومصلح طاعتي مع التقصير فيها بالقبول والإحسان ، ومصلح ذنوبي مع كثرتها بالعفو والغفران ، وتخصيص الربوبية بنفسه مع أنه رب بجميع المربوبيات : الاستعطاف والتوسل إليه تعالى بنعمه السابقة ، وقد ورد أنه الاسم الأعظم ، لما روي عن الخضر عليه السلام ، قيل في وجهه : إن كل اسم إذا قلب تغير معناه إلا الرب ، فإنه بعد القلب يكون بالبرّ وهو من أسماء الله تعالى ، =

وَعِلْمُكَ(١) حَسْبِي(٢) ....

= ولذا ترى كل نبي وولي يذكرونه في أول دعواتهم ، كما ورد في الدعوات القرآنية .

(١) « وَعِلْمُكَ » بحالي حسبي عن سؤالي ، يعني علمك بجميع أموري وضعفي وفقري وذلي وغمي وهو كاف لي في النصرة والفتح والمغفرة والرحمة والرزق والهداية والنجاة وفي سائر ما أحتاج إليه في الدنيا والآخرة ، ففيه استغناء بالحق عن الخلق ، أو لا فائدة في معرفة العاجز ، أستغني بعلمك أحوالي عن معرفة المخلوق ونصرته وإحسانه ، أو علمك قصدي من الدعاء وما هو خير لي .

(٢) « حَسْبِي » لأنك أرحم بنا من كل شيء فلا حاجة إلى الدعاء والطلب ، وإنما أدعوك إظهاراً للعبودية لك تخشعاً لعظمتك وتذللاً لعزتك وافتقاراً إلى ما عندك ، فاقعد لنا في جميع المصالح ، وهذا من جوامع الكلم يندرج فيه الكل ، ولذا صدره الشيخ .

فحظ السالك : أن يكتفي بعلمه تعالى عن الإعلام إلى سواه ، وأن لا يشكو إلى أحد من ضُرٍّ نزل بِهِ ، مثلاً : كما قال تعالى حاكياً عن سيدنا يعقوب صلوات الله على نبينا وعليه : ﴿ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ، ومن قدر على الابتلاء قدر على الدفع والرفع ، وهذا مقام عزيز بل نهاية مقامات المقربين ، ألا ترى إلى قول سيدنا إبراهيم صلوات الله على نبينا وعليه آخر كلامه في أضيق حاله وشدة ابتلائه كما روي ، ولو كان أعلى منه لما اختاره الخليل عليه السلام ، ومن علم أن الله تعالى كافية لا يستوحش على إعراض الخلق عنه ثقة بأن الذي قُسِمَ له لا يفوت وإن اعرضوا عنه ، والذي =

فَنِعْمَ الرَّبُّ رَبِّي[١] وَنِعْمَ الحَسْبُ حَسْبِي[٢] ....

= لم يقسم له لا يصل إليه وإن أقبلوا عليه ، ومن اكتفى بحسن توليته الله تعالى لأحواله ، فعن قريب يُرَضِّيه مولاه بما يختار له ، فعند ذلك يؤثر العدم على الوجود والفقر على الغنى ، ويستريح إلى عدم الأسباب بمشاهدة تصرف المولى .

وخلاصة المرام في هذا الكلام : اكتفيت بعلمك عن المقال واستغنيت بجودك عن السؤال ، وعليك الاعتماد وياذا الجلال لأنك حميد غفار فلك الحمد على كل حال .

(١) « فَنِعْمَ الرَّبُّ رَبِّي » خالقي ومالكي وسيدي ومصلح أحوالي ومعبودي ومربي ظواهري بالنعمة وبواطني بالرحمة ، وهو ربَّاني مع كثرة عصياني بلا استحقاق مني ، فهو لا يخذلني ولا يضيعني ، بل لا يخلو لحظة من تربيته وإحسانه ، ولا أخلو لمحة عن مخالفته وعصيانه ، فجدير أن يمدح ويثنى عليه ، فلك الحمد على ذلك حمداً يليق بجلالك وجمالك ونوالك .

(٢) « وَنِعْمَ الحَسْبُ حَسْبِي » عن جميع حاجاتي ومسألتي ومناجاتي ، تفريع على النشر المرتب ، إلى نعم الكافي كافيّ ونعم الناصر ناصري ، إذ هو المنفرد في كفايته أمور المخلوقات ، ومن يتوكل عليه كفاه في جميع الحالات ولا يحتاج إلى أحد ، وهو منزَّه عن الزوال فلا يضيع من يكفيه ، إذ غيره تعالى من الخلق لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا يملكون موتاً ولا حياةً ولا نشوراً فكيف يكفيه لغيره ، كان ذلك في الكتاب مسطوراً والحمد لله حمداً كثيراً والشكر له بكرة وأصيلاً في المقام الأعلى وفي المسجد الأقصى . =

تَنْصُرُ(١) مَنْ تَشَاءُ(٢) وَأَنْتَ العَزِيزُ(٣)....................

---

* وقال إمامنا القشيري رحمه الله : كفاية للعبد أن يكفيه جميع أحواله وأشغاله ، وأصل الكفايات : أن لا يعطيه إرادة شيء فإنه سلامة عن إرادة الأشياء ، حتى لا يريد شيئاً أتمّ من قضاء الحاجة وتحقيق المأمول .

(١) « تنصر » بأنواع النصرة على الأعداء الظاهرة والباطنة المانعة من إقامة الطاعة دنيا وديناً وعقبى إذ بيدك النصرة .

(٢) « مَنْ تَشَاءُ » بنصرة الرسل والمؤمنين ، كما قلت في كتابك المنزل : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا ﴾ الآية . وفي أخرى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي : تُقَويه وتُغَلِّبه على عدوه ، ثم نقضُ العزائم وفتح الهمم دليلٌ على مشيئته وإرادته ، وحرمانُه المجدين وعجزُ المجتهدين عن رد قضائه دليلٌ على جلاله وعظمته وقدرته وقوته ، يحتمل الاستئناف تقريراً لمضمونه السابق والجواب والاعتراض وغيرها فليتأمل ، وإيثار الخطاب ليكون اللاحق على وتيرة السابق .

(٣) « وَأَنْتَ العَزِيزُ » المبالغ في العزة والغلبة فلا يعجز من يشاء أن ينصره أيّ فريق كان ، أو المنيع بسلطانه لا يغلب على أمره ولا يجري في خلقه إلا ما يريده .

وحظ السالك منه : أن يعز نفسه ولا يستهينها بالمطامع الدنية ، ولا يدنسها بالسؤال من الناس ، وحظ العبد منه : أن يغلب نفسه ويقهرها ويمنعها من هواها ، وقال أبو العباس المرسي : والله ما رأيت العز إلا في رفع الهمة عن المخلوقين ، وقد قيل : ذَلّ من استعزّ بغير الله .

الرَّحِيمُ[١] نَسْأَلُكَ العِصْمَةَ[٢]........................

(١) « الرَّحِيمُ » بالمؤمنين بالإمهال فلا يعاجل العصاة بالعقوبة ، وقيل : العزيز الغالب على أعدائه الرحيم العاطف على أوليائه ، وقيل : العزيز بالنقمة من الأعداء ، الذي لا يقاوم ، الرحيم للإحباء حين نصرهم ، أو الغالب بجعل الضعيف غالباً بنصرته والقوي مغلوباً بخذلانه ، فلا يغلب من ينصره ولا يضيع من رحمه ، أو العزيز بطمس وجوه الأعداء ، الرحيم بالعصمة والتوفيق ، وخَصَّ هذين الاسمين والجمع بينهما : إما للورود جمعاً بين الوعد والوعيد ، وقيل : لأنه إن لم ينصر المحب بل سلط العدوّ عليه فذلك لعزته وعدم افتقاره ، وإن نصر المحب فذلك لرحمته عليه ، وتقديم وصف العزة لتقدمه في الاعتبار .

وفي الختم بالرحيم إشارة إلى أنه يوصِل إلى عباده آثار رحمته أكثر مما يوصِل إليهم آثار رهبته ، فنسألك التوفيق لموجبات رحمتك ونستعيذ بك من موجبات الذل ونقمتك ، قيل : ومن المستحب تقديم النداء والثناء على السؤال للحاجات إذا أراد الدعاء ، ولذا راعى الشيخ حيث نادى أوّلاً بقوله ياالله ، وأثنى ثانياً بقوله أنت ربي اهـ .

ثم طلب حاجته فقال :

(٢) « نَسْأَلُكَ العِصْمَةَ » مع ثباتها لأنها لا يملكها إلا أنت ، وأن كل أحد لا يمتنع عن كل قبيح إلا بعونك وحفظك ، لأنك عصمةُ البائس الفقير ، الحافظ العالم بكل حركته وسكونه وما يحدث من الأحوال ، ولا يُتَصَوَّر لك الغفلة والنسيان . يحتمل أن يكون جواب النداء ، عدل عن صيغة الوجوه إلى الغير قصداً لشمول الأهل =

فِي الحَرَكَاتِ والسَّكَنَاتِ[١] . . . .

= والأولاد والأصحاب ، أي عصمة القلوب ، خصها : لأن الله تعالى جعلها محلاً للخواطر والإرادات والخطرات والنيات ـ وهي مقدمات الأفعال ـ ، وجعل سائر الأعضاء تابعة للقلوب .

(١) « فِي الحَرَكَاتِ والسَّكَنَاتِ » وجميع الحاجات ، ولكثرة تقلبه ، وقد ورد : إن قلب بن آدم مثل العصفور يتقلب في اليوم سبع مرات ، وفي رواية : لَقلبُ ابن آدم أشدّ انقلاباً من القدر إذا اجتمع غلياناً ، وأخرج الحكيم الترمذي عن أبي أيوب الأنصاري قال : ليأتين على الرجال أحانين وما في جلده موضع إبرة من النفاق ، وليأتين على الرجال أحانين وما في جلده موضع إبرة من إيمان ، ولذا كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يدعو : (**يا مقلِّب القلوب ثبِّتْ قلبي على دينك**) ، قالت أم سلمة : قلت : يا رسول الله إن القلوب لتقلب ؟ قال : (**نعم ما من خلق الله بشر من بني آدم إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله ، فإن شاء الله أقامه وإن شاء أزاغه**) .

ولذا طلب العصمة والتثبيت ، أو عصمة القلوب والأبدان ، أي : نسألك الحفظ من كل سوء ، أو عصمة أمري ، أو الامتناع بلطفك عن المعصية ، أو التمسك بالدين القويم والكتاب الكريم مع السلوك إلى الصراط المستقيم ، وقيل : نطلب منك أن تمنعنا من الذنوب بالستر عنا حتى لا نعرف طرقها ولا تخطر ببالنا . ثم المراد العصمة الكاملة البالغة الدائمة الخالية عن العجب إذ قد ورد : (**لولا أن المؤمن يعجب بعمل لعصم من الذنب خير له من العجب**) كما في الزواجر . وفيه إشارة إلى تقديم التخلية على التحلية ، لأن دفع المضار =

. . . .

= أهم من جلب المنافع ، وفيه إيماء إلى جواز سؤالها لغيرها .

وقيل : أخص العصمة في عرف العلماء بالأنبياء والحفظ بالأولياء ، والحق الجواز ، وكفاك حجة ماورد في الأدعية المأثورة في الرواية تعليماً لأمته : « **والعصمة من كل ذنب** » « **وتعصمني بها من كل سوء** » وقوله : « **اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم** » وقد ورد عن الكبار منهم الشيخ المؤلف وهو حجة وثقة ، ومنهم إبراهيم ابن أدهم ، قال في ليلة ممطرة : فلم أزل الوقوف إلى السحر ثم رفعت يدي إلى السماء ، وفي رواية البعض : تعلقت بالملتزم وقلت : اللَّهم إني أسألك أن تعصمني عن جميع ما تكره ، فإذا قائل يقول من الهواء : أنت تسألني العصمة فإذا عصمتك فعلى من أتفضل ولمن أغفر ، قال التفتازاني في التهذيب : أما اللطف والتوفيق والعصمة فعندنا خلق القدرة على الطاعة ، والخذلان خلق القدرة على المعصية ، وقيل : العصمة أن لا يخلق الذنب ، وقيل : خاصية تمنع صدور الذنب ، وقيل : العصمة اللطف المانع شرب القبيح ، انتهى .

قال في شرح المقاصد : اللطف والتوفيق خلق قدرة الطاعة ، والخذلان خلق قدرة المعصية ، والعصمة هي التوفيق بعينه ، فإن عمت كان توفيقاً عاماً وإلا فخاصاً ، ذكره أمام الحرمين وقال : ثم الموفق لا يعصي إذ لا قدرة له على المعصية ، وعند الحكماء والفلاسفة : ملكة تمنع الفجور بالعلم بمثالب المعاصي ومناقب

. . . .

= الطاعات ، كما في المواقف .

وأما ما قيل أنها خاصية في نفس الشخص أو بدنه يمنع سببها صدور الذنب عنه ففيه نظر إذ لو كان الذنب ممتنعاً لما صح التكليف بترك الذنب ، ولما كان مثاباً عليه . وفي شرح العقائد : حقيقتها أن لا يخلق في العبد الذنب على بقاء قدرته واختياره ، وهذا معنى قولهم : هي لطف من الله يحمله على فعل الخير ويزجره عن الشر مع بقاء الاختيار تحقيقاً للابتلاء ، ولذا قال الشيخ أبو المنصور : العصمة لا تزيل المحنة ، وفي شرح المقاصد : لطف لا يكون معه داع إلى ترك الطاعة ولا ارتكاب المعصية مع القدرة عليها ، وقال الراغب : العصمة فيض إلهي يقوى بها الإنسان على تحرّي الخير وتجنّب الشر حتى يصير كمانع له من باطنه ، وأن يكون معناً محسوساً وليس ذلك بمانع ينافي التكليف ، كما توهم بعض المتكلمين .

وفي شرح الجوهرة : هي ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها ، وقيل : اللطف أعم من العصمة التي هي الحفظ عن المعاصي والقبائح ، ومن التوفيق الذي هو جعل الله فعل عباده موافقاً لما يحبه ويرضاه ، وقيل : أصل التوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة فليتأمل حق التأمل ، ثم لا مانع من الطلب لأنه إن كان قبل البلوغ يكون طلباً للدخول في زمرة قوله تعالى : ﴿ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ أي : الذين لم يصيبوا الذنوب على ما قال غير واحد من المفسرين ، وإن كان بعده يكون طلباً للعصمة في بقية العمر من الآثام بالتوبة من السابق =

. . . .

= والحفظ أي من اللاحق ، والجمع بين الاكتفاء بعمله وبين طلب العصمة باعتبار الأحوال والمقامات فلا منافاة بينهما .

« **فِي الحَرَكَاتِ** » أي : الانتقالات من حال إلى حال ، والجمع للتعميم ، والعصمة مطلوبة أي : الحركات الظاهرة الجسمانية والباطنية من الحركات الفكرية النفسانية كالغضب ، قال الفلاسفة : الحركة خروج من القوة إلى الفعل على سبيل التدريج ، ويكون بالذات كالسفينة ، وبالعرض كحركة راكبها الحركة إما قسرية أو إرادية وإما سريعة أو بطيئة ، ثم تقديمها على السكنات لما في الحركات من بركات ، ولكثرتها غالباً فالاهتمام به أولى وأكثر .

« **والسَّكَنَاتِ** » في جميع الحالات ، أي : الثبات واللبث والاستقرار ، ويحتمل الوضع ، وقد استقروا على سكناتكم أي : على مواضعكم ، ويحتمل الاستقامة كما يقال : الناس على سكناتهم أي على استقامتهم ، ثم ما كان مسبوقاً بكونه آخر في ذلك الحيز بعينه فهو ساكن ، وما لم يكن مسبوقاً بكونه آخر في الحيز بل في حيز آخر فمتحرك ، وهذا معنى قول المتكلمين : الحركة كونان في آنين في مكانين ، والسلوك كونان في آنين في مكان واحد . وتحرير الكلام وبسط المرام محتاج إلى محله مع البحث اللائق والتدبر الصادق .

وقيل : ولله في كل تحريكة علينا وتسكينة شاهد ، ولذا استعصم فيها ، ويحتمل المعنى : نسألك العصمة من الحركات والسكنات لغيرك ، فقال بعض العارفين : حرام على كل قلب أن يشم رائحة

وَالكَلِمَاتِ[١] وَالإِرَادَاتِ[٢] وَالخَطَرَاتِ[٣]................

= وفيه سكون إلى غير الله .

(١) « وَالكَلِمَاتِ » وإطلاق الكلمة على المُرَكَّبَات شائع ، نحو : وكلمة الله هي العليا مكان الشهادة والتوحيد ، أي : نطلب الحفظ في كلماتنا تكلماً وسكوتاً عما لا ترضاه من الكلمات الباطلة والغلطات والمحرفات والسكوت عن كلمات الحق ، فإن صاحبه شيطان أخرس ، ونسأل أن تجعل كلماتنا طيبة صاعدة إلى جنابك ، كما قال تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ ، ولو عمّم الحركات والسكنات إلى اللسان وغيرها لكان ذكرها تخصيصاً بعد التعميم .

(٢) « وَالإِرَادَاتِ » جمع إرادة ، قال في القاموس : والصحيح : الإرادة المشيئة ، قيل : هي فراغ الجهد في الطاعات ، ويقال : بدء طريق السالكين إلى الله تعالى ، ومنه المريد للشيخ ، وقيل : هي صفة من شأنها ترجيح أحد المتساويين على الآخر . قال التفتازاني : هي صفة تخصيص أحد طرفي المقدور بالوقوع ، والتفصيل في محل ، أي : اختياراتها القلبية الجزئية ، أو مشيئاتنا وطلباتنا ، أو نسأل العصمة من نياتنا الخالية عن الخلوص في العبادات ، ومن الإرادات والمخالفات لإرادتك الجليلة أن يوافقها أو يخالفها شيء من الكائنات .

وحاصله : نسألك الإغناء بإرادتك واختيارك عن إرادتي واختياري ، وقال الشيخ صاحب الحزب : من أعظم القربات عند الله تعالى مفارقة النفس بقطع إرادتها .

(٣) « وَالخَطَرَاتِ » ويجمع على الخواطر أيضاً ، أي : القلبية كحديث النفس ، قيل : ترتيب الوارد على القلب على مراتب : الهمة ثم =

. . . .

= اللمة ثم الخطرة ثم النية ثم الإرادة ثم العزيمة ، فالثلاثة الأولى لا يؤاخذ بها ، بخلاف الثلاثة الأخر كما قيل ، قال بعضهم : الخواطر أربعة : خاطر من النفس يحس من أرض القلب ، وخاطر من فوق القلب ، وخاطر من الشيطان فهو على يسار القلب ، وخاطر من الملك فهو على يمين القلب ، ثم قيل : سبب اشتباه الخواطر الأربعة ضعف القلب أو قلة العلم بمعرفة صفات النفس وأخلاقها ، أو متابعة الهوى تحرم قواعد التقوى ، أو محبة الدنيا بجاهها أو طلب الرفعة بين الناس ، فمن عصم من هذه الأربعة يفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان .

قيل : من السنة أن يستعيذ بالله مما يخطر بباله من هواجس النفس ، وفي بعض الكتب : أن الهاجس هو الذي وقع في القلب أولاً ، وإذا لبث يكون واجساً ، وإذا قوي يكون خاطراً ، وإذا استقر يكون فكراً ، ولا ينبغي أن يستحقر العبد الخطرات واللحظات فكل ذلك يسأل عنه يوم القيامة إنه لم فعل وما الذي قصد به ، كما في مرشد الأنام لشرعة الإسلام ، وهذا يحتاج إلى التأمل الصادق والتتبع اللائق ، أو النكات التي خطرت ببالنا والأمور التي دخلت في قلوبنا ، قيل : الخواطر لا تثبت ، أو نسأل العصمة عن المخاطرات والمخاوف والحماية في حرمتنا وعزتنا ومنزلتنا عما يوجب الملام يوم القيامة .

وحاصله : نسألك العصمة من كل همّ وغمّ وخطر وقصد وفكرة وتمنٍّ ومباشرة وإصرار وأمثالها ، مما يخل بالكمال ورضاء الملك

مِـنَ الظُّنُـونِ[1] ....

= المتعال ، قال إمامنا القشيري رحمه الله : من وجوه الظلم على القلب تمكين الخواطر ، منها : همٌّ وأخطاء الغير بالبال ، وقال شيخنا المؤلف : إذا كثر عليك الخواطر والوساوس فقل : سبحان الخلاق ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ وقال أيضاً : البصيرة كالبصر أدنى شيء فيها يعطل النظر وإن لم ينته الأمر إلى العمل ، فالخطرة من صفات البشر تشوش نظر البصيرة وتكدر الفكر والإرادة ، وتذهب به بالخير رأساً ، والعمل به يَذهبُ بصاحبه عن سهم من الإسلام ، فإذا استمر على الشر تفلت من الاسلام سهماً سهماً فإذا انتهوا إلى الوقيعة في العلماء والصالحين وموالاة الظالمين حباً للجاه والمنزلة عندهم ، فقد تفلت منه الإسلام كله ، ولا تغرَّنَّك منه ما توشَّم به ظاهراً فإنه لا روح له ، فإن الإسلام حب الله ورسوله وحب الآخرة وحب الصالحين من عباده .

(١) « مِنَ الظُّنُونِ » وتقديمها كما في أكثر النسخ ، وهو الظاهر المروي عندنا ، إما لقوته أو شرفه بالنسبة إلى اللاحق ، وتقديم الشكوك ترقياً من الأضعف إلى الأقوى ففيه رعاية للجانبين .

في القاموس : الظن التردد والراجح بين طرفي الاعتقاد الغير الجازم ، جمعه الظنون ، وقيل : هو الذي يحتمل الثبوت وغيره ، لكن على الثبوت رجحان ، مثل : زيد قائم ، والجار متعلق بالعصمة للتبعيض أي : بعض الظنون المختلفة السيئة ، وهو الظن السوء لأن جميعه ليس بمنهي عنه ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ كظنون أرباب الضلال التي لا تستند إلى برهان ، بل إلى خيالات =

. . . .

= كاسدة وأقيسة فاسدة ، كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بأدنى مشاركة موهومة ، مع أن العلم بالأصول لازمٌ والتقليد والاكتفاء بالظن غير جائز ، ولذا ذمّهم الله في كثير من الآيات باتّباع الظن ، وبيّن أنّ سبب مصيرهم إلى الضلالة الموجبة للنار ، والأدلةُ الظنّية الفقهية كظنون المجتهدين غير داخلة فيها ، فلا يطلب منها العصمة .

وقيل : وللظن أقسام : قسم واجب : وهو حسن الظن بالله تعالى ، وقسم مندوب : وهو حسن الظن للأخ المؤمن الظاهر العدالة ، وقسم حرام : وهو سوء الظن بالله تعالى وسوء الظن بالمؤمن ، وقد ورد خصلتان ليس فوقها شيء من الشر : سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله ، ذكره السيوطي في حصول الرفق .

وعن أبي الشيخ البصري قال : أوحى الله إلى داود عليه السلام : تزعم أنك تحبني وتسيء فيّ الظن صباحاً ومساء ؟ ! أمَا كانت لك عبرة أن شققت سبع أرضين فأريتك دودة فيها بره لم أنسها ؟ كما في الدر المنثور . وأما مجرد الظن بلا تكلم ولا تحقيق فلا محظور ، لكن الكمال سلامة الصدر ، أو للتبيين بناء على أن طلب العصمة من جميع الظنون في الأحكام النظرية والعلمية ليخرج منها إلى مرتبة اليقين ، وهو المطلوب عند أرباب الحقائق ، وهو الظاهر المناسب للمقام ، وأما الأخذ من الظنة بمعنى التهمة أي : العصمة عما يوجب التهم في هذه الأشياء فبعده لا يخفى فتدبر .

ثم هذا ناظر إلى الخطرات والإرادات لا يقبلها هو القلب كما

وَالشُّكُوكِ[١] **وَالأَوْهَامِ**[٢] **السَّاتِرَةِ**[٣] ....

= لا يخفى ، ولا يبعد أن يكون ناظراً إلى الكل ، فالمعنى : اعصمنا من الظنون حتى لا نتحرك ولا نسكن ولا نتكلم ولا نريد شيئاً مبنياً على الظن وعملاً به ، بل أوصلنا من رتبة البيان إلى ذروة العيان ، والله المستعان فله الحمد في جميع الآن .

(١) « **وَالشُّكُوكِ** » جمع شكّ ، قال في الصحاح : هو ضد اليقين ، وعرفاً : هو التردد والأمر المساوي ، وقيل : تجويز الأمرين من غير مرجح ، وقيل : هو الذي يكون دلالته على الطرفين مساوياً ، أي : نطلب العصمة من الشكوك في أمور الدين بعد اليقين ، أو من غيابها وظلمات الشبه بالإيصال إلى نور الإيقان والإحسان وكمال الإيمان ، والاستعصام منه لأنه مخل بالدين ، لأنه لا يغني في معرفة الله شيئاً ، ولا يقوم مقام العلم والتحقيق ، ولذا أورد الاستعاذة بقوله عليه السلام : « **أعوذ بك من الشك في الحق بعد اليقين** » وغيره .

(٢) « **وَالأَوْهَامِ** » في القاموس : **الوَهَمُ** من خطرات القلب ، أو مرجوح طرفي المتردد ، وفي جمعه : أوهام ، وقيل : هو الذي يكون دلالته على الثبوت لكن طرف الثبوت مرجوحٌ ، في الصحاح : وَهِمَ في الحساب : غلط فيه وسهى ، إلى العصمة من الغلطات في الأمور ، يعني : أسألك اليقين الصادق الذي ليس بعده شك ولا وهم ولا ظن ، لأنها لا تنفع في معرفة الحق نفعاً ما ، وأنها ليست كاليقين سيما في المطلوب فيه العلم ، وقد قيل : إن حقيقة اليقين مشاهدة الغيوب بكشف القلوب ، وملاحظة الأسرار بمخاطبة الأذكار .

(٣) « **السَّاتِرَةِ** » صفة الأوهام وهو الأقرب ، أو المثلثة وهو الأظهر ، =

لِلْقُلُوبِ[(١)] عَنْ مُطَالَعَةِ الغُيُوبِ[(٢)] ....

= يحتمل الاحتراز ، ويحتمل المضارّ : أي التي تستر وتحجب .

(١) « لِلْقُلُوبِ » وأفئدتنا ، خصها لأنها أعز موضع في بدن الإنسان ، ومحل الإيمان ونظر الرحمن ، وملك الأبدان أن يجعلها بظلماتها كالشيء المغطى والأمر المغشي ، وتكون حائلاً بين القلوب وبين مطالعة الغيوب ، ويجعلها عُمياً ، لذا ذمَّ تعالى من كان أعمى القلب كقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ فحمايتنا أهم من كل الوجوه ، وعميها أشد من عمى الأبصار ، وهذا سبب قوي لمن بغى وطغى ومن قال أنا ربكم الأعلى ، فنعوذ منه بالله العلي العظيم الأعلى .

ثم إذا خلى القلب عن الموانع المذكورة تجلت في القلب الأنوار القدسية وآثار الملكوت وذلك بفضل الله وتوفيقه وهدايته .

(٢) « عَنْ مُطَالَعَةِ الغُيُوبِ » ومشاهدة قدرتك ومطالعة إرادتك وانكشافها ، مضاف إلى مفعوله الفاعل متروك وهو القلوب وهو الأقرب ، أو مطالعة وهو الأظهر ، والغيوب : ـ جمع غيب ـ وهو ما غاب عن العباد ، وفي القاموس : كل ما غاب أي عن اطّلاعنا من الأمور الدينية والدنيوية ، واللام للجنس ولا مجال للاستغراق ، أو لا يمكن مطالعة جميع الغيوب ، منها المغيبات الخمس ، والحمل على العرفي بعيد وتكلف بلا سبب ، أي جميع الحقائق المغيبات من التي يجوز مطالعتها ، ثم هو إما متعلقة بالساترة أي هذه الأشياء تستر القلوب وتحجب وتحول بحيث لا يقدر أن يطالع الغيوب ، أو متعلق بالعصمة عن مطالعة الغيوب ، مما لا يجوز الإقدام عليها =

فَقَدِ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ(١) وَزُلْزِلُوا(٢) زِلْزَالاً شَدِيداً(٣) وَإِذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ(٤)

= كالمتشابهات والخوض في ذات الله وصفاته وفي مسائل الإرادة وبحث القدرة .

ثم خلاصة الكلام اجعل حركاتنا وسكناتنا وأقوالنا وإراداتنا وأحوالنا كلها لك ، واشغلنا بك لا نتكلم إلا ثناء عليك ، ولا نتحرك إلا في طاعتك ، ولا نجتهد إلا فيما يقربنا إليك ، ولا نفتر عن ذكرك ، ولا نرجو غيرك ، فكن أنت ولينا وناصرنا في جميع أمورنا ، فأعطنا سعادة لا نشقى معها بمطالعة غيرك .

(١) « فَقَدِ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ » أي امتحنوا بالصبر وتمييز المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل ، ولعل إيراده تأييد لما سبق ، من طلب العصمة .

وخلاصته : نسألك أن تكسينا جلابيب العصمة في الأنفاس واللحظات ، وأن توقفنا إلى حقيقة العبودية في جميع الحالات ، ونسألك علماً لَدُنِّيّاً نترقى به إلى مراقي الكمالات في المحيا والممات ، والمجمل : هب لنا من مواهب السعداء واعصمنا من موارد الأشقياء .

(٢) « وَزُلْزِلُوا » أي حُرّكوا من شدة الفزع .

(٣) « زِلْزَالاً شَدِيداً » تحريكاً بليغاً يعني : خُوِّفُوا وأُرْهِبُوا خوفاً شديداً ، قيل هذا بالجوع ، وقيل : باضطراب الأقدام في القتال ، وقيل : هي اضطراب القلوب من الهيبة ، وقيل : من وقوع الشبهات للضعفاء . واذكر

(٤) « وَإِذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ » أي وقت قولهم وتكلمهم بما في أنفسهم من النفاق ، وهم المظهرون للإسلام مع إخفاء الكفر ، ويطلق على كل =

وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ[١] ....

= من خالف ظاهره باطنه ، وصيغة المضارع لاستمرار القول ، واستحضار صورته يعني حكاية حال ماضيه تهجيناً لذلك .

(١) « وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ » شكّ وشبهة وضعف الدين ، أصل المرض الضعف ، سمي الشكُّ في الدين مرضاً : لأنه يضعف الدين كما أن المرض يضعف البدن ، وقيل : استعير المرض لغرض النفاذ لأنه حقيقة : فيما يعرض البدن فيخرجه عن الاعتدال إلى اللائق به ، ومجاز : في الأعراض النفسانية التي يخل كمالها كالجهل ـ وهو أضر للقلب من البدن ، وعلاجه أعسر ، وأطباؤه أقلّ ، والخلاص منه أجلّ ، وهو مهلك جداً ـ ، وسوء العقيدة والحسد وحب المعاصي لأنه مانعته من الفضائل أو مؤدية إلى زوال الحياة الحقيقية الأبدية ، ثم تنكيره للتنويع أي نوع مرض ليس ما يتعارفه الناس ، شبههم بمرض لاضطرابهم في الدين لأنهم كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين بالقول والقالب ويضمرون لهم الخلاف بالقلب ، فكان حالهم كحال المريض إذ هو أشرف على الموت ويرجى الإقبال منه ثانياً .

قيل : هم قوم لا بصيرة لهم في الدين بل لهم تردد واضطراب ، كان المنافقون يستميلونهم بإدخال الشبه عليهم ، ولذا تطمئن قلوبهم بالإيمان ، وقيل : هم المشركون لأن فيهم مرض الشرك ، كتردد المريض بين بقائه حياً وبين موته ، وقيل : هم الذين ليسوا بثابتي الأقدام في الإسلام ، بل كانوا على حَرْف ، وقيل : الواو فيه للعطف التفسيري ، أي : هم الذين في صدورهم ريب ، وقيل : هو وصف =

مَا وَعَدَنَا اللهُ[١] وَرَسُولُهُ[٢] إِلاَّ غُرُوراً[٣] فَثَبِّتْنَا[٤] ....

= المنافقين ، والواو للجمع بين الصفتين ، أي الجامعون بين النفاق والشقاق ، قيل : ليس بظاهر ، لأن من أظهر الإيمان ثلاثة أقسام : الخلص القلوب والضعاف القلوب والمنافقون .

وفرق البعض بينهما : أن المنافق أقرّ باللسان وأضمر النفاق ومَرَدَ عليه ، ولم يشك في تكذيب الرسول وجحد الكتاب ، وأما الذين في قلوبهم مرض فيشكون في التكذيب وجحده ينظرون ما يكون ، فإن أصابهم جحد صاروا إلى ما صاروا إليه ، وسبيلُ الفريقين الكفر .

(١) « مَا وَعَدَنَا اللهُ » من إعلاء الدين بالنصر والظَّفَر على المشركين .

(٢) « وَرَسُولُهُ » بأخبار الفتوحات ، قال معتب حين رأى الأحزاب : يعدنا محمد فتح فارس والروم ولا نقدر إلى الخروج إلى البراز خوفاً ، ما هذا الوعد ؟ .

(٣) « إِلاَّ غُرُوراً » أي وعداً ، فظن المنافقون أن ما قال الله ورسوله كان زوراً ووعدهما غروراً ، إذا كان أحوال المذكورين هكذا ، والفاء لترتيب الدعاء على ما قيل من الابتداء ، وفي التفريع لطافة كما لا يخفى ، ولذا خص التثبيت بالذكر .

(٤) « فَثَبِّتْنَا » أي : ثبت قلوبنا على دينك وعلى اليقين عند ابتلائك ، كما ثبَّتَ قلوب أصحاب العناية هنالك ، أو ثبت قلوبنا وأقدامنا على الاستقامة والسلام بالتأييد منك عند محاربة الأعداء والأضداد ، أو ثبتنا عند المضايق بالصبر والتسليم والإمداد ، أو ثبتنا على دين الحق وملك العافية ، أو على العصمة المذكورة الكافية ، كأنه على وعده =

وَانْصُرْنَا(١) ....

ـ الكريم حصل وطلب دوامها ، وإنما طلب الثّبات لأنه حال من شاهد أنوار النبوة والمعجزات إذا كان على التردد والاضطراب عند الاختيار ، فما الظن بالغير ؟ نسأل الله الثبات والنجاة .

وقال الشيخ : إذا عرض لك عارض ليصدك عن الله فاثبت ، قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ ﴾ الآية . وأيضاً يقول : إذا ضيّق الله عليك في المعيشة فاعلم أنه يريد أن يواليك فاثبت وإياك والضجر .

(١) « وَانْصُرْنَا » إنه لا ناصر لنا إلا أنت ، وقد ذلّ من استنصر بغيرك ، انصرنا على جميع الأعداء بالحجة والغلبة والقهر ، وقال الشيخ المؤلف : من سوء الظن بالله أن يستنصر بغير الله من الخلق ، قال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ ﴾ الآية . وقال إمامنا القشيري رحمة الله عليه : حقيقة النصرة أن ينصرك على نفسك فإنها أعدى عدوك ، وهي أن تحرم عنك دواعي فِتَنِها بعواصم رحمتك ، حتى تنقصر جنود الشهوات بهجوم وَقود المناولات ، فتبقى الولاية لله تعالى خالصة من رعونات الدواعي ـ التي هي أوصاف البشرية ـ والشهوات النفسية ، وقال شيخنا المؤلف : من الشهوة الخفيفة للولي إرادة النصرة على من ظلمه ، وقال الله للمعصوم الأكبر : ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ ﴾ أي : فإن الله تعالى قد لا يشاء إهلاكهم انتهى .

قيل : وانصرنا بإعطاء الصبر الجميل على المحن ، والتوفيق للشكر على المنن والتوفيق لحقائق الزهد ، والاستغناء بك عن طلب =

وَسَخِّرْ لَنَا[١] هَذَا البَحْرَ[٢] ....

= غيرك ، والإجلاس ببساط الصدق والإكساء بلباس التقوى ، وبإملاء قلوبنا بمحبتك مع عدم الاتّساع لغيرك ، والأمن عن هم الرزق وخوف الخلق وعن عصمته ، وبالصرف عن كل محبوب هو لي ولا يكون لك ، وبالإذاقة لحلاوة الرحمة والمناجات ولذة الطاعات ، أو انصرنا في كل حال على الكمال ، لا سيما عند شدة الاحتياج والارتحال ، إذ لولا نصرتك وعصمتك طرفة عين لشغلني أضعف دبيب من خلقك عن كل شيء . وخلاصة المعنى : انصرنا بدوام التوفيق وتمام التحقيق .

(١) « وَسَخِّرْ لَنَا » أي ذلك لمنافعنا واجعله مطيعاً ومنقاداً لأمرنا غير ممتنع علينا بحيث يكون لنا كالوالدة لولدها بلا استحقاقٍ منَّا .

(٢) « هَذَا البَحْرَ » فإن تسخيرك لنا نعمة جزيلة وقد مننت به علينا بقولك : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ ﴾ أي : البحر الذي ركبناه وسلكنا فيه أيّ بحر كان ، ملحاً أو عذباً وبحر المقاصد والحاجات وتسخير الحيوانات ، والمراد بتسخيره تسخير مائه وريحه وهوائه وصيده وجميع ما فيه ، بالجري فيه عند الركوب بريح طيب على وفق المراد ، وبتعليم وجود أجزاء السفن مقبلة ومدبرة بقطع المسافات البعيدة في المدة اليسيرة ، بلا ظهور أذى فيه بالأمواج والرياح الشديدة والموانع ، وبجعله سلامة ووقاية عن كل مكروه ، مع الإيصال بكل مقصوده ، راضية مرضية بتيسير جميع الأسباب ، وتوفيقها على ما أفاد الكلام كله بمقتضى علمه تعالى ، أو حصول المطالب الحسنة بالخير زائداً على طبق المأمول ، أي : سهّل لنا =

كَمَا سَخَّرْتَ[١] البَحْرَ لِمُوسَى[٢]..........................

= بالخير والكفاية جميع الأمور في البر والبحور ، ثم مراد الشيخ منه في ابتداء أمره بحر القلزم على ما في أسامي الكتب ، لا بحر النيل كما توهم البعض ، إلا أن يقال لا مانع من الجميع ، والظاهر : أنه عام للبحر والبر وجميع المقاصد من جلب خير ودفع شر على تقدير قراءته في البحر لما ذكره حقيقة ولغيره مجاز ، ولا يغير لفظ الشيخ بل يقرأ على ما ذكر فالتَّيَمُّن فيه ، ولا موجب لتحريفه بل يقوى ، لمقصوده بقوله هذا البحر : المراد الذي أراد ، من نيل العطايا وصرف البلايا مما يرضي الله تعالى .

(١) « كَمَا سَخَّرْتَ » تسخيراً مماثلاً تسخيرك .

(٢) « البَحْرَ لِمُوسَى » سمي البحر به لعمقه واتساعه وانبساطه ، وأصله للمكان أطلق على الماء تجوزاً ، قيل : خاص بالملح ، وقيل : عام بها ، والأخير هو المختار ، قدم لكونه أعظم وأدل على القدرة وأدخل في الأعجاز وأخرق للعادة ، وكذا أكثر الله ذكره في القرآن ، أو لكمال تناسب كل منها في هذا البحر على الأشهر ، ولم يذكر قومه لأن المبغى الأصلي منه هو عليه السلام ، وقومه تبع له ، فعلى هذا إنه المعهود وهو البحر القلزم ، طرف من بحر فارس ، أغرق الله فرعون وقومه فيه ، وفي القاموس : قلزم بلدة بين مصر ومكة قرب جبل الطور ، وإليه يضاف بحر القلزم لأنه على طرفه ، أو لأنه يبتلع من ركبه ، وقيل : بحر أساف من بحار مصر ووراءه ، قيل : سمي اليم بحر قلزم لكن فيه نظر فليتأمل ، أو بحر النيل عند الإلقاء في أول أمره بالتابوت ، أو عند إغراق فرعون على اختلاف المفسرين ، =

. . . .

= فظهر من هذا : أن تخصيص الأول بالنيل ، والثاني بالقلزم فاسد جداً على ما لا يخفى ، ولا يبعد إرادة العموم بالتَّجوُّز كما مر ، كيفية تسخيره البحر له عليه السلام مفصل في محله ، وذكره لأنه من التسخيرات العجيبة ، ومن قدر لمثل هذا فتسخير البحر له أقدر ، وفي الحاشية والشرح العتيق : ينبغي أن يقرأ لأمن الغرق في البحر بعد قوله : فثبتنا وانصرنا قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ الآية . ﴿ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا ﴾ إلى : ﴿ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ثم يقول : وسخر لنا هذا البحر الخ .

للأمن من الغرق فوائد عظيمة نافعة بعضها مجربة ، من كتب اسمه تعالى المقتدر وعلقه على سفينة أمنت ، ومنها : دعاء أبي الدرداء : بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، أشهد أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ، أحصى كل شيء عدداً ، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر غيري ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم ، وأنت على كل شيء حفيظ ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ ، ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ . من داوم عليه صباحاً ومساء أمن من الغرق والحرق .

عن النبي عليه الصلاة والسلام : « أمان أمتي من الغرق إذا ركبوا =

. . . .

= في السفينة بسم الله مجريها . . » إلخ . ذكره الإمام الجزري والقرطبي وابن كثير . ومن المجربات أيضاً : دعاء الخضر عليه السلام ، وقد ورد : من قالها كل يوم ثلاث مرات أمّنه الله من الغرق والسرق ، ومن الشيطان والسلطان ، ومن الحية والعقرب ، ذكره السيوطي وغيره . وقد جمعت في هذا الباب دعوات وسميته : (فتح البحر لأمن البحر) والحمد لله رب العالمين .

وكفاك في هذا الشأن ما نقل عن السادات الأخيار وما جربه الأبرار ، وعن محمد بن شبل أنه قال : لما انصرفت عن الحج وكان مسيري إلى مدينة تونس ، فلقيت الفقير زيد بن إسماعيل ، فلما ودعته إلى الخروج قال : يا محمد أتركب البحر ؟ فقلت : نعم إن شاء الله ، قال : حدثني ابن عباس رضي الله عنه أنه قال حين ركب البحر أو دابة فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ، بسم الله الملك الديان ، يا من له السموات السبع خاشعات والبحار الزاخرات خاضعات ، احفظني أنت خيرٌ حافظاً وأنت أرحم الراحمين ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ إلى قوله : ﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه وذرياته وعلى جميع النبيين والمرسلين والملائكة المقربين ، ﴿ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

ثم قال ابن عباس لأصحابه : إن عطب قائلها أو غرق فقد ديته فقال محمد : أنا ركبت البحر من ساحل شرشا ، فكنا اثنين وعشرين

وَسَخَّرْتَ النَّارَ[١] لإِبْرَاهِيمَ[٢]......................

= مركباً ، ما سلم منها إلا المركب الذي فيه هذا الدعاء بإذن الله تعالى .

(١) « وَسَخَّرْتَ النَّارَ » المعهودة وهي نار نمرود ، مع عُتوّ تمرده واستكباره وقوة سلطانه ، حيث نصرته بجعله حديقة وبرداً وسلاماً على ما ذكره الله ، قيل : لم يبق في الأرض يومئذ نار إلا طفئت ، فلم ينتفع ذو اليوم بنار العالم .

(٢) « لإِبْرَاهِيمَ » عليه السلام ، عن أبي بن كعب : أن إبراهيم عليه السلام حين أوثقوه ليلقوه في النار ، قيل : كان من دعائه عليه السلام : (لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين ولك الملك لا شريك لك) قال وهب : قال : يا أحد يا صمد بك أستعين وبك أستغيث وعليك أتوكل ، حسبي الله لا إله إلا هو ونعم الوكيل ، يا رب إنك أنت تعلم إيماني لك وعدوان قومي فيك ، فانصرني عليهم ونجني من النار ، ثم أُهوي به في المنجنيق إلى النار ، فاستقرّ له جبرائيل ، فقال : يا إبراهيم ألك حاجة ، فقال : أما إليك فلا ، قال جبرائيل : فسل ربك ، قال إبراهيم عليه السلام : حسبي من سؤالي علمه بحالي .

روى البخاري عن ابن عباس في قوله : حسبنا الله ونعم الوكيل ، قالها إبراهيم حين ألقي في النار وقالها محمد عليه السلام حين قال لهم الناس : ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ﴾ الآية ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : إنما نجي بقوله حسبي الله ونعم الوكيل فرموه فيها ، وهو يقول حسبي الله . اهـ كما في المدارك . =

. . . .

قيل : أخذت الملائكة بضيفي إبراهيم ، فأقعده على الأرض ، فإذا عين ماء عذب ، وبقي في ذلك الموضع سبعة أيام ، قال عليه السلام : ما كانت أيام قط أنعمَ من الأيام التي كنت في النار ، وفي رواية عن أبي هريرة قال : إن أحسن شيء قاله أبو إبراهيم لما دفع عنه وهو في النار وحده يرشح جبينه ، فقال عند ذلك : نعم الرب ربك يا إبراهيم ، ذكره السيوطي في سورة الأنبياء . قال وهب : وجعل الله عز وجل ما حوله روضة خضراء ، وفرش له فيها ما اشتهى ، وألبسه وبنى فوقه قبة ، وجعل بينه وبين النار حجاباً من ثلج ، فكانت النار توقد فوق ذلك . وقيل : نزع الله طبعها الذي خلقها عليه من الحرّ والإحراق ، فذهبت حرارتها وأذاها وبقيت ضوءها والله على كل شيء قدير ، وجعل ذلك حتى نظر ضوءَها أهلُ الشام ، وذاب النحاس الذي سدت الأبواب ، واحترق الجدار وصار رماداً ، وخرج منها إبراهيم سليماً صحيحاً ، قيل : ما من ماء عذب إلا وينبع من تحت الصخرة في بيت المقدس ، وما من قرى إلا وينبع من كوثر الذي أحرق فيه إبراهيم عليه السلام . ـ ناحية من بابل ـ .

ثم اختلفوا في كيفية التسخير ، قيل : يخلق الله تعالى في جسمه كيفية حرارة قوية لا يعمل فيها النار ، وتلك حرارة العشق والمحبة ، كما ورد : (جُزْ يا مؤمن فإن نورك أطفأ لهبي) وقيل : بإذهاب حرارة النار وأذاها وإبقاء برودتها ، فصار يتلذذ برودها بحرارته ، أو بإذهاب بعض الحرارة والخلق فيها بعض البرودة فاعتدَلا ، وقيل :

وَسَخَّرْتَ الجِبَالَ(١) والحَدِيدَ(٢) لِدَاوُدَ(٣) وَسَخَّرْتَ الرِّيحَ(٤) ....

= إنهم قالوا نار مسحورة الاحتراق فرموا فيها شيخاً منهم فاحترق ! .

والحاصل : كلٌّ مِنْ أبدعِ خوارق العادات وأبهر المعجزات وأعظم الآيات .

(١) « وَسَخَّرْتَ الجِبَالَ » المعهودة ذهناً أو خارجاً ، وفيه إشعار لكثرتها ، قدَّمها لِعظَمِها لأنّ تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة ، لأنها جماد ، قال ابن عباس : كانت تسبح معه الحجر والشجر ، ويسمع تسبيح الجبال ، ويمر بالجبال السبحا وهي تجاويه ، يسمع داود عليه السلام وحده ، أو كل أحد ، وقيل : كانت تسبح معه وتسير معه بالنهار حيث سار .

(٢) « وَالحَدِيدَ » معروف سمى به لأنه منيع ، كذا في الصحاح ، إذ الحديد بمعنى المنع أي جنسه ، جعله ليناً في يده مثل الشمع أو الطعن يطرقه كيف يشاء من غير نار ولا مطرقة ، وكان يتخذ منه الدروع وهو أول مَنْ عملها ، وكانت قبله صفايح . ذكره عمر النسفي ، وقيل : لانَ الحديدُ في يده لما أوتي من شدّة القوة ، أقول : هذا لا ينافي التسخير ، بل هو من المعجزات لكنّ الأوّل أولى ، وتقديمه لكونه أقدم في الوجود .

(٣) « لِدَاوُدَ » عليه السلام ، وفي القاموس والصحاح : اسم أعجمي لا يهمني انتهى .

(٤) « وَسَخَّرْتَ الرِّيحَ » قيل : هو جسم شفاف لا يعقل ولا يدرك بالبصر ، تمّ تسخيرها ـ جريانها بأمره وطاعتها له ـ على حسب ما =

وَالشَّيَاطِينَ(١) وَالجِنَّ(٢) ....

= يريد ، وبأمره ، لنفعه ، ولذا ذكر جميع التسخيرات باللام وفيه إيماء إلى أن الريح والشَّياطينَ والجنَّ مستخدمةٌ لِسُلَيْمَانَ عليه السلام ، أضيفت إليه بلام التمليك والنفع لأنها في طاعته وتحت أمره ، قيل : جعل ريحاً عاصفاً في وقت ، ورُخاء في وقت على حسب إرادته ، وقيل : كان الرخاء في نفسها طيبة كالنسيم عاصفة في عملها ، يبعد في مدة يسيرة ، وقيل : به الرخاء في الابتداء والعصف في الرجوع على عادة البشر في الإسراع إلى الوطن ، وكان يغدو من دمشق فيقبل باصطجر فارس وبينها مسيرة شهر ، ويروح من اصطجر فيبيت ببابل وبينها مسيرة شهر للراكب المسرع ، وقيل : يتغدى بالرَّيّ ويتعشى بالسمرقند . قدم الريح لأنها أعظم وأقوى وأدخل في الإعجاز .

(١) « وَالشَّيَاطِينَ » : جمع شيطان ، والجمع لبيان الكثرة ، قيل : الشيطان صنفٌ من الجن لا نوع آخر ، وقيل : أجسام لطيفة نارية خلقت على الشر ، وقيل : أجسام لطيفة بعقل ، والجامع بينها وبين الريح سرعة الإنتقال .

(٢) « والجِنَّ » : هم أجسام لطيفة هوائية فيهم المؤمن والكافر ، قيل : سخَّر الكفار دون المؤمنين ، ومن جملة تسخيرهم يغوصون في البحار له ، لا لأنفسهم ، لاستخراج اللآلىء والرخام ، يبنون المدائن والقصور والمحاريب من الأعاجيب والغرائب ، قيل : الحمام والنورة والطاحود والقوارير والصابون من استخراجهم ، ذكر أبو حبان : تم تسخير أكثف الأجساد لداود عليه السلام ، وهو الحجر بالإنطاق والتسبيح ، والحديد بالتليين كالعجين ، فيجعل في أصابعه =

لِسُلَيْمَانَ(١) وَسَخِّرْ لَنَا(٢) كُلَّ بَحْرٍ(٣) هُوَ(٤) لَكَ(٥) فِي الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ(٦) ....

= قوة النار ، وتسخير ألطف الأجسام

(١) « لِسُلَيْمَانَ » وهو الريح والشياطين - وهم من نار - الغوّاصون في الماء وهي تطفي النار فلا يضرهم : دليل واضح على قدرته الباهرة ، وإظهار الضد من الضد ، وفيه جمعية لطيفة ومناسَبة لا تخفى ، ولذا خصّهم بالذكر ولم يذكر الإنس والطيور كما في بعض النسخ .

ولعل من الزيادات لسليمان عليه السلام أخره لتأخيره في الوجود ، ثم التفصيلات في المطولات .

والمقصود من ذكر التسخيرات للأنبياء العظام ، على نبينا وعليهم أفضل الصلوات وأكمل التسليمات ، تحريك سلاسل الإجابة ، وتوصل إلى طلب النصيب ذرّة من هذه الكرامة الباهرة ، ولو معونة لطفاً وكرماً ، وتقوية لطلب الميعاد ، وتحقيق للاعتقاد ، شأنه تعالى إعطاء المراد لكل من أراد ، فمنه الإمداد وعليه الاعتماد في المبدأ والمعاد .

(٢) « وَسَخِّرْ لَنَا » ذلك لتنفعنا ، واجعله جارياً بأمرنا تحت مشيتنا ، لتسيير المراكب وتيسير المطالب وحصول المآرب .

(٣) « كُلَّ بَحْرٍ » بالنصب .

(٤) « هُوَ » أي البحر مختص .

(٥) « لَكَ » أنت خالقه ومالكه ومصرفه كيف تشاء ، ويجري بأمرك وإرادتك وقضاءك وقدرتك ، والتسخير لك .

(٦) « فِي الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ » إذ لا مسخِّر لشيء من الأشياء إلا أنت . في =

. . . .

= الأرض أي : في وجهها ، أو في جميع الأرض من البحار السبعة غير الأنهار العظيمة على ما نطقت به الآية الكريمة ، أو جميع مياه الأرض ظاهراً وباطناً جارياً وراكداً ، المقصود طلب السلامة من مضارها ومكروهاتها وجلب منافعها مما لا يعلمه إلا الله تعالى ، والسماء واللام للعهد أو الجنس ، أي : اجعلها أسباباً لمنافعنا لا لمضارنا فإن قيل : فما وجه طلب تسخيرها ، مع أن الله تعالى قد سخر لنا ما في جهة العلو من الشمس والقمر والنجوم والسحاب والأمطار ، حتى الملائكة للاستغفار ، وما في جهة الأسفل من الجبال والأشجار والأثمار والدواب والبحار والأنهار وغيرها مما لا يحصى ، كما أخبرها الله وامتن به لعباده بقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ﴾ الآية ، قلت : طلب للمزيد والدوام على التمام ، وفيه الاقتداء للشيخ العارف الموثق به عند الكرام .

وفي السماء السابعة تحت العرش بحر يسمى بحر الحيوان ، كما قال المفسرون في قوله تعالى : ﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾ : بحر تحت العرش . ذكر السيوطي عن ابن عمر قال : تحت بحركم هذا بحر من نار ، وتحت ذلك البحور بحر من ماء ، وتحت ذلك البحر من نار ، حتى عد سبعة أبحر من نار وسبعة أبحر من ماء . عن ابن عباس قال : إن هذا الخلق أحاط بهم بحر ، قيل : وما بعد البحر ؟ قال : هواء ، قيل : وما بعد الهواء ؟ قال : بحر أحاط بهذا الهواء والبحر الداخل إلى سبعة أبحر والثامن ، قيل : وما بعد الثامن ؟ قال : ثم انتهى الأمر . انتهى .

وَالمُلْكِ[١] وَالمَلَكُوتِ[٢] . . . .

---

(١) « وَالمُلْكِ » بالجر عطف على البحر أو الأرض وهو الظاهر ، أو بالنصب عطف على الكل المضاف ، كما قيل : أي جنبه أو جميع أفراده من الملك الظاهر والباطن ، كالعقل والعلم والطاعة وقيام الليل والزهد والقناعة والاستغناء عمن سواك ، وملك العافية والصحة وملك النفس منها من اتباع الهوى وقهر إبليس ، وملك الشفقة حتى أرحم الضعفاء والفقراء ، وملك العدالة والجود ، وملك الأخلاق الحسنة ملك التقاة ، وملك محبة القلوب ، وملك الجمال والكمال حتى يحبني الحاضر بالنظر ، والغائب بالخبر ، وملك الاحترام حتى نفرت مني اللئام والهوام ، وملك الدنيا وملك الآخرة الذي هو الملك الكبير المذكور في قوله تعالى : ﴿وَمَلِكاً كَبِيراً﴾ ، أي : الملك الذي لا زوال له ولا انتقال له ، والصحيح : أن الملك عام ولا دليل للتخصص .

(٢) « وَالمَلَكُوتِ » مصدر على أنه للمبالغة من الملك ، كالرحموت من الرحمة والرهبوت من الرهبة ، والجبروت معناه : الملك العظيم والسلطان القاهر ، ثم هل هو مختص بملك الله تعالى أم لا ؟ فقد قيل : الأول أظهر ، قيل : وهو الملك وفيه إذ العطف يقتضي المغايرة ، وقال بعض أهل التحقيق : إن الملك مقابل للملكوت فإن كل شيء له جسمانية كثيفة وروحانية لطيفة ، فجسمانية الظلمات من عالم الملك وهو عالم الشهادة ، وروحانية النورانية من عالم الملكوت وهو عالم الأمر وعالم الغيب .

ومجمل ما قيل : الملك يطلق على عالم الأجسام ، والملكوت =

وَبَحْرَ الدُّنْيَا(١) وَبَحْرَ الآخِرَةِ(٢) وَسَخِّرْ لَنَا كُلَّ شَيْءٍ(٣) . . . .

= على عالم الأرواح ، ويحتمل تسخيرها بإرادة ما فيها ، حتى تبلغ من درجة البيان إلى رتبة الإحسان وكمال الإيقان ، لتكون من زمرة الراسخين البالغين مرتبة العيان عن اليقين من معرفة الله المستعان ، فله الحمد في كل حال وآن .

(١) « وَبَحْرَ الدُّنْيَا » مع ما فيه عند الركوب والحاجة بالسهول والسلامة وحصول المقاصد ، وهذا يحتمل التأسيس والتأييد ، فتدبر .

ويجوز الجر والنصب عطفاً على كل أو البحر أو القريب ، قيل : إعادته يتعطف عليه قوله : وبحر الآخرة ، إذ يصح العطف بلا إعادة على ما لا يخفى ، والتفسير بكل بحار لا يخل عن قصور فليتأمل ، وأن تسخيره كناية عن التوفيق في كل شيء والظفر بكل محبوب والحفظ عن كل مهروب .

(٢) « وَبَحْرَ الآخِرَةِ » زاد البحر لئلا يوهم خلاف المقصود ، وهو العطف على البحر تحتمل الكناية عن الفوز العظيم فيها وهو بحر الثواب واللطف والعفو والحساب والكشف والحجاب .

(٣) « وَسَخِّرْ لَنَا كُلَّ شَيْءٍ » بأنواع تسخيرات ، وكلمة كل للاستيعاب والتناول بجميع ما دخل فيه ، والشيء هنا اسم لكل موجود مخلوق ، لأنه هو الذي يجوز دخوله تحت القدرة ، أي من الموجودات من البحار والأمطار والأشجار والأثمار والشموس والأقمار ، ونفوس الأبرار والأشرار ، وكل جبل وكل حديد وكل ريح وكل شيطان من الجن والأنس ، ومن الحياة والموت والعز والذل والصحة والمرض والسعة والضيق والخير والشر ، وإعطاء =

يَا مَنْ بِيَدِهِ(١) مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ(٢)..................

= الذكور والإناث من الأولاد والخدم والدواب ، وتصريف الليل والنهار والسحاب والحر والبرد وغير ذلك مما لا يحصى ، كل يجري على وفق أمري ، مع رضاك وعدم المخالفة لأمرك ، فإن جميع الخلق تحت قدرتك وقهرك وتسخيرك على ما أردت .

حاصله : كن لنا ملجأ منك إليك ، قال شيخنا صاحب الحزب : كنت في سياحتي فأتيت ليلة إلى غار لا بيت فيه ، فسمعت فيه حس رجل فقلت : والله أشوش عليه في هذه الليلة ، فبت على فم الغار ، فلما كان وقت السحر ، سمعته يقول : اللهم إن قوماً سألوا إقبال الخلق عليهم وتسخيرهم لهم ، إني أسألك إعراضهم عني واعوجاجهم علي حتى لا يكون لي ملجأ منك إلا إليك ، ثم خرج فإذا هو أستاذي ، قال : فقلت له : سمعتك البارحة تقول كذا وكذا ، فقال : يا علي ! أيّما خير لك أن تقول كن لي ، أو سخر لي قلوب عبادك ؟ فإذا كان لك كان لك كل شيء ، قلت : فلا منافاة ، إذ للعارفين مقامات بعضها أكمل وأعلى من بعض ، وفقنا الله للوصول إلى حقائق الغايات .

(١) « يَا مَنْ بِيَدِهِ » في قبضة قدرته أو في تصرفه

(٢) « مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ » وزيادة الواو والتاء للمبالغة في الصفة ، أي لطائف كل شيء حقائقه ودقائقه ، أو ربوبيته ومالكيته وسلطانه القاهر على كل شيء ، أو يا من يملك الأشياء كلها أو بيده عجائب كل شيء وخزائنها ، وبدايعه من الأرضين والسموات والعرش والفرش وغير ذلك ، فهو مالك كل شيء بالملك التام الحقيقي ، وهو =

﴿كٓهيعٓصٓ﴾[1] ....

= المتصرف في كل العالم ايجاد وإعداماً وإبقاء وإفناء وإعادة .
قال الإمام القشيري رحمة الله عليه : بقدرته ظهور كل شيء فلا يحدث كل شيء قل أو كثر إلا بإبداعه وإنشائه ، ولا يبقى ما يبقى منه إلا بإبقائه ، فمنه ظهور ما يحدث وإليه مصير ما يخلق ، وقيل : معنى كون ملكوت كل شيء بيده : أن تصرفه فيه بالذات لا بواسطة الأسباب العادية ، بخلاف ما في عالم الملك والخلق ، فإن تصرفه بواسطة الأسباب والآلات على مقتضى الحكمة ، قيل : ولم يقل وملكه مع أن الملك والملكوت له جميعاً للاكتفاء ، قلت : لا حاجة إلى هذا ، لأن المتصرف في ملكوت كل شيء يتصرف في ملكه بالأولوية ، على أن الشيخ اقتبس ولم يرض التغيير ، قيل : هذه خاتمة يس مشتملة على أسرار عجيبة فتحير فيها الأفهام وتكلّ عن شرحها الألسن والأقلام ، ولهذا قال حبر الأمة ابن العباس رضي الله عنهما : كنت لا أعلم ما ورد في فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك ، فإذا أنه لذلك الآية ، ولم يذكر البقية لأن المقصود بيان أنه المالك لكل شيء لا بيان أنه المرجع إليه .

(١) ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ قيل : اسم من أسماء الله تعالى ، ويؤيده ما روي عن علي رضي الله عنه أنه قال : (كهيعص اغفر لي) قال أبو بكر الأصم : لا يصح عن علي ، لأن هذا لم يذكر في أسماء الله المعروفة التي يدعى بها ، أقول : وعليه منع ظاهر ، وقيل : اسم القرآن ، وقيل : حروف من أسماء الله تعالى افتتح بها السورة ، وقيل : الكاف مفتاح اسم الكافي الكبير الكريم ، والهاء مفتاح اسم =

. . . .

---

* الهادي ، والعين مفتاح اسم العليم ، والصاد مفتاح اسم الصادق ، وقال ابن عباس : الكاف من كريم ، والهاء من هاد ، والياء من حليم رحيم ، والعين من عليم عزيز عدل ، والصاد من صادق وقيل : ثناء أثنى الله على نفسه ، قال : كاف بخلقه ، هاد بعباده ، يد الله فوق أيديهم ، عالم ببريقه ، صادق في قوله . قيل : لم ينزل كتاب إلا وله سر لا يعلمه إلا الله ، وسر القرآن فواتحه .

روي أن جبرائيل عليه السلام (لما نزل بقوله تعالى : ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ فلما قال : كاف ، قال النبي ﷺ : علمت ، فقال : هاء ، قال : علمت ، فقال : ياء ، قال : علمت ، فقال : عين ، قال : علمت ، فقال : صاد ، قال : علمت) فقال جبرائيل عليه السلام : فكيف علمت ما لم أعلم ؟) ذكره بعض المحققين .

قال جماعة : أوائل السور من المتشابهات التي أسر الله بعلمه ، وهي من الأسرار التي بَيْن الله ورسوله ، لا يعلم إلا بنور النبوة ، نؤمن بظاهرها ، ونكِلُ العلم فيها إلى الله تعالى وقيل : في الكاف إشارة إلى كتابة الرحمة على نفسه ، قبل كتابة الملائكة الذلة على عباده ، والهاء يشير إلى هداية المؤمنين إلى عرفانه وتعرف هويته ، بل استحقاق جلال سلطانه ، وتعريف هيبته للمؤمنين ، وما له عليهم من الحق بحكم إحسانه ، والياء : إشارة إلى يسر نعمته بعد عسر محنته ، إلى يده البسوطة بالرحمة للمؤمنين من عباده ، والعين : يشير إلى علمه بأحوال خلقه سره وجهره قله وكثره ومآله وحاله ، والصاد : يشير إلى أن الصادق في وعده ، كذا ذكره النسفي .

انْصُرْنَا[١] ....

قال القشيري : في هذه الحروف تعريف للأحباب أسرار معاني الخطاب بحروف خص الحق تعالى ، وقيل : أقسم الله تعالى بكفايته وهدايته ويمينه وعلو صدقه .

وعن سعيد بن جبير : هي أسماء الله تعالى مقطعة ، لو أحسن الناس تأليفها علموا اسم الله الأعظم ، ألا ترى أنك تقول : ا ل ر ح م ن فيكون الرحمن ، وكذلك سائرها ، إلا إنا لا نقدر على وصلتها ، وقيل : هو الاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى ، ولذا قدم على طلب الحاجات ، فكأنه قال : بحرمة هذا الاسم الأعظم ، انصر إلى أخره ، وفي تصديرها إلى الدعوات مناسبة لا تخفى ، ووجه التثليث مر ، وقيل في وجهه : تنبيهاً للنفوس على عظمته وتهييجاً لها والاستناد بحديث ألا هل بلغت ـ ثلاثاً ـ غير ملائم للمقام ، كما لا يخفى على ذوي الأفهام ، ويحتمل أنه ناظر للسياق والسباق ، أما الأول : فلأن الختم به إيماء إلى أنه بمنزلة البرهان ، على ما ذكره ، وأما الثاني : فلأن افتتاح الدعوات بالأعظم طلب القبول رجاء للوصول إلى المأمول .

(١) « انْصُرْنَا » على ترك الخلق في الإقبال إليك ، فإن من حق المولى أن ينصر عبده ومن يتولى أمره ، إنجازاً لوعدك الجميل ، كما قلت : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ قوماً لأنه الأعم الأشمل في الأكوان ، ومطلوب الأخيار في الأحيان ، كما في مواضع كثيرة من القرآن ، لأن أقصى المطالب وأعلاها إعلاء كلمة الله والجهاد في سبيله ، والاحتياج إليه فيه أتم .

. . . .

= وحذف المفعول لقصد العموم والشمول ، أي : انصرنا أنواع النصرة الظاهرة والباطنة في الدنيا والآخرة .

أما الأولى : فعلى الأعداء من الجن والإنس والنفس وغيرها ، أعنا عليهم بتقويتنا بإقامة الحجة والغلبة في محاربتهم ، بإلقاء الرعب في قلوبهم والقهر والهزيمة والانتصار ممن أذانا وأهاننا بحضرتنا أو غيبتنا ، وامنع شرورهم عنا ، انصرنا بالتوفيق على إعزاز دينك ، وإظهار كلمة الحق مع الإصابة إليه في جميع الأمور ، ودفع تسويلات الشيطان وتيسير الأمور والنجاة من جميع المكاره ، وإملاء الباطن بالنور وقوة النفس وحصول الذكر الجميل في الآخرين ، وبالبقاء الآثار الجميل والاقتداء في الخيرات ، ومزيد الثواب على وجه الدهر وغيرهما مما لا تحصى ، وأعظمها التثبيت على الصراط المستقيم مع الختم على خير الخاتمة ، والعاقبة الحسنة الكاملة ، والبشرى الموعودة للمتقين ، يسرنا الله تعالى بحرمة الأنبياء والمرسلين عليهم من أفضل الصلوات وأكمل التسليمات إلى يوم الدين ، فهذه بعض نصر الله في الدنيا .

وأما نصرته تعالى في الآخرة : فبتوسيع القبور وتسهيل النشور وتيسير العبور ، وتثقيل الميزان وأخذ الكتب بالميزان ، وإعلاء الدرجات وجزيل المثوبات ، والتعظيم على رؤى الأشهاد ، والرزق الذي ليس له النفاد ، ورفقاء الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ، وغيرها مما لا يحصى ، وأعظمها : نعمة الرضا ، ورؤية الجمال مع رضاء الله المتعال ، وفقنا الله بحرمة حبيبه سراج

فَإِنَّكَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ(١) وَافْتَحْ لَنَا(٢)..........................

= أصحاب الكمال ، عليه أفضل الصلوات الأحمدية بالغدو والآصال ، فهذا جامع بجميع مرام الدارين ، من قرأ لأجل الظفر والنجاة من الأعداء ، فليقل بعد قوله انصرنا : إحدى وعشرين مرة إني مغلوب فانتصر ، وانصرنا على القوم الكافرين ثم يقول :

(١) « فَإِنَّكَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ » يعني : لا نطلب النصرة إلا منك لأنك خير الناصرين ، لأن نصرتك حقيقة ونصرة ما سواك مجازية ، إنما هي بمشيتك وأفضالك ، فنستغني عن نصرة الخلق ولا يستغني أحد عن نصرتك ، فحق أن يخص الاستنصار بك ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ ، ولأن دوران كافة الأمور على مشيتك ، فلا يذل من نصرته وإن قل عدده ، ولا يعز من خذلته وإن كثرت أسبابه وعدده ، وفيه تقوية لكمال الاعتماد بنصر الله وتوفيقه وإخراج الوسائط من البين ، وملاحظة المسبب في كل الأمور ، من الدعوات المستجابة لشعيب عليه السلام :

(٢) « وَافْتَحْ لَنَا » عقيب النصر بالفتح لأنه من ثمراته وعملاً بترتيب القرآن ، لقوله تعالى : ﴿ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ وغيرهما ، ـ أي لمنافعنا ـ جميع المشكلات الحسية والمعنوية ، والفتوحات الظاهرة والباطنة الدينية والدنيوية ، افتح لنا حواس القلوب بنورك ، وافتح أسماعنا وأبصارنا وأبواب خزائن الرزق والدعاء والرحمة والعلم والمعرفة والفضل والتوبة والمغفرة ، وافتح أبواب السماء لأعمالنا الصالحة ولروحنا ، وأبواب الجنة لدخولنا بمواعيدك الصادقة ، قيل :

=

فَإِنَّكَ خَيْرُ الفَاتِحِينَ(١)..............................

- الفتوح ثلاثة : فتح قريب وفتح مبين وفتح مطلق ، وهو الشهود للذات والفناء عن الكل .

وقال بعض العارفين : افتح لنا أستار الملك والملكوت واكشف لنا أسرار الجبروت ، وأظهر لنا تجليات الأفعال والصفات والشهود للذات ، وأبرز لنا كل ما أشكل وأغلق من الحكم والأحكام ، واطلع على جميع مراتب الأنبياء والأولياء ، وقيل : ظهر أمرنا حتى نميز المحق من المبطل ، والحذف للتعميم ، والكل يحتمل فلا حصر ، فهذا مرجوّ مع الكلم ، ومجمل القول : افتح لنا كل الخير في الدارين إذ بعنايتك تنفتح أبواب الخيرات والمغلقات ، قال بعض العارفين : علامة الفتح أن ترى الناس نياماً .

(١) « فَإِنَّكَ خَيْرُ الفَاتِحِينَ » فإن مفاتيح الأمور بيدك ، ولا فاتح في الحقيقة لشيء من الأشياء إلا أنت ، أو خير الحاكمين أعلمهم وأعدلهم وأحكمهم ، لأنه لا يحكم إلا بالحق والعدل ، ولا محاباة في حكمك ، ولا ميل ولا خلل ولا ذلل ، ولا رشوة ولا شفاعة ، ولا يمنعه عن إمضائه أحد كقضاة الزمان وقطاع طريق الرحمن ، أنه يفتح للنفوس بركات التوفيق ، وللقلوب درجات التحقيق ، فبتوفيقه تزين النفوس بالمجاهدات ، وبتحقيقه تزين القلوب بالمشاهدات ، قيل : من أراد حلّ الأمور المعقودة ، فليدم بهذا المحل بعد قوله : وافتح قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ أربعمائة وثمانية وثمانين مرة ، ثم يقول : لنا فإنك خير الفاتحين .

وَاغْفِرْ لَنَا(١) فَإِنَّكَ خَيْرُ الغَافِرِينَ(٢) وَارْحَمْنَا(٣) فَإِنَّكَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ(٤)

---

(١) « وَاغْفِرْ لَنَا » ما تقدّم وما تأخّر من ذنوبنا ، أحسن حيث قدم سؤال المغفرة على طلب الرحمة ، وقد قيل : كل ما حجبك عن الله فهو ذنب .

(٢) « فَإِنَّكَ خَيْرُ الغَافِرِينَ » لأنك تمهل ولا تعاجل ، وتغفر الذنب الكبير وكل من سواك إنما يغفر الذنب طلباً للثناء الجميل والثواب الجزيل ودفع ضر ، وأنت تغفر لعبادك بلا عوض ولا غرض ، بل لمحض الفضل والكرم ، ومن أراد الدخول على الملوك والسلاطين ، والأمن من مكرهم فليواظب في هذا المحل اسم الغفور ألفاً وستة وثمانية مرة ، قلت : إذا دعت الحاجة الشرعية واقتضت المصلحة الخيرية وإلا فلا يجوز الدخول على الظلمة .

(٣) « وَارْحَمْنَا » بطاعتك واشملنا برحمتك التي وسعت كل شيء ، المغنية عن رحمة من سواك ، بإفاضة آثار الرحمة الدنيوية والأخروية علينا ، سيما عند بكاء الأحباء ويأس الأخلاء ، وعند كثرة الأنين وعرق الجبين ، وعند مواراة التراب وموادعة الأحباب ، وعند نسيان الاسم وبلاء الجسم واندراس الرسم ، أو : ارحمنا بمحو السيئات وتوفيق الطاعات في الحركات والسكنات ، ومن آثار رحمته فتح باب الدعوات والعبادات وقبول الحاجات .

(٤) « فَإِنَّكَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ » أي : أنت أرحم بنا من كل رحيم حتى من أنفسنا ومن الأبوين ، فإن رحمتك إذا أدركت أحداً أغنيته عن رحمة العالمين ، ورحمة الخلق لا تغنيه عن رحمتك ، ومن راحم إلا ويرحم برحمتك ؟ فلا راحم سواك إلا صورة وحكماً ، ولا راحم إلا =

وَارْزُقْنَا[١] ....

= أنت في نظر العالمين ، وفي الحاشية : من أراد التقرب إلى قلوب الناس والأمن من مكرهم فليقرأ في هذا المحل تسعاً وتسعين مرة : ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ وبعد مائتين وتسع مرات يا رحيم ، وزاد البعض : يا وهاب يا غني ، ثم يقول :

(١) « وَارْزُقْنَا » أي : رزقاً حسياً أو معنوياً أو روحانياً وجسمانياً دنيوياً وأخروياً ، كالحلال الطيب الملائم للقوة ، معيناً على الطاعة مقيماً للعبادة ، من طيب المطعم والمشرب والملبس والمسكن ، وجميع العلوم النافعة والأعمال الرافعة ، والأحوال العالية والمقامات المتعالية ، والتوفيق للرأي السديد والأمر الرشيد ، واصطناع المعروف للمستحقين ، والقضاء على أيدينا حوائج الناس ، والقبول عند الملوك ، والكلام بالحجة التي لا يرد ولا يدفع بها ، وارزقنا اتّباع الحق واجتناب الباطل ، مع زوال الحرص والطمع والقناعة بالموجود ، وترك الحزن على المفقود ، والرضاء بالميسور والصبر على المقدور ، والتقوى والكرامة وأنواع الاستقامة ، والتوبة والمغفرة والختم بالسعادة ، وارزقنا رزقاً حسناً هو على ما قال إمامنا القشيري : ما كفى به صاحب كد طلب ، ولم يصب نصب بسببه ، وقيل : الرزق الحسي وجد غير مرتقب ولا محتسب ولا مكتسب ، وقيل : هو ما سبق فيه شهود الرزاق ويختطفه عن التنعيم بوجود الإرفاق ، واجعلنا من عباد الله الرزاق ولا تجعلنا من عبيد الأرزاق ، وهم الذين ليس لهم مكنة التصرف كالحكيم الرباني ، فتصرفاتهم مغلوبة بالشهوات والحظوظ النفسانية . =

فَإِنَّكَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ(١) ....

= وقال الإمام القشيري : من عرف القسمة استراح عن كد الطلب ، وإن المعلوم لا يتغير والمقسوم لا يتقلل ولا يتكثر ، أو ارزقنا من بركات الأرض والسماء ، لأن الأرزاق يخرج من الأرض وأسبابها متعلقة بالسماء من المطر والشمس والقمر في الإنبات والاتضاح والتلوين ، أو رزقاً كريماً جليل القدر لا يفنى ولا ينقص ولا يتكدر صافياً عن كد الاكتساب وخالياً عن حفر الحساب يوم يقوم الحساب ، أو ارزقنا جميع حسنات الدنيا وحسنات الآخرة مع الوقاية من النار ، فيرجع إلى قوله تعالى : ربنا آتنا إلى آخره ، وهو دعاء جامع بجميع مطالب الدارين ، أو ارزقنا الإحسان واليقين الصادق وحقيقة المتابعة للرسول عليه الصلاة والسلام ، وهي رؤية المتبوع عند كل شيء ومع كل شيء وفي كل شيء ، فبهذا الاعتبار لا شك أن هذا الدعاء من جوامع الكلم .

(١) « فَإِنَّكَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ » أي المُعطين إذ لا رزّاق إلا الله ، والذين يظنونهم هم رازقين أو رزقاً مجازياً ، فإن العبد إذا أعطى غيره شيئاً فالله هو المعطي ولكن لأجل صورة العطاء منه يسمى مُعطياً ، كما يقال للصور المنقوشة على الحائط فرس أو إنسان ، فالغير واسطة لإيصال رزقه لا حقيقة له ، وقيل : إنه تعالى رزاق حقيقة دون العبد فلا تفضيل أحدهما على الآخر ، لأنه لا يقتضي الشركة في أصل الفعل حقيقة وفيه ما فيه فليتأمل ، ولأنه موجود الأرزاق وما سواه ينقل ويحول لأن رزقك ماله من نفاد ، ولأنك ترزق العبد العاصي =

. . . .

= كما ترزق الصالح المطيع ، ولا تترك رزق أحد وإن كثر عصيانه ، وترزقه في حال غضبك كما ترزقه في حال رضاك بخلاف غيرك ، ولأنك قادر على إيصال الرزق والزيادة بما شاء لمن تشاء ، وليس الخلق كذلك ، فالله خير من يعطي ويرزق ، لأن ما سواه من سلطان يرزق جنده والسيد يرزق مملوكه والرجل يرزق عياله ، فهو من رزق الله أجراه على أيدي هؤلاء .

هو الرازق الحقيقي الذي يرزق في الأصل والفرع بلا عوض ولا غرض ، بخلاف الأصل فإنه يرزق الفرع مع العجز والكراهة ، وهو ينهى عن قتل الأولاد خشية الفقر ، لقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ﴾ وهو غني عن سؤال الرزق من أحد وكل يسأل منه الرزق ، قال الله تعالى : ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ﴾ فالاتكال في أمر الرزق ليس إلا على خير الرازقين .

وحاصل المعنى : نسألك الفقر عما سواك ، والغنى بك حتى لا نشهد إلا إياك ، ومن طلب الرزق فليقل في هذا المحل ثلاثمائة وسبع مرات : يا رزاق يا وهاب يا غني ، ومن أسباب توسيع الرزق : الدوام على الطهارة والاجتناب من أسباب الفقر وأعظمها الذنوب ، والملازمة بأسباب الغنى من الآيات والدعوات والأذكار ، كالإكثار بالحوقلة ، والمواظبة على سورة يس والواقعة كل ليلة ، والملازمة بالاستغفار ، ولا إله إلا الله الملك الحق المبين كل يوم مائة مرة ، وقراءة الإخلاص حين دخول المنزل ، ومن الأفعال :

وَٱهْدِنَا(١) وَنَجِّنَا(٢) مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ(٣) وَهَبْ لَنَا(٤) رِيحاً طَيِّبَةً(٥)

= صلة الرحم وغسل اليد قبل الطعام وبعده ، وأن يقرأ اسمه الرزاق قبل الفجر في كل ناحية من نواحية البيت عشراً يبدأ باليمنى ، والقبلة تستقبل في كل ناحية إن أمكن ، ذكره السيوطي وغيره .

(١) « وَٱهْدِنَا » أي : أرشدنا إلى الحق في جميع أمورنا وإلى طريق النجاة من أعدائنا وثبتنا على الصراط المستقيم .

(٢) « وَنَجِّنَا » أي : خلصنا مع أهلنا وأصحابنا برحمتك ، إنجازاً لوعدك الحق لقوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

(٣) « مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ » من شرورهم وفتنتهم وشماتتهم ، واحفظنا من مخالطتهم وصحبتهم وإلفتهم وعشرتهم ومحبتهم وعن التشبه بهم ، والتزيّي بزيهم ومهنتهم والرضاء بظلمهم وتعديهم وتعظيمهم ومدحهم ، والأخذ من حرام أموالهم ولحوقهم والنظر إلى دورهم ووجوههم ، والاشتياق بلقائهم حذراً عن الدخول تحت ركونهم ، ومن العقوبات النازلة بهم في الدنيا والآخرة ، قيل : إن قُرِءَ لأجل النجاة من الظلمة ، فليقرأ قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ مائة وثلاثة وعشرون ، وعن محمد الحنفي : كان يلقن الخائف من الظالم (بسم الله الخالق الكبير حرز لكل خائف لا طاقة لمخلوق مع الله عز وجل) ، كذا في الطبقات الشعرانية .

(٤) « وَهَبْ لَنَا » معاشر المسلمين من لدنك

(٥) « رِيحاً طَيِّبَةً » لأن بيدك خزائن الرياح وتصريفها شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً وغيرها ، وهي جسم لطيف شفاف غير مرئي ، قيل : سميت ريحاً لأن الغلبة مجيئها إذا هبت بالروح والراحة ، كما أن انقطاع =

. . . .

= هبوبها يجلب الغم والكرب ، والتوصيف بها يخرج لضر لنا ومالنا أي في البر والبحر في الأوقات ، أما في البر : فكالريح التي تنفع الأشياء عند هبوبها كالحدائق والكروم والزروع والبساتين ، وكالريح التي تهب عند حرارة الهواء يحصل لنا بها برودة الماء والحياة ، والتي يرسله الله بشراً بين يدي رحمته ينشر السحاب وتنزل المطر ، وأما في البحر : فكالريح الموصلة إلى المطلوب بلا أذى مع الأمن والسرور ، أو فيها من ريح النصر على الأعداء ، كريح الصبا والأسحار كما وقع لسيدنا ﷺ ، (**وقال : نصرت بالصباء**) الحديث ، وهي ريح يستريح بها المرضى والمحزونون عند هبوبها ، ولذا يستمد بها العشاق ، وريح الأسحار التي تهب من تحت العرش تحمل أنين المذنبين وحنين المستغفرين إلى جناب رب العالمين ، كما روي : أن الله خلق من قدرته ريحاً طيبة تهب وقت الأسحار فتمر بالجنة ، ثم تهب في الدنيا في وجوه المجتهدين ، ولهذا تكون وجوههم براقة إذا أصبحوا ، وتخفف المرض والوجع على أهل الشدة ، فتحمل أنين المذنين واستغفار المستغفرين إلى رب العالمين ، والمراد من الريح الطيبة لينة الهبوب ساكنة ، لا شديدة الهبوب ولا تضر بشيء ، لا ضعيفة ولا عاصفة ، الكافية بالإيصال إلى بغيتنا في البحر والبر بالأمن والسرور العظيم والنفع التام ، وهي ريح رحمة ونصرة كريح الصباء ، لا عذاب فيها بالنسبة إلينا ، كما قال الله تعالى : ﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

وقيل : رضية كالنسيم مسخرة بأمرنا تهب حسب إرادتنا موافقة =

. . . .

لمقصودنا موصلة في مدة يسيرة إليه ، وقيل : لينة يستطاب هبوبها ويستقيم مرور السفن بها مع أمنها وسلامتها ، وقال ابن المرزوق : والريح النافعة للسفن إنما يكون من جهة واحدة ، ولذا وحّد الريح ، وقد ورد أنه ﷺ كان يقول إذا رأى ريحاً : « **اللهم اجعلها رياحاً لا ريحاً** » .

أقول : قوله من جهة واحدة من خلفها أو جنبها يميناً ويساراً لا القدام فتأمل ، قوله : وحد الريح ، قيل : يستعمل للجمع والإفراد وههنا للجمع ، لشموله جميع الرياح الطيبة حتى ريح الجنة ، عن أنس قال رسول الله ﷺ : « **الجنوب من ريح الجنة** » وذكر السيوطي عن كعب : لو احتبست الريح عن الناس ثلاثة أيام لأنتن ما بين السماء والأرض ، وقال وكيع ابن الجراح : لولا الريح والذباب لأنتنت الدنيا ، ومن هذا قيل : إن الريح من أعظم النعم التي أنعم الله تعالى على الخلق ، لينشأ منها من المنافع ، من أعمها : أنها مادة نفس كل حيوان ، بحيث لو انقطع ساعة لمات ، ولولا تحرك الرياح لما جرت الفلك ، فلو أراد جميع الخلق قلب الريح من الشمال إلى الجنوب ، أو تحريكه إذا سكن ، لا يقدر أحد إلا الله ، ومن قدرته الباهرة اختلاف مهباتها وصفاتها سخونة وبرودة ، قسوة وليناً ، ضعفاً وقوة ، ومنافعها في الأبدان والزروع وغيرها ومضارها فيها .

وعن ابن عمر قال : الرياح ثمان : أربع منها رحمة ، وأربع عذاب ، وأما الرحمة : فالناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات ، وأما العذاب : فالعقيم والصرصر وهما في البر

كَمَا هِيَ[١] فِي عِلْمِكَ[٢] وَانْشُرْهَا[٣] عَلَيْنَا[٤] مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِكَ[٥]

= والعاصف والقاصف وهما في البحر ، عن عثمان الأعرج قال : إن مساكن الرياح تحت أجنحة الكروبين حملة العرش الحديث انتهى .

(١) « كَمَا هِيَ » إن مثل الريح الطيبة .

(٢) « فِي عِلْمِكَ » أي : موافق لما في علمك القديم الذي هو فوق كل عليم ، لا في علمنا ، فإنا عاجزون وبعقولنا قاصرون وبحقائق الأمور جاهلون ، بل لك الأمر والعلم ، فلا تكلنا إلى عملنا وعقلنا واختيارنا ، أحال على علمه تعالى لأن المرء لا يميز الطيب من الخبيث ، ولا يعرف العواقب ، فسأل ما هو خير وأطيب عنده لا في زعمنا .

وكان شيخنا المؤلف الشاذلي يقول : لا تختر من أمرك شيئاً ، واختر أن لا تختار ، وفِرَّ من ذلك المختار ، ومن فرارك ومن كل شيء إلى الله ، وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة وكل مختارات الشرع فهو مختار الله ليس لك من الأمر شيء ، ولا بد لك من السمع والطاعات والرضاء به وبما يختاره ، والتفصيل في فتح القوي للحزب النووي ، وقد بسطنا القول فيه بما لا مزيد عليه .

(٣) « وَانْشُرْهَا » أي أبسط هذه الريح الطيبة مع البركات الكثيرة ، والمنافع المتوافرة بواسطة الملائكة .

(٤) « عَلَيْنَا » على مراكبنا ومنازلنا المحتاجة إليها ، أو انشر رياح الهداية والمعرفة والتوفيق على قلوبنا بالدوام والثبات والتحقيق .

(٥) « مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِكَ » التي مفاتيحها بيدك لا يحكم فيها غيرك ولا نفاد لها مع بقائك ، إما متعلق بأمرين أو بآخرين ، وأثبت =

وَاحْمِلْنَا بِهَا(١) حَمْلَ الكَرَامَةِ(٢)..........................

= الخزائن للريح إذ ما من شيء إلا وهو مخزون عنده ، لقوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ ، وهي جمع الخزانة وخزينة ، وهي اسم المكان الذي يخزن ويحفظ فيه نفايس الأموال بحيث لا تصل إليه الأيدي ، شبه رحمته تعالى بالأشياء المخزونة في الخزائن عن طريق الاستعارة ، ثم أفرد الرحمة وجمع الخزائن لبيان كثرة الرحمة وغلبتها على نقمتها وإيضاح الشمول للأنواع .

وقال إمامنا القشيري رحمة الله عليه : من عرف أن خزائن الأشياء عند الله تعالى تقاصرت خطاه عن الترداد إلى منازل الأغيار في طلب الإرفاق ، وعن الطواف في الآفاق في طلب الأرزاق ، وينقطع آماله عن الخلق فينفرد قلبه بالله ، ويتجرد عن التعلق بغير الله ، إن أراد نفوذ الأمر وعلو الدرجة وطاعة الناس له فليقل مئتين وثمانية مرات : يا عطوف يا رؤوف يا كريم يا رحيم ، ثم يقول : رحمتك .

(١) « وَاحْمِلْنَا بِهَا » أقول : المراد منه ما يرضاه الله تعالى من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وانقياد الناس له في الأمور الشرعية وقبولهم الحق ، لا ما يزعمه أرباب الدنيا وأصحاب الهوى والعمى ، واحملنا أي في برك وبحرك على فلكك وعلى دوابك حملاً محفوظاً بأنواع نصرتك وأصناف رحمتك ، كما حملت نبيك نوحاً عليه السلام في الفلك المشحون ، بها : أي بريح طيبة أو برحمتك .

(٢) « حَمْلَ الكَرَامَةِ » سفينة النجاة مع الوقاية من كل الآفات ، حملاً خفيفاً ولا مشقة ولا تعب ، أو حملاً يشبه الكرامة في خرق العادة لقطع المسافة البعيدة في مدة قليلة وغيره مما لا تحصى ، أو حمل =

مَعَ السَّلامَةِ[١] وَالعَافِيَةِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالآخِرَةِ[٢] . . . .

= معونة لا بحمل الأشد ، أو حملاً هو كرمك وفضلك ليس لنا استحقاق به ، أو محمولاً على الكرامة ، أو يحمل الذي يحمل الناس على الكرامة ، أو حملاً كريماً أو مكرماً ، والإسناد مجاز ، أو احملنا على سبيلك بريح التوفيق مع سفائن التصديق في بحار التحقيق إلى نهاية مراتب الحق الحقيقة .

(١) « مَعَ السَّلامَةِ » أي : حملاً مقارناً لسلامة المراكب والنفوس والأموال والأهل والعيال والدين المرضي عند الملك المتعال ، وسلامة الحال والمآل على الكمال ، قيل : السلامة من الآفات الدينية والحادثات الدنيوية بتحملها والصبر عليها والرضاء بقضاءها .

(٢) « وَالعَافِيَةِ » بدوامها وتمامها والشكر عليها ، أنت وليها أي من جميع العلل والبلايا ، أي من كل مكروه ، وقيل : هي لغة رفع العفا وهو الهلاك ، والمراد بها : أن يكون للرجل كفاف من القوت وقوة للبدن على العبادة ، بحيث لا يمنعه عن الأشغال بأمر الدين علماً وعملاً ، وبترك ما لا ضرورة فيه ، ولا خير في وجوده ، ولذا كان الشيخ الشبلي إذا رأى أحداً من أرباب الدنيا الفانية قال : اللهم إني أسألك العافية ، وفي الصحاح : هي دفاع الله تعالى العبد قبل العافية لا يكلك إلى غيره ، وقيل : هي نفس بلا بلاء وصاحب بلا جفاء ورزق بلا عناء وعمل بلا رياء وتجارة بلا رباء .

وسئل حكيم : ما العافية عندكم ؟ قال : دين قويم وقلب سليم وبدن سقيم والتوكل على الكريم ، وقيل : هي فرار القلب مع الله تعالى لحظته ، وقال الشبلي : هي سلامة الدين من البدعة والعمل =

. . . .

من الآفة والنفس من الشهوة والقلب من الأمنية ، وقيل : حقيقة العافية بقاء العبد مع الله ، وهي على ثلاثة أقسام : عافية العام : أن يكون لسانه رطباً بذكر الله فلا يشتغل بذكر غير الله مع الله ، وعافية الخاص : أن يكون أركانه مشغولاً بخدمة الله عن خدمة غير الله ، وعافية أخص الخواص : أن لا يكون همته إلى غير الله ، وقيل : هي استقامة في الدين ومصاحبة الصالحين وزيادة الطاعات على ممر الساعات والوصول إلى أعلى الدرجات .

وقال ذو النون المصري : العافية في قميص العبودية إلى أبد الآبدين .

سئل أبو بكر الوراق : ما العافية ؟ فقال : أن تختم للعبد بالشهادة ثم يبعث في زمرة أهل الولاية ، يمر جسر جهنم بالسلامة ثم يدخل الجنة ، فذلك العافية ، وقال بعض العارفين : هي عشر خصال : خمس في الدنيا ، أي : العلم والعمل والإخلاص والشكر والرضاء بالقضاء ، وخمس في الآخرة أي : بياض الوجه ورجحان الميزان بالحسنات والجواز على الصراط والنجاة من النيران والدخول في الجنان مع رؤية الجمال والرضاء للرحمن ، ولذا قيل : لا كلمة أجمع من لفظ العافية ، ومن ثم لما سأله ﷺ عمُّه العباس أن يعلمه دعاء يدعو به ، اختار لفظها فقال : « **يا عم إني أحبك سل الله العافية في الدنيا والآخرة** » .

وقد ورد في الحديث في الدر المنثور : « **ما من دعوة يدعو بها العبد أفضل من اللهم إني أسألك العفو والعافية** » لأنها لفظة جامعة

. . . .

= لخيرات الدارين وفلاح الكونين وسلامة المنزلين ، ولأن الله تعالى ما سئل شيء أحب إليه من سؤال العافية ، كما ورد ، ولذا قال إمامنا السيوطي في شرح مسلم : وهي من الألفاظ العامة المتناولة لدفع جميع المكروهات في البدن والباطن في الدِّين والدُّنيا والآخرة انتهى ، لكن أعظمها العصمة من الذنوب والأغيار ولذا قيل لحاتم الأصم : ألا تشتهي ؟ قال : أشتهي عافية اليوم إلى الليل ، فقيل له : أليست الأيام كلها عافية ؟ فقال : إن يوم عافية يومي أن لا أعصي الله فيه ، فظهر من هذا أن اللائق للعبد الصادق أن يصرف أكثر دعواته على العافية في خلواته وجلواته لا على المقصود العقيم ، كحال الذي هو شأن اللئيم .

وقد روي أن شيخنا أبا العباس المرسي قدس سره خرج من المدينة عازماً لزيارة سيدنا حمزة رضي الله عنه ، فتبعه رجل فانفتح للشيخ باب التربة من غير مفتاح ، فدخل فرأى رجلين من الغيب ، فسأل العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة ، قال : فرجعت إلى رفيقي فقلت له : أدركت الإجابة فاطلب مقصودك من الله تعالى ، فسأل الله ديناراً ، فرجعتُ ، فلما دخلت باب المدينة ناوله رجل ديناراً ، فدخلت على شيخي السيد أبي الحسن الشاذلي فقال للرجل قبل نقل القضية : يا دنيّ الهمة ! أدركت وقت الإجابة وسألت ديناراً ؟ لم ما سألت العفو والعافية مثل أبي العباس ؟ ذكره المولى علي القاري .

« فِي الدِّينِ » : أي المعهود الذي هو خير أديان البرية ، والظاهر

إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[١] ....

= على الدين كله وهو الإسلام المرضي عند الله تعالى ، وذكره لأن الخير كله في سلامة الدين ، ولأن المشقة في السفر سيما للفقير غالبة ، ولذا كان قطعة من العذاب ، فربما كان سبباً لإهمال بعض أمور الدين ، وتقديمه على الكل لأنه المقصود من الكل فيحتاج إلى مزيد العناية وفرط الاهتمام ، أي بالطاعة لك والتوكل عليك ، والرضاء بقضائك والشكر على نعمائك ، وغيرها من خيرات الدين .

« وَالدُّنْيَا » : أي التي هي دار الأعمال النافعة ، فصلاح حالي وفلاح مآلي بالأمن والرفق والصحة والغنيمة وغيرها من بركات الدنيا ، قدمها على الآخرة لتقدمها ولكونها مزرعة لها .

« وَالآخِرَةِ » : أي السلامة الأخروية عن الكدورات النفسانية والأحزان الروحانية ، والأمن من الفزع الأكبر في الظلال العرشية ، مع الفوز العظيم والعافية الأبدية ، وهذه هي البغية العظمى والغاية القصوى ، وحاصله : مع السلامة من كل آفة دينية أو دنيوية أو أخروية ، والعافية من جميع المكروهات الظاهرة والباطنة في الدارين .

(١) « إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » أي : جميع المقدورات من الممكنات ، فإن قدرتك عالية عليها ، كل مما ذكر من الكفاية والتثبيت والتسخير والنصر والفتح والترزيق والهداية والنجاة والهبة والنشر وإعطاء السلامة والعافية ، فهو كالبرهان لما سبق مع تقوية الرجاء ، ثم قيل : ومن أراد عمارة الأملاك فليقرأ في هذا المحل : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ الآية مئة مرة ، ثم يقرأ :

اللَّهُمَّ(١) **يَسِّرْ لَنَا**(٢) **أُمُورَنَا**(٣) **مَعَ الرَّاحَةِ**(٤) **لِقُلُوبِنَا**(٥) **وَأَبْدَانِنَا**(٦)

---

(١) « **اللَّهُمَّ** » أي : أدعوك بجميع أسمائك وبجميع الدعوات ، أو يا الله الجامع بجميع الأسماء الشاملة لسائر الثناء ، وقال السيوطي في الإتقان : هي الاسم الأعظم لأن الله دال على الذات ، والميم على الصفات التسعة وتسعين ، فالمعنى : يا من اجتمعت له الأسماء الحسنى وتحققت له الصفات العليا ، ولذا صدّر في أول الدعوات :

(٢) « **يَسِّرْ لَنَا** » أي سهّل بالإعانة والتوفيق

(٣) « **أُمُورَنَا** » الدينية والدنيوية والأخروية كلها ، إنك أنت الميسر لكل عسير ، وفي شرح القديم : لسهولة المراد وزوال عسره كلها ، اقرأ بقول : يا ميسر كل عسير يسر مرادي بفضلك الواسع ثلاثمائة وعشر مرات ، وقبله وبعده سبع مرات ويمسح يديه على وجهه ثم يقول :

(٤) « **مَعَ الرَّاحَةِ** » أي الاستراحة من غموم الدنيا وهمومها رهبة وخطرة وفكرة وإرادة وغفلة ، أو النشاط والسرور والطيب ، أو الاستراحة عن التعب ، أو مع القوة والنصرة والرحمة الهادية ، أو الحياة والثبات .

(٥) « **لِقُلُوبِنَا** » عن الوساوس الشيطانية والأكدار النفسانية ، والآراء الفاسدة والتخيّلات الكاسدة مما لا خير فيها قدّمه لأنه المطاوع .

(٦) « **وَأَبْدَانِنَا** » جمع بدن ، في القاموس : البدن من الجسد سوى الرأس ، وفي المغرب : من المنكب إلى الألية ، وفي الصحاح : بدن الإنسان جسده ، وفي البحر : اسم البدن يشتمل على الظاهر والباطن ، والمراد هنا : جميع الجسد بناء على قول البعض ، أو التجوز أو العرف ، فلا يرد ما قيل بأن الفرق بين البدن والجسد فإن =

وَالسَّلامَةِ[١] وَالعَافِيَةِ[٢]..............................

= الأطراف خارج عن الأول داخل في الثاني ، فحقّ المقام ذكر الأجساد بدل الأبدان ، قال الغزالي : لا طريق للبقاء واللقاء إلا بالعلم والعمل ، ولا يمكن المواظبة عليهما إلا بسلامة البدن ، انتهى . ولذا طلب السلامة ، أي : لأجسادنا من العاهات البشرية والآفات السماوية والتّبِعات النفسانية .

(١) « وَالسَّلامَةِ » بالجر عطف على الراحة وهو الظاهر ، أي سلامتها إما سلامة الأبدان ، من العيوب والذنوب وإما سلامة القلوب من الكفر والشك والشرك والنفاق وجميع سوء الأخلاق ، ومن آفة المال والنفس من حب الدنيا والهوى والبدع ، وعما سوى الله لا يكون فيه هم إلا الله ، وأن لا يزيل تغير الأحوال يقينه ، ولا يقطع جفاء الخلق شفقته ، وبالتوفيق للقربة والإنابة والزهد والورع واليقين والرضاء .

قيل : القلوب خمسة : القلب الميت للكافر ، والقلب المريض للمنافق ، والقلب الغافل للعاصي ، والقلب المنيب للتائب ، والقلب السليم للعارف ، وفيه بحث فليتأمل . وبالنصب عطف على الأمور بعيد ، أي : مع السلامة عن كل مكروه في الدين والدنيا والآخرة وسلامة الدنيا من فتنتها وغوائلها وغمومها ، وسلامة الآخرة من شدائدها وأحوالها وأحزانها وعذابها وحسابها ، وسلامة الدين من البدع والمنكرات والأسباب التي تنزل في آخر الحال ومما يخل بالكمال .

(٢) « وَالعَافِيَةِ » في الأمور كلها في الدارين من المحن وسوء القضاء والبلايا الظاهرية الحاجبة فيها من العطايا السنية ، والخلاص والتعلّق =

فِي دُنْيَانَا(١) وَدِينِنَا(٢) وَكُنْ لَنَا(٣)........................

= بالخلق ، وفيه امتثال لأمره ﷺ فإنه قال ﷺ : « **إذا سألتم الله شيئاً فاسألوه العافية** » كذا قيل

(١) « فِي دُنْيَانَا » متعلق بالسلامة وقرينها ، أو بالتيسير ، ويحتمل التنازع على رأي ، والتقديم هنا كتقدمه على الدين ، ولتوقف حصوله وحفظه على السلامة في الدنيا والعافية فيها ، وفي بعض النسخ : بتقديم الدين فهو الظاهر رواية والمناسب لما سبق ، وعَدُّه تكلفاً ومخالفاً للرواية فمحل بحث يعرف بالإمعان .

(٢) « وَدِينِنَا » الذي شرعت ، وهو عصمة أمرنا ورأس مالنا ، والثابت الناسخ لجميع الأديان ، إلى السلامة والعافية في أمورهما ، أو المعاصي في الأولى ومن العقوبة في العقبى ، أو من المخالفة في الأصول والفروع الشرعية ، بل الجري في أحكامه النظرية والعلمية على وفق مرضاة الله ورسوله ، والحمل على التكرير والمبالغة بعيد عن المرام يظهر بالتأمل التام ، ويحتمل الأول للسفر ، والثاني للحضر ، فتدبر .

إنما طلب الحفظ لهذا الأشياء لأنه من الواجبات قال اللقاني :

وحفـظُ ديـنٍ ثـمّ نفـسٌ مَـالٌ نَسَـبْ
ومثلُهـا عَقـلٌ وعِـرضٌ قـد وَجَـبْ

وكلها مندرج في هذا الحزب ، وفي فساد الدين بطلان الحياة الأخروية وذهاب رأس المال ، وخلاصته : لو فسد الدين لم يبق لصاحبه صلاح في الدنيا ولا فلاح في العقبى .

(٣) « وَكُنْ لَنَا » بالإعانة على الطاعات ، والإغاثة لدفع المنكرات =

صَاحِباً[١] فِي سَفَرِنَا[٢] ....

= والمكروهات ، وبالتقوية والصحة في الأبدان ، وبالعز بين الأقران ، وبمغفرة الذنوب وستر العيوب .

(١) « صَاحِباً » أنيساً لقربتنا ورافعاً لغمومنا ، وحافظاً لمالنا وديننا من قطاع طرق الدين والدنيا ، كالشياطين من الأنس والجان مع الإجابة لدعوتنا .

(٢) « فِي سَفَرِنَا » ولم يقل في أسفارنا ، استغناء باسم الجنس وهو قطع المسافة ، ضد الحضر والإقامة ، قيل : سمي سفراً لكشفه أخلاق الرجال ، ولذلك قال عمر رضي الله عنه لمن زعم أنه يعرف رجلاً : هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق ؟ أو حمل الإضافة على الاستغراق فيشمل جميع أنواعه من سفر الدنيا براً وبحراً ، وسفر الآخرة ، وسفر الظاهر والباطن ، وفيه انقطاع من الخلق إلى الحق ، ومن الأسباب الظاهرة إلى مسبب الأسباب ، ولا ينافيه الرفيق ثم الطريق بل هو أعلى الرفيق ، وفيه إيماء إلى دعائه ﷺ حين هاجر من مكة إلى المدينة : « **اللهم اصحبني في سفري واخلفني في أهلي** » ، كما في السير ، وفي رواية : « **اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل** » ، قال شخص لسهيل بن عبد الله : أريد أن أصحبك ، قال : فإذا مُتُّ فماذا تفعل ؟ فصاحب أحداً لا تفارقه أبداً ، وقال شيخنا صاحب الحزب : لا تصحب من يؤثر نفسه عليك فإنه لئيم ، ولا من يؤثرك على نفسه فإنه لا يدوم ، واصحب من إذا ذكر الله ذكروا الله ، ينوب إذا فقد ويغني به إذا شهد ، وقال الشيخ أيضاً : لقيت الخضر عليه السلام في صحراء =

وَخَلِيفَةً[١] فِي أَهْلِنَا[٢] ....

- عيذاب فقال : يا أبا الحسن صحبك الله اللطيف الجميل ، وكان لك صاحباً في المقام والرحيل .

قال زين العابدين رحمة الله عليه : كيف يكون صاحبكم من إذا فتحتم كيسه فأخذتم منه حاجتكم فلم ينشرح ؟ لذلك قيل : بئس الصاحب يريدك غنياً ويقطعك فقيراً ، وكان يقول محمد بن كعب القرطبي : إياك وكثرة الأصحاب فإنك لا تقوم بواجب حقهم ، والله إني لأعجز عن القيام بواجب حق صاحب واحد .

ثم تخصيص الصاحب في السفر مع أنه تعالى في الحضر كذلك لقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ شدة الاحتياج إلى المعونة فيه للغربة والمشقة ، وقد ورد : « السفر قطعة من العذاب » ، أو لعموم السفر يدخل فيه الحضر ، فلا حاجة إلى زيادته كما في نسخة ، ويحتمل المعنى : كن لنا معيناً في إصلاحنا بين قومنا ، أو في تحريرنا بالحفظ عن الغلطات ، أو كن لنا صاحباً وقت الصبح حتى لا نشتغل بشيء غير ذكرك وفكرك وشكرك ، وصيانة عن الهلاك أهم ولذا قدم .

(١) « وَخَلِيفَةً » بإصلاح حالهم وبالهم ومالهم ودنياهم وأخراهم بتوفيقهم إلى الخير وإيصال الدرجات العاليات ، يعني : بدفع الشر عنهم قائمة بالحفظ والتدبير والإصلاح والإحسان في المعاش والمعاد ، أي : استخلفك

(٢) « فِي أَهْلِنَا » نسباً وديناً ومتابعة وصحبة ، أي : يحفظك في غيبتنا من جميع المكاره .

وَاطْمِسْ(١) عَلَى وُجُوهِ أَعْدَائِنَا(٢) . . . .

---

(١) « وَاطْمِسْ » هو محو الشيء حتى يذهب أثره ، أي : امحُ وغيّر وأعمِ وحول

(٢) « عَلَى وُجُوهِ أَعْدَائِنَا » المضلّة في الدين ، كالشيطان فإنه عدو مبين ، والكفار من الأنس والجان من أهل البغي والطغيان المستحقين به ، فلا تشمل الأزواج والأولاد كناية عن الإهلاك ، يعني أهلكهم وأذهِبْ آثارهم لأنهم يستعينون بنعمتك على معاصيك ، وإنما أمرتهم بأن يستعينوا بها على طاعتك وسلوك سبيلك ، وتخصيص الوجه : إما لكونه أشرف الأعضاء ، أو بذكر الجزء وإرادة الكل ، أو عن الستر والإعماء وإطفاء ضيائهم وتغيير أحوالهم وتبديل عزهم ذلاً وكبرهم صغراً ، وكثرتهم قلة وقوتهم ضعفاً وهواناً ، وتغليب إقبالهم وإدبارهم ، أو اطمس عن الهدى أو اطمس القلوب وامسح البصيرة ، أو اجعل أعينهم عمياً كسائر الوجه لا شق لها كما طمس الريح الأعلام بالرمل والتراب ، أو أعمهم مع بقاء صور أعينهم حتى يبصروا الحق بغير صورته والباطل بغير صورته ، أو اجعلهم منصرفين عن الحق مبتلين على الباطل حتى يستحقوا بذلك عذابك ، أو أبقهم عمياً وبكماً ليس لهم عين يبصرون بها ، ولا فم يتكلمون بسوء في حقنا ، ولا أنف يشمون رائحتنا ، حتى يكونوا متحيرين لا يصلون إلينا بوجه من الوجوه ، ولا يروننا إذ قصدونا بالسوء ، أو اطمس على وجوههم أي : جاههم عند اتباعهم الذين لأجلهم غيروا بما يطالعهم على خيانتهم ، أو كناية عن الإجلاء عن أوطانهم ، يقال : =

وَامْسَخْهُمْ[١] **عَلَى مَكَانَتِهِمْ**[٢] **فَلا يَسْتَطِيعُونَ المُضِيَّ**[٣] **وَلا المَجِيءَ**[٤] **إِلَيْنَا**[٥]. . . . .

= لفلان وجه في بلده وهو وجه عند الناس .

قال شيخنا المؤلف الشاذلي : كلما ضاق قلبي من الأذى أتوضأ وأتوجه إلى الله تعالى ، قال : فهممت أن أدعو على السلطان ، فقيل لي : إن الله لا يرضى لك أن تدعو بالجزع من مخلوق فألهمت أن أقول : يا من وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم ! أسألك الإيمان بحفظك إيماناً يسكن به قلبي من هم الرزق وخوف الخلق ، واقرب مني بقدرتك قرباً تمحق به كل حجاب ، كما حجبته عن إبراهيم خليلك ، فلم يحتج بجبريل رسولك ولا سؤاله منك وحجبته بذلك عن نار عدوه ، وكيف لا يحجب عن مضرة الأعداء من غيبته عن منفعة الأحباء ؟ كلا ، اللهم إني أسألك أن تفنيني لقربك مني حتى لا أرى ولا أحس بقرب شيء ولا ببعده عني إنك على كل شيء قدير .

(١) « وَامْسَخْهُمْ » المسخ بتبديل الخلقة وقلبها حجراً أو جماداً أو بهيمة .

(٢) « عَلَى مَكَانَتِهِمْ » أي أهلِكْ أعدائنا المذكورة في مساكنهم ، أو عجل العقوبة بهم وأخرجهم عن دائرة الحلم والرحمة والإمهال ، واجعلهم بمنزلة الجماد في المكان الذي قصدوا فيه السوء لنا والصقهم في مكانهم.

(٣) « فَلا يَسْتَطِيعُونَ المُضِيَّ » بضم الميم وتشديد الياء ، وهو الموافق لنظم القرآن .

(٤) « وَلا المَجِيءَ » بفتح الميم أي مجيء الأعداء .

(٥) « إِلَيْنَا » أي إلى ضرارنا ولو بالوسوسة ، أي : فلا يقدرون على =

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾ ، ﴿ يسٓ.......................

= ذهاب ولا مجيء ولا تقدم ولا تأخر كالجماد في عدم التحريك ، يلصق مكانه ، أقعدهم وأوقفهم كناية عن عدم الإضرار بوجه من الوجوه ، ثم قال على الاقتباس تأييد لما سبق وإزالة لاستبعاد القدرة عليه ، قيل : وإن طلب النصرة على الأعداء وانهزم أحد الجيشين فليقل قوله تعالى : ﴿ يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ﴾ على قبضة من تراب فيرميه على الأعداء عند المقابلة ثم يقولون :

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ ﴾ وأفقأنا وأذهبنا وأعمينا أبصارهم كما أعمينا قلوبهم ، والاستيلاء على ذلك العضو .

﴿ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ ﴾ فبادروا على الطريق وطلبوه .

﴿ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴾ الاستفهام للإنكار ، أي : فكيف يبصرون الطريق إلى مقاصدهم وقد طمسنا أعينهم فلا يقدرون السلوك ولا يعلمون الطريق ولا جهة سلوكهم .

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ ﴾ بتبديل صورهم وإبطال قوامهم وقدرهم وإخمادهم .

﴿ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ ﴾ المكان والمكانة واحد .

﴿ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾ رجوعاً ، ووضع المفعل موضعه للفواصل لا يقدرون على الذهاب ولا على المجيء إذ صاروا جمادات .

﴿ يسٓ ﴾ ترك البسملة اكتفاء بالأول ، قد قيل : إن الله لم يجعل =

وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ . . . . .

= لأحد سبيلاً إلى إدراك معانيها ، ونذكره ونكل علمها إلى الله تعالى ، ونرجو بركاتها وأسرارها ، وقيل : اسم الله ، وقيل : من أسماء القرآن أو اسم هذه السورة أو اسم النبي ﷺ ، وقيل : اسم سلم يا سيد البشر ويا سيد ولد آدم ويا سيد المرسلين ويا سيد الأولين والآخرين ، وقال صاحب القاموس في لطائف القرآن : ياسين القدر ، وقيل : يا إنسان بلغة طي أو بلغة سريانية أو الحبشة ، أي هذه المتلوة سورة يس أوائل أو يس أو أقسم باسم يس والكتاب المسمى بياسين ، أو بسورة تسمى بياسين

﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ الواو إما قسم وإما عطف أن جعل يس مقسماً ، أي : المحكم بعجيب النظم وبديع المعاني ، أو لا يلحقه التغير والتحريف ، أو ليس للباطل سبيل من جهة من الجهات ، أو لا تبطل الكتب المقدمة ولا يأتي كتاب بعده يبطله ، أو ذي الحكمة المتضمنة بها والناطق بها ، فوصف بصفة المتكلم للمبالغة على سبيل الإسناد المجازي .

﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ خطاب لنبينا ﷺ جواب القسم ، ورَدٌّ على الكفار المنكرين ، كأنه قيل : يا سيد المرسلين ! أقسم بالكتاب الحكيم إنك يا محمد لمن المرسلين ، قبل أن أخلق بألف عام ، شهادة الله يكفيك عن إنكارهم .

﴿ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ خبر بعد خبر أي لمن المرسلين على صراط مستقيم ، أو نعت للمرسلين ، أو صلة أي : إنك لمن المرسلين الذين كانوا على صراط مستقيم ، وفي ذكره بعد ذكر المرسلين =

. . . .

= تصريح بالمدح والجمع بين وصفه ووصف شريعته وتعظيمه وتعظيمها وأنها أقوم الشرائع وأعدلها ، ولذا ذكر .

وأخرج ابن مردويه والخطيب والبيهقي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « **سورة يس تدعى في التوراة المعمَّمة ، تعمُّ صاحبها بخير الدنيا والآخرة ، وتكابد عنه بلوى الدنيا والآخرة ، وتدفع أهاويل الدنيا والآخرة ، وتُدعى الدافعة والقاضية تدفع عن صاحبها كل سوء وتقضي له كل حاجة** » . الحديث .

وأخرج الدرامي عن عطاء بن رياح قال : بلغني أن رسول الله ﷺ قال : « **من قرأ يس في صدر النهار قضيت حوائجه** » ، وعن ابن عباس قال : من قرأ يس حين يصبح أعطي سر يومه حتى يمسي ، ومن قرأ في صدر ليله أعطي سر ليله حتى يصبح ، وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال : « **ما من ميت يقرأ عنده يس إلا هون الله عليه** » ، وأخرج البيهقي عن أبي قلابة قال : من قرأ يس غفر له ، ومن قرأها وهو جائع شبع ، ومن قرأها وهو ضال هدي ، ومن قرأها وله ضالّة وجدها ، ومن قرأها عند الطعام خائفاً قلته كفاه ومن قرأها عند امرأة عسر عليها ولدها يسر عليها . الحديث . قال البيهقي : هكذا نقل إلينا عن ابن قلابة وهو من كبار التابعين ، ولا يقول ذلك إنه صح عنه إلا بلاغاً ، وورد : من وجد في قلبه قسوة فليكتب يس والقرآن الحكيم في جام بزعفران ثم يشربه .

عن جعفر قال : قرأ سعيد بن جبير على رجل مجنون سورة يس فبرأ . عن أبي محمد عن أبيه قال : سلكت طريقاً فيه غول فإذا امرأة

﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾ ....

= عليها ثياب مصفرة وقناديل وهي تدعوني ، فلما رأيت ذلك أخذت في قراءة يس فطفئت قناديلها ، وهي تقول : يا عبد الله ما صنعت بي يا عبد الله ما صنعت بي ، فسلمت منها . قال المقري : يصيبكم شيء من خوف ، أو مطالبة السلطان أو عدو إلا قرأتم يس يدفع عنكم بها . عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من زار قبر والديه أو أحدهما في كل جمعة فقرأ عندهما يس غفر الله له بعدد كل حرف منها** » كذا في الدر المنثور لإمامنا السيوطي .

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي : وإن مما تبين نفعه ووقف على بركاته لمن كان عليه خوف السلطان الجائر وطلب بغير حق ، أو ضل به طريق ، أن يقرأ سورة يس ثم يقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، بسم الله الذي لا إله إلا هو ذي الجلال والإكرام ، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء إلخ ، اللهم إني أعوذ بك من شر فلان بن فلان ، يكفى ذلك ، ذكره إمامنا اليافعي .

﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ﴾ أي : نزل القرآن تنزيل العزيز ، أو أعني منزّل العزيز ، أو استئناف مسبوق لبيان فخامة شأن القرآن ، أي : العزيز بالنقمة لمن لا يؤمن .

﴿ ٱلرَّحِيمِ ﴾ بخلقه سيما لمن آمن به ، وإن في تخصيص الاسمين الجليلين المشعرين عن الغلبة التامة والرأفة العامة من حيث العمل به ترهيباً وترغيباً وإيماء لمن حفظه عن وقوع الزيغ ، وفيه : أنه الغالب الذي لا يغلب ، قادر على كل شيء ، وإشعاراً بأنك منزل من غاية الرحمة ، ولذلك أرسلناك

﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ ﴾ ....

﴿ لِتُنذِرَ ﴾ بالقرآن ، أو متعلق بالتنزيل .

﴿ قَوْمًا ﴾ أهل مكة أو العرب أو قريشاً .

﴿ مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ ﴾ أي : لم ينذر آباؤهم الأقربون ، ولم يرسل إليهم رسول ، فيكون صفة مبينة لشدة حاجتهم إلى إرسال الرسل وإنزال الكتب ﴿ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ لم ينذروا فبقوا غافلين ، أو لتنذر انذاراً مثل إنذار آبائهم فإنهم غافلون عن الإيمان وأمر الآخرة ، وتخصيص الإنذار ـ ولم يذكر البشارة مراعاة بحالهم لأنهم ليسوا أهلاً لها ـ أفيد لبعض الناس من البشارة ، وقد قيل : إن دفع المضار أهم من جلب المنافع ، وقال في بحر علوم التفسير : قالوا : لطف الله في خلق النار أعظم من لطفه في خلق الجنة فكم من تارك المعاصي من خوف النار وإنه لم يتركها لرجاء الجنة ، ثم إن بعثته ﷺ عامة بجميع الخلق من زمن آدم عليه السلام والأنبياء كلهم من أمته ، وهو عليه السلام نبي الأنبياء ، ولذا ظهر ذلك في الآخرة ، جميعُ الأنبياء عليهم السلام تحت لوائه ، كما ظهر إمامته بجميعهم ليلة الإسراء ، ولو اتفق مجيئه زمن آدم ونوح وجب عليهم وعلى أممهم الاتباع به والنصرة له ، ولهذا إذا جاء عيسى عليه السلام في آخر الزمان إنما يحكم بشريعة نبينا ﷺ بالقرآن والسنة ، ويضع عيسى الإنجيل بجنبه ، ويقول : أمرني الله أن أحكم بينكم بكتابه عليه السلام كما ذكروا ، فكيف يستقيم تخصيص الإنذار بقوم ؟ قيل : لأن قريشاً كانوا أضلَّ الناس ، وأحوجهم إلى الهداية بالإرسال والإنزال ، على أنه لا يلزم من تخصيص الإنذار تخصيص البعثة والرسالة .

لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ . . . .

﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ ﴾ أي : والله وجب العذاب أو ثبت وتحقّق .

﴿ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ ﴾ بأنهم يموتون على الكفر البتة ، لكن لا بطريق الجبر بل باختيارهم وإصرارهم على الكفر وعدم تأثرهم بالإنذار والتذكير ، أو هذا الجبر جائز بالاتفاق مجازاة لكفرهم ، وسوء أعمالهم كما صرح به بعض المحققين .

﴿ فَهُمْ ﴾ : أي هؤلاء الأكثرون .

﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ بالله ورسله والقرآن ، إذ ختم عليهم في أم الكتاب عدم إيمانهم ، فلذلك ما آمن منهم إلا قليل ، وفيه تسلية للرسول عليه السلام ، والفاء للتفريع أو للتعليل يعرف بالتأمل ، لمّا بيّن إنهم لا يؤمنون بيّن أن ذلك من الله

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ ﴾ أي : الكفار

﴿ أَغْلَٰلًا ﴾ والتنكير للتعظيم ، أو للتكثير كما قيل ، وذكر الإمام اليافعي : من قرأ عند دخوله في الفراش ، إنا جعلنا إلى قوله : لا يبصرون ، أمِنَ مِنْ كل لصّ ومن كل مفسدة ، ومن قرأها في مخاصمة رجلين خذل الظالم منهما بقدرة الله ، هذه الآيات لدفع كيد الأعداء ، وردّ ضررهم وتدميرهم وصدّ وجوههم وعمى أبصارهم وخذلانهم .

﴿ فَهِىَ ﴾ أي : الأيدي لسبقه حكماً ، إذ الغل جامعة لليد والعنق مجموعة .

﴿ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ ﴾ جمع ذقن وهو مجتمع اللحية ، أو راجعاً إلى =

فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ .

= الأغلال أي : فالأغلال منتهية أو واصلة إلى أذقانهم أو مجتمعة مع الأذقان .

﴿ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴾ أي رافعون رؤوسهم غاضُّون أبصارهم ، أو جعلناهم مُمْسكين لا ينفقون في سبيل الله بموانع كالأغلال ، وقيل : مغلّلون عن كل خير ، يعني : أيديهم موثوقة إلى أعناقهم بالأغلال لا يستطيعون أن يبسطوها بخير ، وقيل : عبارة عن منع التوفيق حتى صاروا متكبرين مستثقلين الحق ، كما قال تعالى : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾ والحاصل : معنى الآية : إمّا حقيقة في الدنيا أو في الآخرة ، وإما مجاز فليتأمل .

﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي : قدامهم

﴿ سَدًّا ﴾ مانعاً وحاجزاً وسراً وظلمة عن الحق ، فهم يرددون في الضلالات .

﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ﴾ عظيماً ، أعاد السَّدَّ تأكيداً ، إما متمم للتمثيل وتكميل له ، أي : وجعلنا ما ذكر من أمامهم سداً ، وإما تمثيل مستقل .

﴿ فَأَغْشَيْنَٰهُمْ ﴾ أكسينا أبصارهم غشاوة ، أو عميناهم وغطينا أبصارهم عن أن ينظروا إلى الشيء ، وحجبناهم بالظلمة عن الأذى .

﴿ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ الهدى ، وقيل : محمداً ، حين ائتمروا على قتل من قبيل بني فلان قتلوا ، أو لأنه الراضي بمنزلة الفاعل ، أو لكونه سيدهم وقدوتهم . =

. . . .

= ذكر السيوطي في الخصائص وتفسيره ، عن ابن عباس رضي الله عنه : كان النبي عليه السلام يقرأ في المسجد فيجهر بالقرآن ، حتى تأذى به قريش ، حتى قاموا ليأخذوه وإذا أيديهم مجموعة إلى أعناقهم ، وإذا هم يبصرون فجاؤوا إلى النبي ﷺ فقالوا : ننشد الله والرَّحِم يا محمد ، فدعى النبي عليه الصلاة والسلام حتى ذهب ذلك عنهم ، فنزلت .

قال : فلم يؤمن من ذلك النفر أحد ، وفي رواية أخرى : أن ناساً من بني مخزوم تواصوا بالنبي عليه السلام ليقتلوه منهم الوليد بن المغيرة ، فبينما النبي ﷺ قائم يصلي يسمعون قراءته ، فأرسلوا إليه الوليد ليقتله ، فانطلق حتى أتى المكان الذي يصلي فيه فجعل يسمع قراءته ولا يراه ، فانصرف إليهم فأعلمهم ذلك ، فأتوه ، فلما انتهوا إلى المكان الذي هو يصلي فيه سمعوا قراءته ، فيذهبون إلى الصوت فإذا الصوت من خلفهم ، فيذهبون إليه فيسمعون أيضاً من خلفهم ، فانصرفوا ولم يجدوا إليه سبيلاً .

وفي التيسير عن عكرمة قال : كان ناس من المشركين من قريش يقول بعضهم لبعض : لو قد رأيت محمداً لفعلت به كذا وكذا فأتاهم النبي ﷺ وهم في حلقة في المسجد فوقف عليهم ، قرأ عليهم يس والقرآن الحكيم حتى بلغ فهم لا يبصرون ، ثم أخذ تراباً فجعل يذرّ به على رؤسهم وما يرفع إليه رجل منهم طرفه ، ولا يتكلم بكلمة ، ثم جاوز النبي ﷺ فجعلوا ينفضون التراب عن رؤسهم ولحاهم ، وهم يقولون : والله ما أبصرنا ، والله ما سمعنا ، والله ما عقلنا . انتهى .

شَاهَتِ الوُجُوهُ(١) . . . .

= وذكر الكلبي أن قتيلاً قتل خطأ ، وكان ولي المقتول يهتم بالقتل عمداً ، فكان يطلبه ليقتله ، فقال رجل من الصالحين : إن كنت في مقالتك صادقاً ، فاقرأ سورة يس قبل خروجك من منزلك ، فاخرج عليه فإنه والله لا يراك ، فإنه ظلمك ، فكان الرجل يقرأها قبل خروجه من منزله فلا يراه طالبه في طريقه . وقال في الدر النظيم : وقد صح أن رسول الله ﷺ قرأ أولها حين خرج على قريش لم يثبتوا ليقتلوه ، فخرج عليهم ولم يروه ، وجعل على رؤسهم تراباً . انتهى .

ولعل الشيخ خص لأجلها ، ولذا قيل : إن أراد الأحرار من العدو والسباع فليقل بعد قوله يس سبعين مرة : يا حفيظ يا منجي يا كافي يا مكفي استرني بسترك الجميل ، كما سترت الأنبياء عليهم السلام من سطوات النزاعة ، اجعل بيننا وبينهم فيظفر منهم ، بحيث لو كانوا عنده لم يروه بفضل الله ، ثم يقول : والقرآن الحكيم إلى شاهت ، وفي القاموس : شاه وجهه : قبح ، وشوّهه الله : قَبَّحَ وجهه ، وفي الصحاح :

(١) « شَاهَتِ الوُجُوهُ » قبحت ، أي : أبعده الله عن الخير ، والتأنيث للجمع ، الوجوه أي : وجوه الأعداء من الأنس والجن ، وتخصيص الوجه لكونه أشرف الأعضاء ، وإذا قبح هذا فسائر الأعضاء لا ينفع ، ولذا ورد في بياض الوجه في الدنيا والآخرة أثار ، والمراد بها الذات تجوزاً ، وحاصله : أنه كناية عن العمى والبكم والصم وتغيّر الصورة والسواد والاقتضاء وغيرها .

وقد روي أنه لما اشتد يوم حنين أخذ النبي ﷺ كفاً من الحصى ، فرمى به وجوه المشركين وقال : شاهت الوجوه ، فما خلق الله منهم =

. . . .

= إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة ، فولوا مدبرين فهزمهم الله .

وروي أن رجلاً من المشركين قال يوم حنين : لما التقينا نحن وأصحاب محمد لم يقفوا لنا حلب شاة إلى أن كشفناهم ، فبقينا نسوقهم حتى إلى صاحب بغلة بيضاء ، فإذا هو رسول الله ﷺ قال : فيلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان الوجوه فقالوا لنا : شاهت الوجوه ارجعوا ، الحديث ذكره السيوطي وغيره ، وفي رواية : فلما التقى الجمعان تناول رسول الله ﷺ كفاً من الحصاة عليه تراب فرمى في وجوه القوم ، وقال : شاهت الوجوه ، فلم يبق مشرك إلا ودخل في عينه وفمه ومنخريه من ذلك التراب شيء ، فانهزموا وتبعهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم .

قال قتادة وابن زيد : ذُكر لنا أن رسول الله ﷺ أخذ يوم بدر ثلاث حصاة فرمى بحصاة في ميمنة القوم ، وبحصاة في ميسرة القوم ، وبحصاة فيما بين أظهرهم ، وقال : شاهت الوجوه فانهزموا ، كذا في الخازن والدر .

أقول : ولا مانع من تعداد القضية ، ومن هذا ظهر وجه التثليث فلا بأس بالإشارة يميناً ويساراً أو قداماً بكل واحد من الثلاث والله أعلم ، وله الحمد الأكمل الأتم . شاهت : اسودّتْ ، الوجوه أي : وجوه المنافقين ، شاهت : افتضحت ، الوجوه : وجوه القاصدين لنا بالسوء ، قيل : إذا وصل إلى شاهت الوجوه يحرك يده يميناً وشمالاً وقداماً وخلفاً كأنه يضرب عدوه بالسيف ، وإن أراد عقد اللسان فليقرأ أربعاً وأربعين مرة قوله تعالى : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا

﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ﴾ ....

يَعْقِلُونَ ﴾ ثم يقول : وعَنَتِ الوجوه إلخ ، لكن في تصحيح النية ومعرفة المستحقين ، ومحل جوازه شرعاً يحتاج إلى التدبّر التام ، قال قاضيخان : امرأة أرادت تعويذ آيات ليحبها زوجها بعدما كان يبغضها ، ذكره في الجامع الصغير أن ذلك حرام ، انتهى . إذا كان حال الحلال لأجل الحلال هكذا فما ظنك بغيره .

﴿ وَعَنَتِ ﴾ : من عنى يعنو أي خضعت وخشعت وذلّت وأسلمت وانقادت وسجدت ، وفي الدّرّ : استأثرت صاروا أسارى كلهم .

﴿ ٱلْوُجُوهُ ﴾ : ظاهرة العموم ، أي : وجوه الخلائق ، أو وجوه الأعداء الأنسية والجنية ، وخص الوجوه : لأن أثر الخصوص والذلة يظهر أولاً فيها وتبين بها ، أو المراد أصحاب الوجوه وأنفسهم بقرينة قوله : وعنت ، فإنه من صفاتهم لا من صفات الوجوه ، ثم إن في كل وقت أو يوم القيامة يصير الملك والقهر له تعالى دون غيره ، والماضي للتحقيق .

﴿ لِلْحَيِّ ﴾ لله الذي لا يموت وهو الحي بنفسه لا بإحياء غيره .

﴿ ٱلْقَيُّومِ ﴾ القائم بتدبير خلقه ، القائم الوجود الذي يمتنع عليه التغير ، القائم الذي لا يزال ، القائم على كل نفس بما كسبت ، وقيل : القائم على خلقه بأرزاقهم وآجالهم ، وقيل : القيوم يدل على معنى الأزلية والأبدية وعلى كونه موجوداً بنفسه ، ولهذا المعنى المشتمل على حقائق المعنى .

قيل : الحي القيوم هو الاسم الأعظم ، ويؤيده أنها مدار الأسماء الحسنى وإليها يرجع معانيها ، فإن الحياة مستلزمة بجميع صفات =

. . . .

= الكمال ، فلا يتخلف عنها صفة منها إلا بضعف الحياة ، فإذا كانت أكمل حياة وأتمّها استلزم إثباتها إثبات كل كمال أيضاً ، يضاد نفيه كمال الحياة ، وأما القيوم فهو يتضمن كمال غناه وكمال قدرته وافتقار غيره إليه في ذاته وصفاته إيجاداً وإمداداً ، فإنه القائم بنفسه فلا يحتاج إلى غيره ، بوجه من الوجوه المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته ، يعني به يقوم كل موجود حتى لا يتصور وجود الشيء ولا دوام وجوده إلا به ، وقد قيل : إن من عرف أنه القيوم بالأمور استراح عن كدّ التدبير ومشاقّ الأشغال ، وعاش براحة التفويض ، فانتظم لهذين الإسمين صفات الكمال على وجه الأتم ، فلا يبعد أن يكون الاسم الأعظم .

وقيل : إن عيسى بن مريم كان إذا أراد أن يحي الموتى يدعو بهذا الدعاء يا حي يا قيوم ، وقيل : إن آصف حين أتى بعرش بلقيس دعا بذلك ، وقيل : هو دعاء أهل البحر إذا خاف الغرق يا حي يا قيوم ، وعن علي : لما كان يوم بدر جئت أنظر ما يصنع النبي ﷺ ، فإذا هو ساجد يقول : يا حي يا قيوم ، فتردّدت مرات وهو على حاله لا يزيد على ذلك إلى أن فتح الله له ، قال في تفسير اللباب : وهذا يدل على عظمته الاسم ، وقال اليافعي نقلاً عن البوني في ذكر هذين الاسمين : أن تصوم الثلاثاء والأربعاء والخميس وتبيت ، فإذا كان وقت الفجر من ليلة الجمعة تصلي الصبح عقيب الأذان في أول وقت ، فإذا سلمت من الصلاة تذكر تلاوتها من غير تربص واشتغال بشيء من الأشياء قولاً وفعلاً أو غيرهما ، مما يشغل البال : يا حي

وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا طسٓ. . . . .

= يا قيوم ، وتواصل الذكر من غير سكوت ولا انقطاع عنه ولا ذكر بغيره ، فإذا بزغت الشمس بكرة نهار الجمعة تكون قد جهزت دواة وقرطاساً ، فتكتب في الحال عقيب مع أول طلوع : يا حي يا قيوم ، ويطوى ويحمل ، فإنك ترى من عجائب بركة الله وسعة الرزق وإقبال الخيرات عليك ، ما شاهدته غياباً ، ويتعجب الناس منك ، فاحفظ هذه التحفة واكتمها عن غير أهلها ، وكن حالة الذكر والكتابة مستقبل القبلة .

﴿وَقَدْ خَابَ﴾ يحتمل الحال والاستينال لبيان ما لأجله عنت وجوههم ، أي : يَئِسَ وخسر من رحمة الله وبركاته وثوابه .

﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ أي موقف القيامة شركاً ، لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه ، ولا ظلم أشدّ من جعل المخلوق شريك الخالق ، ويحتمل المعنى : ها هنا عاد كل من أراد لنا الظلم ، وقصد السوء بغير نيل مرام ، وحصول مقصود . وحظ العبد منه : أن لا يقرأ هذا الحزب لظلم أحد ولا التوسّل إليه وإلا خاب .

﴿طسٓ﴾ بغير تكرار في المشهور ، المعتمد عن ابن عباس رضي الله عنه : هو اسم الله الأعظم كما ذكره السيوطي ، قيل : الطاء إشارة إلى طهارة الطور وطيب الطيبة ، وسعة بيت المقدس الذي بناه سليمان عليه السلام ، والمقصود إظهار العلم والحكمة دون البطش والنقمة ، فلا يقتضي الحال ذكر الميم ، قيل : اسم القرآن والسورة ، أو قسمٌ وهو من أسماء الله معظمة الحروف ، أو قسم بطوله وسنائه ، وقيل : الطاء إشارة إلى طوله في كمال عظمته وهو =

حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ....

متوحد به ، والسين إلى سلامته من كل عيب ونقص وهو منفرد به ، أو إلى طهارة قلب نبيه عليه السلام عن الكونين ، والسين إلى سيادته على الأنبياء والمرسلين ، أو الطاء طيران الطائرين بالله والسين سير السائرين إلى الله ، وقيل : الطاء شجرة الطوبى والسين سدرة المنتهى قسم بها ، أو طوبى للمؤمنين سلام عليهم ، وقيل : طهارة أبدان الصالحين وسلامة قلوب الزاهدين ، أو طرب المشتاقين وسرور العارفين ، فنسألك الطهارة الظاهرة والسلامة الباطنة ، والوصول إلى طوبى والسيادة العظمى بحرمة هذا الاسم الطاهر المطهر الأعلى .

﴿ حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ﴾ قيل : هو اسم الله الأعظم ، ومعناه الحي القيوم ، وقيل : هو اسم من أسماء الله ، وقيل : الحاء من رحمن ، الميم من مجيد ، والعين من العالم وعزيز ، والسين من قدوس ، والقاف من قاهر .

وقيل : حلم الله وملكه وعلوه وسنائه وقدرته ، وقيل : حرب يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز ، ملكه يتحول من قوم إلى قوم عدو لقريش بقصدهم سنا كسنا يوسف ، قدرة الله في خلقه ، وقيل : في شأن محمد ﷺ حوضه المورود وملكه الممدود ، وعزه الموجود وسنائه المشهود ، وقيامه في المقام المحمود وقربه من الملك المعبود ، وقيل : حم عسق سر لم يطلع عليه غير محمد ﷺ ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ما من نبي صاحب شرع أو صاحب كتاب إلا وقد أنزل الله عليه حم عسق ، يدل عليه قوله : ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ﴾ . الآية .

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾..........

﴿مَرَجَ﴾ أي أرسل ، دخل ، أو خلق ، والأخير مجاز في المسند
﴿ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ البحر المالح والبحر العذب ، وهو الأنهار بين الناس ، فلا يرد بعدم وجود البحر ، ماء العذب على أنه في حيز المنع ، وقال ابن عباس : بحر السماء وبحر الأرض ، وإذا وقع بحر السماء على بحر الأرض صار لؤلؤاً وقيل :
﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ كل عام .
﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ من البعد ما لا يبغي كل واحد منها على صاحبه ، يلتقيان : يتقابلان ، وقيل : يجتمعان ، قال الحسن : بحر الروم وبحر الهندي ، وقيل : بحر فارس وبحر الروم ، أو بحر المشرق وبحر المغرب ، بينهما : أي بين البحرين ، برزخ : أي حجاب وحاجز لطيف لا يرى الخلق ، أو من قدرة الله ، أو من الأرض كالجزائر والبلاد فلا يختلط أحدهما بالآخر ، فيفسد على الناس مياههم .
﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ أي لا يختلطان ، أو لا يطغيان على الناس الذي هم البرزخ ، فيغرقانهم أو لا يمسن جان ولا يتغير طعم كل واحد منها ، وكذا في البحر عيون ماء عذب لا يختلطان بقدرة الله تعالى ، وقيل : كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها مع أن شأنها الاختلاط ، وهما في الظاهر مختلطان ، وفي الحقيقة غير مختلطين ، وقيل : البرزخ مدة الدنيا ، فإذا انقضت الدنيا وقامت الساعة اختلط أحدهما بالآخر ، كما أشير إليه في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ أي فتح بعضها إلى بعض حتى يصير بحراً واحداً ، =

حمٓ ، حمٓ ، حمٓ ، حمٓ ، حمٓ ، حمٓ ، حمٓ . . . .

= أحميت وجعلت شراباً لأهل النار ، وفيه دليل على القدرة الباهرة مثلاً ، بأن العذوبة والملوحة إن كانت بسبب طبيعة الأرض فلا بد من الاستواء ، وإن لم يكن كذلك فلا بد من قادر حكيم يختص كل واحد من الأجسام بصنعه ، ويفصل بينها على حسب مشيئته وإرادته ، فلا يعجزه ما أراد من إحياء وإماتة وإعزاز وإذلال وإعناء وإفناء وحماية وعناية وغير ذلك ، وفيه عبرة للمعتبرين .

ولو خلط البحران كيف الحال ؟ مع أن فوقنا بحراً وتحتنا بحراً وجهتنا بحاراً ، ومن هذا ظهر سر طلب تسخير البحار ، ووجه الإيراد هنا : ومع هذا نحن مستغرقون في بحار كرمه ، فنحمده حمداً موافياً لنعمه ومكافياً لمزيده ، وذكر القرطبي عن سهل بن عبد الله : البحران : طريق الخير والشر ، والبرزخ الذي بينهما : التوفيق والعصمة .

﴿حمٓ ، حمٓ ، حمٓ ، حمٓ ، حمٓ ، حمٓ ، حمٓ﴾ والسبع للاقتداء بالكلام المجيد والإحراز للبركات في كل منّة ، وفي القاموس : ولا تقل حواميم وقد جاء في الشعر ، قال الفراء : قول العامة الحواميم فليس من كلام العرب ، وقال أبو عبيدة : الحواميم سور في القرآن على غير القياس ، لكن الأولى أن يجمع كذوات حم ، كذا في الصحاح ، يقول الفقير حقه عصمة القدير : الأحاديث التي ذكرها السيوطي في الدر المنثور يرده فليتأمل ، ثم « حم » اسم من أسماء الله تعالى ، عن ابن عباس : أنه اسم الله الأعظم ، قيل : الحاء : افتتاح أسمائه حي حكيم حليم حميد حق حفيظ حسيب حنان ،

. . . .

= والميم : افتتاح أسمائه مالك مجيد منان ، وقد سمعت أنه الحي القيوم ، قال في القاموس : إن حاميم وذوات حاميم السور المفتتحة بها ، وهو اسم الله الأعظم ، أو قسم ، أو حروف الرحمن مقطعة انتهى .

وقد ذكروا أن الحواميم ثمرة القرآن وديباجه ولبابه وروضة الجنان ، وقال أبو الدرداء : كنا نسمي الحواميم العرائس ، وقال ابن سيرين : رأى رجل في المنام سبع جوار حسان في مكان واحد ، لم ير أحسن منهن ، فقال لهن : لمن أنتن ؟ قلن : لمن قرأ حم .

عن أنس بن مالك سأل أعرابي رسول الله ﷺ قال : يا رسول الله ما حم شانا لا نعرف في لغتنا ، قال :« **هي أسماء مفاتيح خزائن ربك** » وفي رواية : بدء وأسماء ومفاتيح سور ، وفي الدر : عن الخليل بن مرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « **الحواميم سبع وأبواب جهنم سبع ، تجيء كل حم منها تقف على باب من هذه الأبواب تقول : اللهم لا تدخل هذا الباب من كان مؤمناً يؤمن بي ويقرأني** » ، قلت أنا : كأن الحواميم سد مانع لعذاب الآخرة الذي هو العذاب الأكبر ، فكيف لا يكون سداً حاجزاً لبليات الدنيا التي هي الأدنى ؟ .

وقال في الحاشية والشروح : وينبغي كلما قرأ أن يشير في كل حم إلى جهة من جهات الست أماماً وخلفاً ويميناً ويساراً وفوقاً وتحتاً على هذا الترتيب وبالسابع إلى جميع الجوانب بالأصابع ، إن أمكن ولو خِفْيَة مع النية ، رأيت أن كل قضاء ومصيبة يأتي إلي من جميع الجهات ، فقد رفعته واحتميت منه بقدرته الله ، واسم الله الأعظم =

حُمَّ الأَمْرُ(١) **وَجَاءَ النَّصْرُ**(٢) **فَعَلَيْنَا**(٣) **لا يُنْصَرُونَ**(٤) . . . .

= الذي أشير إليه بالحواميم السبع ، وبالسور المفتتحة بها ، أو بالأسرار التي في القرآن ، على الوجوه فتأمل . ويقال في هذا المحل : كلما قرأ اللهم لا تقتلني بغضبك ولا تهلكني بعذابك وعافني قبل ذلك ، اللهم لا تؤاخذني بسوء عملي ولا تسلط علي من لا يرحمني وكف أيدي الناس عني ، يا حفيظ احفظني ويسر أموري ، وحصل مرادي برحمتك يا أرحم الراحمين . ثم يقول :

(١) « **حُمَّ الأَمْرُ** » ماض مجهول والأمر نائبه ، أي قُدّر وقضي وتمّ كل أمر ، أو الذي أردته بما هو كائن إيقاناً بالإجابة وثقة بوعده الكريم ، وتفاؤلاً بحصوله فأخبر عنه الماضي عقبه على اختلافهم في معناه .

(٢) « **وَجَاءَ النَّصْرُ** » أي نصر الله على جميع الأعداء ظاهراً أو باطناً ، والمدعو من الله تعالى وهو النصر العزيز وصيغة الماضي للتحقيق أن الله لا يخلف الميعاد .

(٣) « **فَعَلَيْنَا** » تفريع على قضاء الأمر ومجيء النصر أي علم مضارنا قوم على قوله :

(٤) « **لا يُنْصَرُونَ** » للحصر وهو مبني للمفعول ، والضمير للأعداء السابق ذكرها لفظاً على أن الحزب له شيء واحد أو حكماً فتدبر . أي : لا يعاونون ولا يكونون لهم نصر لا من الله ولا من أحد غيره ، وهم مقهورون ، بل النصر لنا بمقتضى وعده والأخبار ، على قضية : « ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة » ولعل مراد الشيخ من عدم النصرة لظلمهم وجورهم ، لأن الظالم مقهور والمظلوم منصور ، يؤيده سبب وروده عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال : « **أنكم تلقون** =

حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ ....

= عدوكم غداً فليكن شعاركم حم لا ينصرون » ، وعن أنس قال : انهزم المسلمون بحنين فأخذ رسول الله ﷺ قبضة من تراب فرمى بها في وجوههم وقال : حم لا ينصرون فانهزم القوم ، فما رمينا بسهم ولا طعنًا برمح ، وعن شيبة بن عثمان قال : لما كان حنين تناول رسول الله ﷺ من الحصاء ينفخ في وجوههم شاهت الوجوه حم لا ينصرون . عن أبي صفرة : حدثني من سمع النبي عليه الصلاة والسلام يقول : أن يتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون ، وكذا في الدر المنثور حم بحق الحي القيوم .

﴿ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ القرآن مبتدأ ﴿ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ خبره

﴿ ٱلۡعَزِيزِ ﴾ في ملكه وسلطانه ، الغالب القادر ، أو لا مثل له

﴿ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ بخلقه وبأعمالهم ولكل المعلومات .

﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ ﴾ ساتر ذنب المذنبين .

﴿ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ ﴾ أي : التوبة ممن أخلص فيه توبة المنيبين ، وتوسيط الواو لإفادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة . أو تغاير الوصفين إذ ربما يتوهم الاتحاد .

﴿ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ﴾ على المخالفين .

﴿ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ ﴾ صاحب الفضل على عباده ، أو ذي الغنى عن الكل ، أو السعة ، أو القدرة ، أو الغفران ، أو الخير الكثير ، وهو موصوف على الدوام بكل من هذه الصفات ، وفيه إيماء إلى سبق الرحمة وغلبتها .

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ ....

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي : الموصوف بالصفات الجليلة التي لا يوصف بها غيره ، أي : لا خالق ولا رازق ولا نافع ولا ضار ولا معز ولا مذل ولا كافي ولا شافي إلا الله .

﴿ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ لا إلى غيره لا استقلالاً ولا اشتراكاً ، أي مصير العباد ومرجعهم فيجازيهم بأعمالهم . ذكر إمامنا السيوطي عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ : « من قرأ حم المؤمن إلى الله المصير وآية الكرسي حين يصبح حفظ بها حتى يمسي ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح » وفي رواية : « من قرأ آية الكرسي وأول حم المؤمن عصم ذلك اليوم من كل سوء » . انتهى .

قال النسفي : لاشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى فما كان له ذكر أفضل من سائر الأذكار .

روي عن عمر رضي الله افتقد رجلاً ذا بأس شديد من أهل الشام فقيل له تتابع في هذا الشراب فقال لكاتبه : اكتب من عمر لفلان سلام عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو ، بسم الله الرحمن الرحيم إلى قوله إليه المصير ، وختم الكتاب وقال لرسوله : لا تدفعه إليه حتى تجده صاحياً ، ثم دعا وأمّن من عنده فدعوا له أن يقبل الله بقلبه وأن يتوب عليه ، فلما أتته الصحيفة جعل يقرأها ويقول : وعدني الله أن يغفر لي ، وحذرني عقابه ، فلم يبرح رددها حتى بكى ، ثم نزع فأحسن النزوع ، وحسنت توبته ، فلما بلغ عمر أمره قال : هكذا فاصنعوا ، إذا رأيتم أخاكم قد زل زلة فسددوه وادعوا الله له أن يتوب عليه ولا تكونوا إخواناً للشياطين عليه . كما في المدارك .

بِسْمِ اللهِ[١] بَابُنَا[٢] ....

= وعن ثابت البناني قال : كنت مع مصعب بن الزبير في سواد الكوفة ، فدخلت حائطاً أصلي ركعتين فافتتحت حم المؤمن حتى بلغت لا إله إلا هو إليه المصير ، فإذا رجل خلفي على بغلة شهباء عليه مقطعات يمنية فقال : إذا قلت غافر الذنب فقل : يا غافر الذنب اغفر لي ، وإذا قلت قابل التوب فقل : يا قابل التوب اقبل توبتي ، وإذا قلت شديد العقاب فقل : يا شديد العقاب لا تعاقبني ، ولفظ ابن أبي شيبة : اعف عني ، وإذا قلت ذي الطول ، قل : يا ذا الطول طل علي بخير ، قال : فقلتها ثم التفتُّ فلم أر أحداً ، فخرجت إلى الباب ، فقلت : مر بكم رجل عليه مقطعات يمنية ، قالوا : ما رأينا أحد كانوا يرون أنه إلياس كذا في الدر المنثور .

(١) « بِسْمِ اللهِ » الذي هو مفتاح الخيرات ، وعنوان السعادات ، ومطلع الدرجات وينبوع الكرامات ، خير مقدم أي ملابس به .

(٢) « بَابُنَا » مبتدأ مؤخر أي : باب جميع أمورنا الحسنة ، كما لا يدخل إلى الدار إلا من باب ، كذلك لا نبدأ ولا نفتح ولا ندخلن بشيء حسن إلا باسمه وحفظه ويمنه واستعانته ، ويحتمل بتقدير المضاف ، أي : مفتاح بابنا الحسي والمعنوي وبه تسد وبه نفتح فنسلم ، والإضافة للاستغراق يشمل باب الدار والقلب والقبر وباب الجنة والصراط .

عن سلمان الفارسي ، قال رسول الله ﷺ : « **لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم** » وفي أخرى : « **يعطى المؤمن جوازاً على الصراط بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله** =

تَبَارَكَ(١) ....

= العزيز الحكيم لفلان بن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية » ذكره الحافظ ابن كثير في الحاقة ، أو هذا الاسم مانعنا من نوائب الدارين ، كما سمي البوابون لمنعهم عن دخول الأغيار ، وعلى كل تقدير غير مخل بالتعظيم ، فتأمل .

وأما استعمال البسملة في بداية الكلام في موضع الأمر والأذان ، وعند دعوة الطعام ، بسم الله كعادة قوم مصر يكفي لا للتبرك والاستعانة ، وتذكير البسملة كذا في تتمة الفتاوى والتبيين ، ثم على ظاهره بلا زيادة ، ويحتمل مع الوصفين المعهودين بقرينة قوله :

(١) « تَبَارَكَ » والتبرك للاكتفاء ، تبارك سورة الملك بتمامها والتخصيص من بين السور لأنها المانعة والدافعة والمنجية والمجادلة والمخاصمة تجادل وتخاصم عن قارئها في القبر والمحشر تدفع وتنجي قارئها من عذاب القبر كما ورد عن ابن مسعود قال : من قرأ ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ كل ليلة منعه الله بها من عذاب القبر ، وكنا في عهد الرسول ﷺ نسميها المانعة ، وفي رواية : من قرأها كل ليلة لم يضره الفتانان ، وعن أنس مرفوعاً : « يبعث رجل يوم القيامة لم يترك شيئاً من المعاصي إلا ركبها إلا أنه كان يوحد الله ، ولم يكن يقرأ من القرآن إلا سورة واحدة ، فيؤمر به إلى النار ، فطار من جوفه شيء كالشهاب ، فقالت : اللهم أنا لما أنزلت على نبيك وكان عبدك هذا يقرأني ، فما زالت تشفع حتى أدخلته الجنة وهي المنجية ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ » ، وعن أنس رفعه : « لقد رأيت عجباً رأيت رجلاً مات كان كثير الذنوب مسرفاً على نفسه ، فكلّما توجه إليه العذاب =

حِيطَانُنَا[١] ....

= في قبره من قبل رجليه أو من قبل رأسه ، أقبلت السورة التي فيها ﴿ تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ كالطير تجادل عنه العذاب إنه كان يحافظ علي ، قد وعدني ربي أنه من واظب علي أن لا يعذبه به ، فانصرف عنه العذاب بها » .

وكان المهاجرون والأنصار يتعلمونها ، ويقولون : المغبون من لم يتعلمها ، وهي سورة الملك ، ولذا روي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقرأ : الم تنزيل السجدة ، وتبارك الذي بيده الملك ، لا يدعها في سفر ولا حضر ، عن عباس أنه قال لرجل : ألا أتحفك بحديث تفرح به ، قال : بلى ، قال : اقرأ تبارك الذي بيده الملك ، وعلِّمْها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك ، فإنها المنجية والمجادلة يوم القيامة عند ربها لقارئها ، وتطلب له من ربها أن تنجيه من عذاب النار ، وينجو بها صاحبها من عذاب القبر ، قال رسول الله ﷺ : « لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي » ذكره القرطبي في التذكرة ، والسيوطي في الدر المنثور وشرح الصدور . أو المراد سورة الفرقان والملك معاً ، كما يفيد الإطلاق بتمام السورتين على طريق المجاز المرسل ، وإرادة هذه اللفظ فقط بعيد لا يخفى .

(١) « حِيطَانُنَا » جمع حائط ، وهو الجدار ، والقياس حواطان كما في القاموس ، أو الحائط بمعنى الحافظ ، كما في بعض اللغة ، والجمع للإحاطة ، فالمعنى : هذه السورة سدُّنا وحجابنا من كل سوء الذي يجيء من الجوانب الأربعة ، كالجدر الأربعة ، والحصن الحصين أو حفاظنا من جميع البليات في الدارين ، أو تكاثرهم النعم وتزايد النفع =

يس(١) سقفنا(٢) كهيعص(٣) كفايتنا(٤) ﴿حم ۝ عسق ﴾(٥)

= والكرم وتمام البركات وعموم الخيرات ، وحصول المحاسن الجسمانية وحصول المعارف الروحانية ، ودوامها محيطة بجميع جوانبنا وحاوية لأحوالنا تحققاً وتفاؤلاً ورجاءً ، لما ذكر الأطراف بقي الفوق قال :

(١) « يس » أي سورة بتمامها على القول بأنه اسم لها ، أو بعلاقة الجزئية أو هذا الاسم الأعظم على أنه اسم الله تعالى .

(٢) « سقفنا » المرفوع والمحفوظ ، يعني : أن الأسرار والأنوار والخواص التي في هذه السورة ، أو في هذا الاسم يحفظنا ويسترنا عن المصائب النازلة من فوقنا ، أو البركات الظاهرة والباطنة فيها تنزل كالأمطار ، أو أن هذه السورة تكون بمنزلة السقف على الحيطان المذكورة في رفع الآفات السماوية ، ولم يذكر الأرضية إما اكتفاء باللواحق أو لقلته ، أو ما من بيت إلا وتنزيل من السماء باعتبار التقدير والتحرير في اللوح ، ويحتمل الإدراج في الحيطان فتدبر .

(٣) ﴿ كهيعص ﴾ أي الأسرار والبركات التي في هذه الأسماء ، الله الكافي والهادي الحي العليم الصمد الصبور .

(٤) « كفايتنا » كاف كل هم في كل سبيل ، أو في الهداية والعناية والوقاية في البداية والغاية ، أو اكتفيت بكهيعص في جلب كل خير ودفع جميع الشر .

(٥) ﴿حم ۝ عسق ﴾ أي هذا الاسم ، أو السورة ، أو الحنان المنان ، أو الحي القيوم العالم بأحوالي السميع بدعائي القدير على إعطاء مرادي

حِمَايَتُنَا ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ ....

« حِمَايَتُنَا » من كل ما نخافه من جميع الأطراف ، وهو خبر لقوله : حم عسق ، والإسناد مجاز وفيه مبالغة لا يخفى إلى حامينا وحافظنا من جميع البليات والمحذورات في الدارين ، واحتميت بما فيه من الاسرار من الشرور والأشرار ومن كل ما خلق الله من الأكدار ، أو بهذا الاسم كفينا ، وبهذا الاسم حمينا ، من كل سوء مع من أحبنا ، قيل : يضم كل أصبع في مقابلة كل حرف من كهيعص مبتدأ من الخفض ، ويفتحها في مقابلة كل حرف من حم عسق ، فإن في الضم أسرار غريبة ، وفي الفتح رموز خفية ، فليحفظ تلك الأسرار والرموز فإن فيها حكماً ومصالح .

﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ يعني : يكفيك شقاقهم وخلافهم وجميع شرهم ويدفع عنك مؤنتهم ، هذا وعد من الله بالحفظ والنصر ، وكون عاقبة الأمر لهم ، والسين فيه تنفيس مع التأكيد والتحقيق ، فسينصرك عليهم ويظفرك بهم ، فيه إيماء إلى كون الوعد محقق فيه الوقوع البتة ، وإن تأخَّر إلى حين ، ولأن وعد الله واقع فيه لا محالة .

﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ يسمع مقال الموحدين ، فيثيبهم ومقال الكافرين فيعاقبهم ، أو يسمع ما تدعو به .

﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ يعلم ما يضمرونه في قلوبهم ، وهو معاقبهم عليه ، يعني : يعلم اعتقاد الفريقين فيجزي الكل على اعتقادهم ، أو السميع دعائك العليم بحاجتك فيجيبك ، ومن الآداب : أن العبد إذا علم أن مولاه يسمع ما يقال ، ويعلم ما يختلف به الأحوال ، فإنه يكتفي بسمعه وعلمه عن انتقامه وانتصاره ، فإن كفاية الحق له أتمُّ من كفاية =

سِتْرُ العَرْشِ(١) مَسْبُولٌ(٢) عَلَيْنَا(٣)........................

= الخلق لنفسه « ثلاثاً » يعني : اقرأ قوله : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ الآية ثلاث مرات .

قيل في وجه التثليث : لأنه سنة الدعاء لكن تحتاج إلى بيان وجه التخصيص ، والأولى أن يقال لوروده لما اطلعه المؤلف فليحسن الظن به . في كتاب الفوائد : من دوام على ذكر قوله تعالى : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ (ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) كل صباح ، بعث الله إليه أربعة أملاك يحفظونه من سائر جهاته فلا يقدر أحد يصله ، ولا يضره أحد بإذن الله ، وقيل : من قرأ كل يوم هذه الآية مئتين وإحدى عشر مرة عصمه الله تعالى عن شر الجن والإنس والآفات ، ومن قرأها عند جبار ثمانية وعشرين كفي شره .

(١) « سِتْرُ العَرْشِ » الذي لا تحرقه الرياح ولا تقطعه بواتر الصفاح ولا تنفذه الرماح ، قال في الحرز الثمين : السِّتر بالكسر : الحجاب ، وبالفتح : مصدر ستر الشيء إذا أغطيته ، وتخصيص العرش لكونه أعظم الخلق ، يعني ستر رب العرش كناية عن الحماية والعناية في الدنيا والمحشر والجنة وسقف الجنة وسقف عرش الرحم ،ن ذكر السيوطي في هيئته عن عكرمة قال : الشمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسي ، والكرسي جزء من سبعين جزء من نور العرش ، والعرش جزء من سبعين جزء من نور الستر .

(٢) « مَسْبُولٌ » مُرخى .

(٣) « عَلَيْنَا » على جميع جهاتنا بحيث يكون حجاباً ورفيعاً وحائلاً منيعاً لنزول المكروهات والمحذورات ، أو يسترنا من المكاره .

وَعَيْنُ اللهِ[١] نَاظِرَةٌ[٢] إِلَيْنَا[٣] بِحَوْلِ اللهِ[٤] لاَ يُقْدَرُ[٥] عَلَيْنَا[٦] ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ ﴾[٧] ....

---

(١) « وَعَيْنُ اللهِ » مبتدأ على كل حال بالحفظ واللطف والمراد .

(٢) « نَاظِرَةٌ » خبره ، وفي النيسابوري : كقول الرجل عين الله عليك ، وفي القاموس : أنت على عيني ، أي في الإكرام والحفظ جميعاً .

(٣) « إِلَيْنَا » أي : ظاهرنا وباطننا وجميع أحوالنا وأدياننا وأهلنا وأولادنا وأموالنا وأصحابنا ، فنكتفي ونستريح بنظره وعلمه ونصره وقدره عن كدّ التقدير ، وإن أراد دفع إصابة العين فليقرأ في هذا المحل سبعين مرة قوله تعالى : ﴿ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ ثم يقول : ناظرة إلينا الخ .

(٤) « بِحَوْلِ اللهِ » بقوته وحفظه وحراسته لا بقوة غيره ، قدم على المتعلق للحصر ، أو بتحويلنا من الخوف إلى الأمن ، أو بإرادة الله .

(٥) « لاَ يُقْدَرُ » بصيغة المفعول .

(٦) « عَلَيْنَا » أي لا يقدر ولا يطيق أحد من الأعداء على الإضرار بنا ، ولا يقوى على الوصلة إلينا بالشر ، ولا يُضيّق الله تعالى سبل السلام علينا ، ولا يقدر عدواً لنا تدبير الأمر في حقنا في إيصال الشر فضلاً عن الظفر ، أو يعظم الله تعالى العدو ولا يحصل له الشرف والجاه بالنصرة علينا .

(٧) ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴾ تمثيل لعدم نجاتهم من بأس الله ولا عاصم لهم منه ، وإثبات لما قبله من قبيل عطف العلة على المعلول ، فالله عالم بهم وبأحوالهم لا يخفى عليه شيء وقادر عليهم ، وهم

=

بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾...................

= لا يعجزونه هم في قبضته وقهره وقدرته وسيجزيهم على وفق عملهم .

﴿ بَلْ هُوَ ﴾ أي الذي كذبوه .

﴿ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴾ عظيم شريف كثير النفع والخير عالي القدر عند الله ، لأنه كلام رب العزة أشرف من كل كتاب ، بديع النظم وفريد المعنى .

﴿ فِي لَوْحٍ ﴾ لا يشبه ألواح الخلق قطعاً من درة بيضاء أو ياقوتة حمراء أو زبرجدة خضراء ، قَلَمُهُ نور ، وعرض القلم طول ما بين السماء والأرض ، يعني : أنه

﴿ مَّحْفُوظٍ ﴾ من التبديل والتغيير والتحريف عن ابن الحكيم عن أبيه قال : حدثني في قوله تعالى : ﴿ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ هو صدر المؤمنين محفوظ ، بالرفع نعت القرآن ، أو بالكسر نعت للوح ، لأنه محفوظ عند الله من الشياطين والإنس والجن من الزيادة أو النقصان وجميع الآفات والعاهات وكل شيء ، أعلاه معقود تحت العرش وأسفله في حجر ملك كريم ، وفيه مكتوب جميع الأشياء ، القضاء والقدر والقرآن وكتاب كل نبي كريم .

قيل : إن الحجاج بن يوسف أرسل إلى محمد بن الحنيفة يتوعده ، وقال : لأفعلن بك كذا وكذا ، فأرسل إليه محمد بن الحنفية : إن الله ينظر في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة إلى اللوح المحفوظ ، كل يوم يحيي ويميت ، ويغني فقيراً ويفقر غنياً ، ويعز به ذليلاً ويذل عزيزاً ، يربي صغيراً أو يفك أسيراً ، يفعل ما يشاء ، فأرجو أن يرزقني الله ببعض نظراته أن لا يجعل لك علي سلطاناً ، =

﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ .

= فكتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان ، فكتب عبد الملك هذه الكلمات التي قالها محمد ابن الحنيفة ووضعها في خزانته ، فكتب إليه ملك الروم يتوعده في شيء فكتب إليه عبد الملك تلك الكلمات التي قالها محمد بن الحنيفة ، فكتب إليه صاحب الروم : إنه والله ما هذا من كنزك ولا من كنز أهل بيتك ولكنها من كنز أهل بيت النبوة . ذكره السمرقندي .

وحاصله : فالله يحفظني عن الشر كله ظاهراً وباطناً في الكونين كما حفظ اللوح ، ونصره يحيطني بجميع جوانبي كما أحاط وراء القاصدين بالسوء ، وفي الفوائد : من سافر وقرأها أي : من ورائهم الآية على منزله عند خروجه منه ثلاث مرات فيحرس هو ومن فيه من الأهل والمال والمتاع والولد من كل آفة ، وإذا قرأتها على نفسك وعلى أولادك حرست وإياهم من كل شر بإذن الله ، وقال غير واحد من المصنفين : إذا أذن خلف المسافر لابد أن يرجع إن شاء الله ، وفي الدر المنثور عن علي رضي الله عنه : من أراد سفراً فأخذ بعضاً دنى منزله ، فقرأ قل هو الله أحد إحدى عشر مرة كان الله له حارساً حتى يرجع انتهى ، وقد جرب والحمد لله رب العالمين .

﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ ﴾ لأنه لا يضيع من حفظه بخلاف غيره ، وحفظه بلا عوض ولا غرض ، وإذا أراد الله حفظ أحد من خلقه لا يقدر سواه من المخلوقات الإضرار به

﴿ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ أي أرحم من كل رحيم فنرجو أن يحفظنا برحمته . روي أن يعقوب عليه السلام لما قال ذلك قال الله تعالى : =

﴿ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾

لأردن عليك كليها بعد ما توكلت علي . « ثلاثاً » : يعني يقرأ قوله تعالى : ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ ثلاث مرات بناء على ما مر .

﴿ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ﴾ ولي نعمتي ويتولاني بالنعم والتفضل بالملك الباقي عن الملك الفاني ، أي : القائم بإصلاح أموري الدنيوية والأخروية ، وناصري وحافظي ومتولي أمري بالتوفيق والعصمة .

﴿ ٱللَّهُ ﴾ الواجب الوجود الفائض الجود الملك المعبود له الركوع والسجود ، لا ولي لي سواه في الوجود فلا أتولى غيره .

﴿ ٱلَّذِى نَزَّلَ ﴾ بواسطة الملك على رسوله أو حبيبه المجتبى .

﴿ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ كله أو القرآن .

﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ الذين صلحت أحوالهم وأعمالهم عند الله تعالى ورضي عنهم واستحقوا الثناء عليهم ، أو القائمون بحقوق الله وعباده ، ولذا قال : لا ينبغي الجزم به في حق شخص معين من غير شهادة الشارع له به ، وإنما يقال هو صالح في ظني خوفاً من الشهادة بما ليس فيه ، كما في الشرنبلالي ، أي : يتولاهم بالتوفيق واللطف والحماية والعناية في كل حال وآن ، وقال بعض العارفين : من أمارات ولايته للعبد أن يديم توفيقه حتى إذا أراد سوءاً وقصد محظوراً أعصمه من ارتكابه ، ومنها : أن يرزقه مودة في قلوب أوليائه ، « ثلاثاً » يعني : إذا وصل إلى هنا يكرر ثلاث مرات .

﴿حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾.........

﴿حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾ مما سواه جلباً ودفعاً حضراً وسفراً ديناً ودنيا وعقبى ، أو حسبي عند جميع الشدائد والمضائق ، وفي دفع العلائق والعوائق ، وكفايته تعالى عامة لجميع الأحوال والأشغال ، وأعظمها الوصول إلى مقام التسليم وترك الاختيار راجعاً إلى ما يختار في حقك من المنافع والأكدار ، وهذا مقام عزيز لا يصل إليه إلا من وفقه الله الغفار ، فنرجو ونتوسل بجميع الوسائل المرضية أن يذيقنا قطرة من هذه البحار فله الحمد في الليل والنهار .

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا مؤثر في شيء من الأشياء ولا كافي فيه ، لا نافع ولا دافع ولا مهرب ولا مطلوب ولا محبوب في الكونين إلا هو ، كأنه ذكر في مقام التعليل للمذكور .

﴿عَلَيْهِ﴾ لا على غيره ، فإنه القادر على ما يشاء ، فإن من عداه عاجز ساقط عن درجة الاعتبار في الوجود فضلاً عن القدرة .

﴿تَوَكَّلْتُ﴾ التجأت واستندت ووثقت في جميع أموري كلياً وجزئياً ، الأمر كله له لا راد لقضائه ولا دافع لحكمه ، فيجب على العبد في كل الأمور التوكل على الله تعالى لا على غيره ، ولأنه يثني على المتوكل ويرضى عليه ويحسن ثوابه ، كما قال في كتابه :
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ ، لا أرجو ولا أخاف فيما آتي وأذر إلا إياه ، وكل من توكل عليه يغنيه عن مقارعة أبواب غيره ، قيل : حقيقة التوكل ترك الأسباب ، وقال الحسن : التوكل على الله الرضى بكل ما قضى الله .

وقيل : هو أن لا تطلب لنفسك ناصراً غيره ، وأن لا تعصي الله =

من أجل رزقك ، ولا لعملك شاهداً سواه ، قال إمامنا القشيري : أول التوكل الثقة بوعده ثم الرضاء باختياره ، ثم نسيان أمورك بما يغلب على قلبك من أذكاره ، وقال : بداية التوكل سكون السر عند حلول الأمر ، ونهايته التفويض وهو استواء الحلو والمر والنعمة والضر ، وقال : هو إسقاط التدبير وترك منازعة التقدير ، والثقة بوعد الموعود عند عدم الوجود ، وتبين ذلك بالاضطراب عند عدم الأسباب ، وقيل : هو سكون القلب بمضمون الرب .

والحاصل : مشهود جريان التقدير يخفف على العبد كل عسير ، وفيه تنبيه أن لا ملجأ في الشدائد ولا مرجوّ في الرخاء إلا هو ، فلا وجه للإشراك والتعمق في الأسباب ، بل لابد لتوجيه النفس إليه بالكلية ، وقصر الابتهال والدعوات لمن هو الضار النافع القادر المطلق والغني المحقق ، وقد قال القشيري : تعليق القلب لشخص أو سبب مضاهٍ لعبادة الأصنام ، من حيث إنه تضييع الوقت فيما لا يعنيه وقته ، وتمحيق الزمان فيما لا يجدي على صاحبه بشيء ولا يعنيه ، ومن ضيع فيما لا يعنيه وقته استجلب من الله في التحقيق مقته .

﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ﴾ خالقه ومالكه وحافظه ، وهو المحيط بالموجودات وأولها ، لِمَا ثبت أنَّه خُلق قبل السموات والأرض بعد النور المحمدي والماء ، والتسمية بالعرش لارتفاعه ، وبالعظمة الأعظم من كل شيء ، وإضافته للتعظيم لأنه منزه عن المكان ، وإظهار تفرده بالخلق والتصرف وتخصيص الربوبية به من بين الخلائق لكونه أدل على القدرة الكاملة .

﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾[١] (بِسْمِ الله[٢] الَّذِي[٣] ....

---

(١) ﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾ قرأ بالجر أو الرفع صفة للمضاف أو المضاف إليه ، وفي الثانية مبالغة وبيان لعظمته كما لا يخفى ، وهو اسم أعظم على ما روي عن زين العابدين أنه روى في المنام ، وكفاك ما روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : من قال كل يوم سبع مرات : فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو ، كفاه الله ما أهمه من آخرته ودنياه صادقاً أو كاذباً ، وفي رواية : لم يمت هدماً ولا غرقاً ولا حرقاً ولا ضرباً بحديد ، وعن ليث ابن سعد عن أبي معسر : أن رجلاً انكسرت فخذه فأتاه آت فقال له : ضع يدك حيث تجد ألمك فقل : فإن تولوا فقل حسبي الله فصحت فخذه وعوفي ، ذكره اليافعي وغيره .

وفيه إرشاد للعبد إلى الإقبال على رب الأرباب مع تجريد العلائق عما سواه ، لأن القادر على خلق السرائر الأعظم وتدبير جسم الأقدم مع الحماية عن الزوال أقدر على المنع والدفع عن الخائف لما يضره في الدارين ، وعلى إعطاء ما يصلحه في الكونين ، والتفصيل بما لا مزيد عليه في شرحنا للحزب النووي والمسمى بفتح القوي ، والحمد لله العلي .

(٢) « ثلاثاً » : أي قراءة هذه الآية ثلاث مرات . أبتدىء « بِسْمِ الله » في جميع حالاتي الحسنة أو جميع الأمكنة ، في جلب كل الخيرات والبركات ودفع جميع المضرات صباحاً ومساءً .

(٣) « الَّذِي » صفة لمضاف إليه ، وما قيل في وجه منع كونه صفة للمضاف فليس بشيء ، إذ التأويل ممكن يظهر بالتدبر .

لا يَضُـرُّ[١] مَعَ اسْمِـهِ[٢] شَـيْءٌ[٣] فِـي الأَرْضِ وَلا فِـي السَّمَـاءِ [٤]

---

(١) «لاَ يَضُرُّ» من الثلاث في كل حال وزمان ومكان في الدنيا والآخرة .

(٢) «مَعَ اسْمِهِ» العظيم أي مع الملابسة والمقارنة والاستعانة باسمه ، أو مع التوفيق لأسرار اسمه . بالوصل ، والعوام يقرؤون بالقطع ، في جامع الشروح للشاطبي : إن إثبات همزة الوصل حال الوصل لحنٌ ، ثم المعيّة عامّة سواء بالتعلق أو التخلق والذكر والفكر والبلع والحمل والشرب بالباء ولو بالوضع والمسح وغير ذلك ، فعليك بالصدق والاعتقاد ومراعاة الشروط المعتبرة ، لأن في كل اسمه تعالى بركات وشفاء وخواص لا تحصى ، على أربابه لا تخفى ، وإجراء الكلام على العموم أفيد وأحرى ، فالتخصيص بالذكر والحمل على الأغلب ليس بجيد ، بل تكلف بلا وجه ، والإضافة للاستغراق ، أو اسمه المعهود ، أو كل اسم من أسمائه الحسنى .

(٣) «شَيْءٌ» بالرفع فاعل للفعل . من الثقلين وجميع المكروهات والمؤذيات من المخلوقات ، على ما يفيده النكرة في سياق النفي .

(٤) «فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ» ظرفُ لا يضر ، أو صفة للشيء ، أو زيادة لا لتأكيد النفي ، فالتخصيص بها للظهور في بادي النظر ورأي العيـن ، فهـو كـالتمثيـل للمعقـول بـالمحسـوس ، ولأن الحـس لا يتجاوزهما ، ويحتمل أن الإعادة للإعادة والاستقلال بطريق عطف الجملة ، أي : ولا يضر مع اسمه شيء في السماء ، وقال بعض المحققين : وتوسيط حرف النفي بينهما للدلالة على الترقي من =

وَهُوَ السَّمِيعُ[(١)] العَلِيمُ)[(٢)]..............................

= الأدنى إلى الأعلى باعتبار القرب والبعد من المستدعين للتفاوت بالنسبة إلى علومنا ، انتهى . أو للتنصيص على شمول النفي بكل منها ، واللام يحتمل العهد والجنس ، ولذا استغنى عن الجمع بالأفراد ، أي : الكائنات السفلية والكائنات العلوية ، فيشمل ما بينهما وفيهما ، بل التحقيق : أن المراد بها العموم بجميع ما في الكون من دائرة الوجود والإمكان ، أي شيء في جميع العالم والتقيد بها عن جميع العالم ، لأنها قطراه مع أنه أوجز وأشمل منها .

وفيه تنبيه على أن بركات اسمه الشريف محيطة بما في الوجود ، وإنما سواه لا يضر ولا ينفع في كل زمان ومكان ، كما لا يثقل مع اسمه شيء في الميزان ، بل هو أثقل من السموات السبع والأرضين السبع ، كما في حديث : قال الله تعالى : ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ ، ويحتمل المعنى : من أهل الأرض ولا من أهل السماء ، وقيل : حق الثاني التقديم لعلوه ، لكن تقدم إما للترقي ، ولأن الداعي من أهل الأرض ، وأكثر المضرات فيه بحسب الظاهر ، فالاهتمام بدفعها أتم .

(١) « وَهُوَ السَّمِيعُ » لدعواتنا .

(٢) « العَلِيمُ » بحاجاتنا ، أو يسمع الأقوال ويعلم الأحوال عيبها ورشدها وباطلها وحقها ، ويجري كلٌّ على وفق علمه وقوله وعقده ، والجملة عطف على الصلة ، ولا يضر تخلف الجملتين ، وقد ورد في حديث الترمذي وأبي داود وابن ماجه : « ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة بسم الله الذي لا يضر الخ ثلاث =

وَلاَ حَوْلَ[١] وَلا قُوَّةَ[٢] إلاَّ بِاللهِ[٣] ....

= مرات فيضره شيء » وفي رواية : « لم تعبه فجأة بلاء » وقد قيل : إنه الاسم الأعظم ، « ثلاثاً » : أي يكرر ثلاث مرات .

(١) « وَلاَ حَوْلَ » في دفع المضار من النفوس والأموال والأديان والعقول والإنسان إلا بحماية الله .

(٢) « وَلا قُوَّةَ » ولا قدرة على جلب المنافع على هذه الأشياء إلا بعناية الله تعالى ، أو لا خلاص في الأمور الدنيوية والأخروية من كل شرور ولا قوة ولا وصلة إلى كل سرور إلا بمعونة الله وتوفيقه ، وخلاصته : لا تحول لأحد من المعاصي إلا بتحويل الله ، لأنه محول الأحوال ولا قوة لأحد على أمر من الأمور إلا بتقوية الله وأقداره ، والتي منه حصراً ولا التجاء إلاّ إلى الله ، وقصر الاتكال على عنايته وحوله وقوته وقطع الاعتماد عن كل شيء إلا من وقايته ورعايته ، ثم قد قيل : إن الرياء أو ما يحدث في باطنه من إحسان العمل يسمى حولاً ، ثم يحس به في الأعضاء من طاقتها له يسمى قوة ، ثم ما يظهر عليه من العمل بصورة البطش والتناول يسمى قدرة ، ولهذا كان لا حول ولا قوة .

(٣) « إلاَّ بِاللهِ » كنز من كنوز الجنة ، لأنها تدل على رجوع الأمور كلها إليه تعالى ، يعني : فيه تفويض أمور الكائنات مع قطع النظر عن المخلوقات إلى الله فاطر السموات ، قيل : وهو من الكنوز المعنوية العرشية وذخائر الجنة العالية العلوية ، قال ابن حجر : هي كلمة أنزلت من الكنز الذي تحت العرش ، وهو سقف الجنة على ما ورد ، أو كالكنز في لطافته وحمايته من أعين الناس ، =

العَلِيِّ(١) العَظِيمِ(٢)

= عن أبي هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « **لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهمّ** » أفاد الحديث أنه دواء معنوي ، وتأثيره قوي للداء الدنيوية والأخروية أقلها جنس الهم المتعلق بالدين أو الدنيا ، أو همّ المعاش وغمّ المعاد ، كذا قاله علي القاري ، وقيل : ولها تأثير في معانات الأشغال الصعبة وتحمل المشاقّ والدخول على من يخاف شره ، وكان مكحول من التابعين مفتياً بالشام ولا يفتي حتى يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، عن صفوان قال : ما نهض ملك من الأرض يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، ذكره في الدر .

(١) « **العَلِيّ** » بالملك والسلطنة والقهر فلا أعلى منه أحد .

(٢) « **العَظِيم** » ذو العظمة والجلال والكمال « **ثلاثاً** » : وجه التثليث عملاً بالإكثار الوارد فيه ، وأقله الثلاث ، ولما روي عن علي رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « **قل إذا أصبحت ثلاثاً وإذا أمسيت ثلاثاً بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإنها شفاء من تسعة وتسعين داء أدناها الهم** » ، ذكره السيوطي في داع الفلاح . وقد ورد في آخر حديث : « **من أبطأ رزقه فليكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم** » كما في حصول الرفق له ، وعن أنس قال رسول الله ﷺ : « **ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل أو مال أو ولد فقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرى فيه آفته دون الموت** » وعن زياد ابن سعد قال : كان ابن شهاب إذا دخل أمواله قال : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، وكان مالك إذا دخل بيته قال : ما شاء الله ، قلت =

. . . .

= لمالك : لم تقول هذا ؟ قال : ألا تسمع الله يقول : ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ الآية . أي : لو قالها الرجل سلمت من الآفات ، فكان لا يقوم ولا يقعد إلا قالها ، حتى أنه كتبها على باب داره وقال : جنة الرجل داره .

وعن ابن ميسرة قال : رأيت على باب وهب ابن منبه مكتوباً ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، وعن جرير قال : خرجت إلى فارس فقلت : ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله ، فسمعني رجل فقال : ما هذا الكلام الذي لم أسمعه من أحد منذ سمعته من السماء ، فقلت : ما أنت وخبر السماء ؟ قال : إني كنت مع كسرى فأرسلني في بعض أموره فخرجت ، ثم قدمت فإذا شيطان خلفني في أهلي على صورتي ، فبدا لي فقال : شارطني على أن لي يوم ولك يوم وإلا أهلكتك ، فرضيت بذلك ، فصار جليسي يحادثني وأحادثه ، فقال لي ذات يوم : إني ممن يسترق السمع والليلة نوبتي ، فقلت : فهل لك أن أجيء معك ؟ قال : نعم ، فتهيأ ثم أتاني فقال : خذ بمعرفتي ، وإياك أن تتركها فتهلك ، فأخذت بمعرفته ، فعرج حتى لمست السماء ، فأذن قائل يقول : ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله فسقطوا لوجوههم وسقطت ، فرجعت إلى أهلي فإذا الشيطان يدخل بعد أيام ، فجعلت أقول : ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله فيذوب لذلك حتى يصير كالذباب ، ثم قال لي : قد حفظته فانقطع عنا . روي أن الكلمة التي تزجر بها الملائكة الشياطين حين يسترقوا السمع ما شاء الله ، ذكره السيوطي في تفسيره .

. . . .

- وفي الاختتام : اختلافات النسخ الكثيرة ولم نقف على أصل ، ولذا تركنا ذكره في شرحه .

ثم أراد الختم بالتصلية استجلاباً للقبول ، لأن الله تعالى أكرم من يدعو بين الصلاتين فقال : وصلى الله صلاة كاملة دائمة ، لأنها لا تكون إلا منه تعالى ، ولذا أسند إليه تعالى ، إذ المصلي في الحقيقة هو الله تعالى ، ونسبتها إلى العبد مجاز ، وكذا المراد بالصلاة المأمورة في الآية الكريمة سؤالها من الله تعالى ، كما صرح البعض .

على سيدنا سيد الموجودات بأكمل الحالات ، ونبينا إمام الأنبياء وتاج الأصفياء ، ومولانا ولينا وناصرنا ، وقيل : حبيبنا ومتولينا حافظنا ومصلح أمورنا ، وقيل : والينا وملكنا محمد الممدوح بالخصال الحميدة الكثيرة ، وعلى آله وأتباعه وصحبه المشرفين بصحبته الشريفة ، والتصلية عليهم تبعاً وبالترضية إذا ذكروا ، وسلَّمَ ـ بفتح اللام ـ ماض معطوف على صلى ، تسليماً : أكده بالمصدر امتثالاً لظاهر الآية ، كثيراً لا نهاية لها ، والحمد لله رب العالمين خالق الخلائق ومصلحها وسيدها .

قد استراح قلم التبييض عن التسويد ، ومن الله التكميل بالقبول والتسديد ، وله الحمد على جميع نعمه بلا غاية ولا تحديد ، ونصلي على نبينا صاحب المقام المحمود والحوض المورود ، صلاة تكفينا جميع المهمات وتعصمنا بها في الحركات والسكنات من كل ما يحول لنيل المراتب السنيات ، وتسخر لنا بها كل الكائنات وتنصرنا بها مع الكفايات في جميع المقامات ، وتفتح لنا بها أبواب خزائن

. . . .

= الكمالات ، وتغفر لنا بها العثرات وترحمنا بها في جميع الحالات ، وتملكنا بها كنوز الأرزاق وتطهرنا بها من جميع سوء الأخلاق ، وتهدي لنا بها من الضلال وتحمي بها إيماننا عن الزوال ، في جميع الحال سيما عند الارتحال ، وتبلغنا بها خير الآمال ، وتنجينا بها من الظلمة والظلمات وتهب لنا بها الرياح الطيبات ، وتحملنا بها حملاً مكرماً عند الحاجات ، وترزقنا بها العافية مع السلامة الكافية والراحة العافية ، وتكون لنا بها صاحباً في المقام والرحال ، وتعيننا بها على ذكر الجميل ، وتخضع لنا بها كل جبار عنيد ، وتهيىء لنا بها كل أمر رشيد ، وتهون بها علينا كل أمر شديد ، وتصرف عنا بها الأكدار ، وتدفع بها عنا الأعداء ، وتضع عنا بها الأوزار ، ولا يضر بها شيء من الأشياء في الأرض ولا في السماء ، وتحفظنا بها عن جميع الاسقام ، وتميتنا بها على ملة الإسلام ، وصلاة توجب الكمال والقبول ، وتوصل إلى رؤية الجمال والرضا وغاية المأمول ، وعلى آله الواصلين بها للسعادة الأبدية ، وصحبه المكرمين بها للكرامة السرمدية ، وعلى جميع الأنبياء الذين هم الوسائل لقبول خير الدعاء في الصبح والمساء ، والحمد لله على جميع النعماء .

☆☆ ☆☆ ☆☆

المراجع

١ ـ إيقاظ الهمم في شرح الحكم لأحمد بن محمد بن عجيبة الحسيني .

دار المعرفة للطباعة والنشر ، شركة علاء الدين ، بيروت ، لبنان .

٢ ـ الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، تأليف خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان .

٣ ـ البداية والنهاية لأبي الفداء الحافظ ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ دار الفكر بيروت .

٤ ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للقاضي العلامة محمد بن علي الشوكاني المتوفى ١٢٥٠هـ الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨ هـ بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر القاهرة .

٥ ـ ـ جامع كرامات الأولياء يوسف اسماعيل النبهاني .

دار صادر بيروت .

٦ ـ حقائق عن التصوف تأليف سيدي عبد القادر عيسى المطبعة مؤسسة الشام الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م .

٧ ـ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للحافظ جلال الدين السيوطي تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار إحياء الكتب الحديثة .

طبعة يحيى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة الأولى ١٩٦٧ ـ ١٣٨٧هـ .

٨ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني توفى ٤٧٠ هـ دار الفكر بيروت لبنان .

٩ ـ دائرة المعارف الإسلامية ، نقلها إلى العربية محمد ثابت الفندي ، أحمد الشنتاوي ابراهيم خورشيد ، عبد الحميد يونس ، جمادى الثانية ١٣٥٢ أكتوبر ١٩٣٣ العدد الأول المجلد الأول .

١٠ ـ الدرر البهية في الوصايا الجامية لسيدي أحمد فتح الله جامي ، جمع أحمد شريف النعسان ، مؤسسة الشام للطباعة دمشق نشر مكتبة دار العرفان حلب .

١١ ـ الدرر الكامنة .

١٢ ـ ديوان أمير المؤمنين وسيد البلغاء والمتكلمين الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، جمع وترتيب عبد الكرم .

اصدار دار كرم دمشق .

١٣ ـ ديوان الإمام الشافعي حققه وقدم له محمد سالم بوّاب لأبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي . توزيع وطباعة ونشر دار الألباب بيروت ـ دمشق .

١٤ ـ ديوان قصائد وأناشيد السادة الشاذلية جمع واعداد وترتيب أحمد عبد الكريم الشريف العروس الشاذلي ، النشر عالم الفكر ،

الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣م .

١٥ ـ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليغمري المدني المالكي رحمه الله .

وبهامشه كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج للشيخ الإمام أحمد بابا التنبكي . ، طبعة الأولى ١٣٢٩ هـ .

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر .

١٦ ـ الرسالة القشيرية في علم التصوف للعلامة أبي القاسم عبد الكريم ابن هوزانِ القشيري النيسابوري ، تحقيق واعداد معروف ومصطفى زريق ، علي عبد الحميد أبو الخير ، دار الخير ، بيروت لبنان ، الطبعة الثالثة ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧م .

١٧ـ روح البيان للامام اسماعيل حقي البروسوي المتوفى ١١٣٧هـ دار الفكر للطباعة والنشر .

١٨ ـ روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين للإمام الكبير العلامة والهمام الشيخ أحمد بن محمد الوتري ، الطبعة الأولى ، المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر ، المحمية منه ١٣٠٦ هجرية .

١٩ ـ سر الأسرار : تأليف سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني ، تحقيق خالد محمد عدنان الزرعي ، محمد غسان نصوح عزقول .

دار ابن القيم دمشق سوريا .

٢٠ـ سنن أبي داود للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث دراسة وفهرست كمال يوسف الحوت ، طبع ونشر دار الجَنان ومؤسسة

الكتب الثقافية الطبعة الأولى ١٤٠٩ ـ ١٩٨٨ .

٢١ ـ سنن ابن ماجه للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٢٢ ـ سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٢٣ ـ سنن الدارمي للإمام الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي حقق نصه وخرج أحاديثه وفهرسه فؤاد أحمد زمزلي خالد السبع العلمي ، دار الكتاب العربي لبنان بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .

٢٤ ـ سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشيته الإمام السندي ، اعتنى به ورقمه وصنع فهارسه عبد الفتاح أبو غدة ، الطبعة الثالثة بيروت ١٤١٤ ـ ١٩٩٤ طباعة دار البشائر الاسلامية بيروت لبنان ، الناشر مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب .

٢٥ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ، نشر مكتبة القدسي لصاحبها حسام الدين المقدسي بجوار الأزهر بالقاهرة ١٣٥٠هـ .

٢٦ ـ شرح الحكم لابن عطاء الله للشيخ أحمد زروق

مطبعة النجاح طرابلس ليبيا .

تحقيق د . عبد الحليم محمود ، د . محمود بن الشريف .

٢٧ ـ صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري . حققه وصححه ورقمه محمد فؤاد عبد الباقي . توزيع دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٢٨ ـ طبقات الأولياء لابن الملقن سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد المصري ٧٢٣ ـ ٨٠٤هـ .

حققه وخرّجه نور الدين شريبة مجمع البحوث الإسلامية ، الأزهر ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

٢٩ ـ طبقات الشافعية الكبرى تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ، تحقيق محمود محمد الطناحي ، عبد الفتاح محمد الحلو ، الطبعة الأولى بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه .

٣٠ ـ الطبقات الكبرى للشعراني عبد الوهاب المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأختيار ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر .

٣١ ـ الطريقة الشاذلية وأعلامها الدكتور محمد أحمد درنيقة الطبعة الأولى ١٤١٠ ـ ١٩٩٠ المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع .

٣٢ ـ غيث المواهب العليّة في شرح الحكم العطائية أبي عبد الله محمد ابن إبراهيم بن عبّاد النفرى الترندى ٧٣٢ ـ ٧٩٢هـ .

تحقيق د . عبد الحكيم محمود ، د . محمود بن الشريف .

٣٣ ـ الفتح الرباني والفيض الرحماني ، تأليف سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني ، خرج أحاديثه وآياته محمد سالم البواب ، دار

الألباب ، بيروت ، دمشق .

٣٤ ـ القطب الرباني عبد السلام بن مشيش ، تأليف عبد الصمد العشاب ، مطبوعات الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي .

مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط .

٣٥ ـ كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للمفسر المحدث الشيخ اسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي سنة ١١٦٢ ، دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الثانية ١٣٥١هـ .

٣٦ ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري المتوفي ٩٧٥ نشر وتوزيع مكتبة التراث الإسلامي . حلب سوريا .

٣٧ ـ لسان العرب للإمام العلامة ابن منظور ٦٣٠ ـ ٧١١ المطبعة دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣م .

٣٨ ـ لطائف المنن للإمام ابن عطاء الله السكندري ، قدم له وعلق عليه الشيخ خالد عبد الرحمن العك ، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م .

٣٩ ـ مجمع مصطلحات الصوفية د . عبد المنعم الحفني ، دار المسيرة بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .

٤٠ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ، رقَّم أحاديثه محمد عبد السلام

عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٤١ ـ المعجم المدرسي ، وزارة التربية ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م الطبعة الأولى ، تأليف محمد خير أبو حرب .

٤٢ ـ المعجم الوسيط قام بإخراج هذه الطبعة د . إبراهيم أنيس ـ د . عبد الحليم منتصر ـ عطية الصوالحي ـ محمد خلف الله أحمد .

طباعة ونشر وتوزيع أمواج بيروت لبنان ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م .

٤٣ـ المفاخر العلية في المآثر الشاذلية .

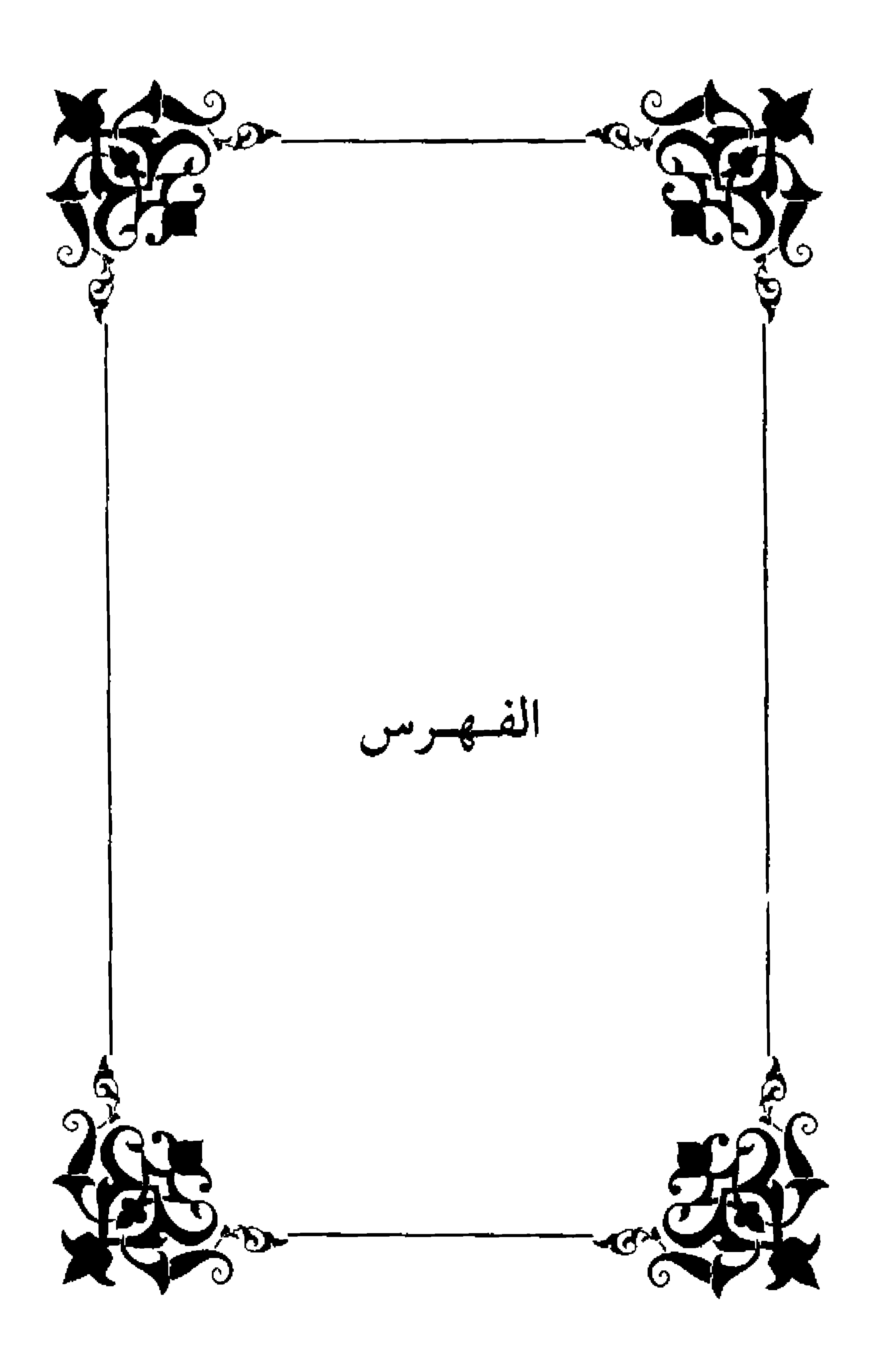
تأليف أحمد بن محمد بن عبّاد الشافعي ، الطبعة الأخيرة ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م ، مصطفى البابي الحلبي بمصر .

٤٤ ـ المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية أحمد بن مصطفى العلاوي المطبعة العلاوية بمستغانم الطبعة الأولى ١٩٩٤م .

دار السنابل بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٩٩٢ .

٤٥ ـ هداية المريد إلى جوهرة التوحيد تأليف الشيخ بكري رجب ، تحقيق واعداد حازم محي الدين محمد وهبي سليمان ، المطبعة دار الخير الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .

☆☆ ☆☆ ☆☆



الفهرس

الفهرس

١ ـ عنوان التوفيق

٢ ـ شرح الصلاة المشيشية

٣ ـ شرح حزب البحر

☆☆ ☆☆ ☆☆